الجيُوبُولتيكا

تأليف

رسل هـ. فيفيلد

ج. إتزل بيرسى

ترجمة

يوسف مجليّ

لويس إسْكندر

مراجعة

د.محمد الشرقاوي

الكتاب: الجيُوبُولتيكا

الكاتب: رسل هـ. فيفيلد، ج. إتزل بيرسى

ترجمة : يوسف مجليّ، لويس إسْكندر

مراجعة : د.محمد الشرقاوي

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

هـ . فيفيلد، رسل/ بيرسي، ج.إتزل

الجيُوبُولتيكا / رسل هـ. فيفيلد، ج. إتزل بيرسى، ترجمة : يوسف مجليّ، لويس إسْكندر

مراجعة : د.محمد الشرقاوي– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٧١ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٦ – ٦٠ – ٦٨١٨– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٧٩٦٠ / ٢٠٢٠

الجيُوبُولتيكا



وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

هذا هو الجزء الأول من ترجمة كتاب

GEOPOLITICS
IN PRINCIPLE AND PRACTICE

تأليف

Russell H. Filield

&

G. Etzel Pearcy

تنــــويه

صدر هذا الكتاب في سنة ١٩٤٢، بينما كانت الحرب العالمية الثانية على أشدّها، ولم يكن معروفًا حينذاك النتيجة التي قد تسفر عنها الحرب، ولهذا نلفت أنظار القراء إلى أن كل ما ورد في الكتاب فيما يتعلق بالحدود السياسية للدول هو انعكاس لما كانت الحال عليه خلال السنوات الأولى من الحرب.

المترجمان

الجزء الأول

الجيوبولتيكا من الناحية النظرية

الفصل الأول

تعريف الجيوبولتيكا ومجالها

إن اصطلاح «الجيوبولتيكا» اصطلاح جديد، لم يألفه لرجل العادي بعد، لا بل ولا الجامعي أيضًا. ولقد ابتكر هذه الكلمة رجل سويدي اسمه Rudolf Kjellen وأهم ما يعني به هذا العلم دراسة الوحدة السياسية –الدولة– في بيئتها الجغرافية. غير أن الإلمام بعلم الجغرافية أو بعلم السياسة، كل على حدة، لا يكفي لفهم الجيوبولتيكا، ذلك لأن معرفة كل من الأرض والدولة معًا من أهم مستلزماتها.

وللجيوبولتيكا في الوقت الحاضر مفهومان عامان: فهناك وجهة النظر الضيقة القائمة على الفكرة الألمانية الخاصة بالمجال الأرضي باعتباره المجال الحيوي (Lebensraum) للدولة على أنها كائن حي. وقد قال في ذلك اللواء «هاوسهوفر»:

«ليس مجرد الصدفة هو الذي جعلنا نسبق لفظة Politik بهذا المقطع الصغير Geo فهذا المقطع يعني كثيرًا ويتطلب كثيرًا، فهو يربط السياسة بالتربة ويحررها من الكثير من النظريات المجدبة والعبارات الجوفاء التي قد توقع زعماءنا السياسيين في حبائل الدول المثالية التي لا طائل منها، ويعود بهم إلى الأرض الصلبة، فالجيوبولتيكا تبيِّن مدى توقف كل تقدم سياسي على ذلك العامل الثابت الذي لا يتغير – عامل التربة».

وتظهر الفكرة الأساسية للجيوبولتيكا الألمانية واضحة في مختلف التعاريف التي صدرت عن معهد ميونج لهذا العلم « The Geopolitical Institute of Munich»، ومنها:

الجيوبولتيكا هي النظرية التي تبحث في قوة الدولة بالنسبة للأرض.

الجيوبولتيكا هي نظرية التطورات السياسية من حيث علاقاتها بالأرض.

الجيوبولتيكا هي العلم الذي يبحث في المنظمات السياسية للمجال الأرضي وتكوينها.

الجيوبولتيكا هي الأساس العلمي الذي يقوم عليه فن العمل السياسي للدولة في كفاحها المميت من أجل حصولها على مجالها الحيوي.

ومن هذا يتضح أن المدرسة الألمانية للجيوبولتيكا تؤدي إلى نشوب الحرب.

أما المفهوم الأوسع للجيوبولتيكا فيقوم على الدراسة الجغرافية للدولة من حيث سياستها الخارجية. وهنا يكون التأكيد كله على المظهر الجغرافي للعلاقات الخارجية. لقد جاء في إحدى الإذاعات الألمانية – أثناء الحرب– عن تعريفها الجيوبولتيكا، أنها «علم يبحث فيما بين السياسة والرقعة الأرضية من علاقات، وأنه يهدف بصفة خاصة إلى تحويل المعلومات الجغرافية إلى ذخيرة علمية يتزود بها قادة الدولة وسياساتها» ومهما يكن، فهذا التعريف أكثر قبولا لدى الدول الواقعة

خارج الرانح منه لدى معهد ميونح ذاته وأن أصحاب فكرة العزلة –من الأمريكيين– القائمة على مبدأ سعة المحيط الأطلنطي من الشرق والمحيط الهادي من الغرب ووجود دول ضعيفة في الشمال والجنوب يجدون لحجتهم هذه سندها الجيوبولتيكي. كما أن النزاع الذي قد ينشأ بين الدول الكبرى بشأن القواعد الجوية في مختلف أجزاء العالم لمما يدخل ضمن مجال الجيوبولتيكا مستقبلا[1]. كذلك كان حصول إنكلترا –عن طريق الضم أو الاحتلال– على المناطق الإستراتيجية في البحر الأبيض (جبل طارق سنة ١٧٠٤، ومالطة سنة ١٨٠٠، ومصر سنة ١٨٨٢، وقبرص سنة ١٨٧٨) قائمًا على أساس جيوبولتيكي. كما أن بلجيكا والأراضي الواطئة مدينتان باستقلالهما إلى موقعهما الاستراتيجي على مقربة من ألمانيا وفرنسا وإنكلترا. وهناك السياسة الخارجية التي انتهجتها جمهورية بوليفيا، التي لا سواحل لها، في كلٍ من حرب الباسيفيك (١٨٧٩– ١٨٨٣) كحليفة لبيرو ضد شيلي وفي الحرب ضد بارجواي (١٩٣٢– ١٩٣٨) على منطقة «جران شاكو» فإنها سياسة جيوبولتيكية كما أن نظرة نلقيها على الحدود الحالية لجمهورية بوليفيا كافية لمعرفة من هم المنتصرون في هذه الحروب التي قامت في أمريكا الجنوبية. بل إن اتخاذ هضبة «البامير» حدًا فاصلا بين الهند والاتحاد السوفيتي مظهر من مظاهر الفعالية الجيوبوليتكية. وكذلك

(1) الإشارة هنا إلى أهمية القطبين والجزائر الموجودة في شمال المحيط الأطلنطي في الملاحة الجوية وما قامت به كل من أمريكا وإنكلترا والروسيا من محاولات لتركيز أقدامها في تلك الجهات.

«أصبع كبريفي[1] Caprivi's Finger» الذي كان يمتد من مستعمرة إفريقية الجنوبية الغربية الألمانية حتى نهر الزمبيزي. ولتركيا باعتبارها حارسة المضايق مركزها الجيوبولتيكي الهام على أنها قوة لها وزنها السياسي في أية حرب تنشب، وأخيرًا هناك المحاولات التي يبذلها الروس، سواء تحت حكامهم القيصريين أو الشيوعيين، للحصول على ميناء في البحار الدفيئة، فإنها في واقع الأمر مظهر من المظاهر الجغرافية الأساسية التي يسترشدون بها في سياستهم الخارجية. غير أن جيوبولتيكا كثيرًا ما تقترن بالحرب والتوسع الاستعماري (الأمبريالية) بفضل الأثر الألماني. والواقع أن هذا العلم إذا نظر إليه على أنه دراسة جغرافية للدولة من حيث توجيه سياستها الخارجية، يمكن أن يؤدي إلى «جيوبولتيكا السلام».

ويرى الكتاب الألمانيون الذين عالجوا هذا الموضوع أن عملهم علمي بحت؛ كما توحى بذلك المقالات التي نشرت في الولايات المتحدة عن «علماء» هوسهوفر المنتشرين في كافة أنحاء العالم، والذين يجمعون المادة التي يعتمد عليها جستابو هملر ودعاية جلوبلز وسياسة روبنتروب الخارجية.

---

(1) يرى المتأمل في خريطة أفريقيا أن الحدود الفاصلة بين ما كان يعرف باسم أفريقية الجنوبية الغربية الألمانية والمستعمرات البريطانية تمتد في نهايتها الشمالية على شكل أصبع اليد حتى نهر زمبيزي، وذلك لإعطاء هذه المستعمرة منفذًا إلى هذا النهر.
(المترجمان)

وتزعم المقالات التي نشرت في مجلة Zeitschrift fûr Geopolitik أنها ترتكز على أساس علمي لأنها تقوم على جمع وتنظيم البيانات واستقرائها، ولكن الجيوبولتيكيين في خارج الرايخ الثالث يرون -أن تعاليم إتباع هوسهوفر لا تنحو الناحية العلمية. فالكثير من كتاب الألمان يهملون الحقائق التي لا تتفق والآراء التي تكون قد كوّنتها مدرسة ميونخ من قبل. ومثال ذلك قلة المقالات التي نشرتها هذه المدرسة عن الولايات المتحدة، ذلك لأن أمريكا الشمالية، رغم أهميتها، كانت في نظرهم جزيرة نائبة. ونحن إذا نظرنا إلى الجيوبولتيكا نظرة «شاملة» لوجدنا أن مظهرها العلمي ينحصر فقط في دراسة النواحي الجغرافية للدولة بطريقة موضوعية. أما الاقتراحات المتصلة بالسياسة الخارجية، فمرهونة بالأسس ووجهات النظر التي يحددها الأفراد أنفسهم.

هذا وتستمد الجيوبولتيكا مادتها خاصةً من أربعة مصادر هي: الدراسات الأكاديمية لكلٍ من الجغرافية السياسية والتاريخ، ثم الدراسات التخصصية في موضوعي الأميرياليه (التسلط الاستعماري) والاستراتيجية العسكرية والبحرية والجوية. والجغرافية السياسية هي الأصل الذي تفرعت عنه الجيوبولتيكا، وكما يقول اللواء هوسهوفر: «إن الجيوبوليتكا وليدة الجغرافية السياسية لأنها المحرك لما يتناوله هذا العلم الأخير من حقائق فتجعل منها مادة يستعين بها الزعيم السياسي»، والفرق بين الاثنين إنما يظهر بالتأكيد على أحدهما. فالجغرافية السياسية تأخذ بعين الاعتبار الدولة، وتعني بتحليل بيئتها الطبيعية تحليلًا موضوعيًا، أما الجيوبولتيكا فتقوم على دراسة الوضع الطبيعي للدولة من ناحية مطالبها

في مجال السياسة الدولية. وقد أوضح أوتو مول Otto Maul أحد كتاب معهد ميونخ هذا بكل جلاء إذ قال: «تعني الجيوبولتيكا بالمطالب المكانية للدولة، على حين تقتصر مهمة الجغرافية السياسية على فحص ودراسة ظروف مجاله الأرضي». على أن هناك فئة من الثقاة لا يرون فارقًا بين العملين وإن وجد فهو ضئيل جدًا.

هذا إلى أن دراسة الإستراتيجية العسكرية والبحرية والجوية مصدر هام آخر من مصادر الجيوبولتيكا. ولا يزال الأميرال ماهان المرجع الأول في كل ما يتعلق بالقوة البحرية، كما يتزعم القائد كلاوزفتس Clauesvitz جميع من كتبوا عن القوة البرية. أما عن الاستراتيجية الجوية، فإننا لا نعرف في الوقت الحاضر كاتبا واحدا له مثل هذه المكانة العالية وإن كان المأجور سفرسكي Seversky ممن تكثر الإشارة إليه والاقتباس من كتاباته. والجيوبوليتيون دائبون على الاستفادة من أحداث الحروب الماضية، فالنصر البحري الذي أحرزه البريطانيون في موقعة «الطرف الأغر» سنة ١٨٠٥ هيأ الفرصة أمام عملهم لأن يرفرف على جميع البحار، وقد تجلى هذا في حرق مدينة واشنجطون سنة ١٨١٤، وفي الحصار الذي ضربوه على الساحل الأطلنطي للولايات المتحدة، وفي «حرب الأفيون» ضد الصين (١٨٤٠- ١٨٤٢) وما تبعه من استيلائهم على ميناء هونج كونج. كذلك تجلت هذه السيادة في «حرب القرم» ضد الروس (١٨٥٤- ١٨٥٦) والغارة البحرية على ميناء «بترو بافلوفسك» Petropavlovsk في شبه جزيرة «كمتشكا»، وحملتهم على سيبستيول «في القرم» وفيما قاموا به من جعل المحيط الهندي في

أوائل القرن التاسع عشر بحيرة بريطانية مع استمرار امتداد النفوذ البريطاني داخل بلاد الهند، وفي «حرب البوير» بجنوب أفريقية (١٨٩٩– ١٩٠٢). وعلى الرغم من بُعد الشقة بين القاعدة الأساسية في الجزائر البريطانية وميادين القتال في أمريكا وآسيا وأفريقية، فقد تمكن الأسطول البريطاني من بسط سيادته على المحيط العالي[١]. وهناك الحملات التاريخية التي قام بها الإسكندر المقدوني وهانيبال القرطجني ويوليوس قيصر الروماني؛ فكلها مما نعرض لنا دروسًا في القوة البرية. وهناك غزوة الإمبراطور نابليون المشئومة للروسيا في ١٨١٢، وهي من أكثر ما يستشهد به كتّاب مدرسة ميونخ للجيوبولتيكا. ومن مظاهر القوة البرية أيضًا ذلك التوسع الروسي شرقًا حتى سواحل المحيط الهادي وجنوبًا حتى أواسط آسيا.

كما أن الجيوبولتيكا وثيقة الاتصال بالامبريالية (التسلط الاستعماري) والدراسات المتصلة بها. فالعمل على تأسيس الإمبراطوريات كان من الصفات المميزة للسياسة المحورية منذ قيام الفاشستية والنازية والنزعة العسكرية اليابانية. يقابل هذا من الناحية الأخرى الرغبة الطبيعية عند الدول الاستعمارية الكبرى للمحافظة على مالها من إمبراطوريات أما الولايات المتحدة فهي الدولة الكبرى الوحيدة التي منحت الاستقلال لرعاياها في الشرق الأقصى، ولهذا كان شعب

---

(١) يقصد بذلك المحيطات كلها لأنها كما ذكر «ما كندر» في كتابه Democratic Ideals & Reality الذي أشرنا إليه متصلة كلها ببعضها البعض مما يمكن معه اعتبارها محيطًا واحدًا.

الفيليبين هو الوحيد بين سكان آسيا الذي قاوم –جديًا– الزحف الياباني نحو البحار الجنوبية.

والعوامل التي تدفع الدول إلى التسلط الاستعماري عديدة: منها الرغبة في تملك مصادر المواد الأولية، وإيجاد الأسواق لتصريف المصنوعات، والبحث عن المواطن التي يمكن أن تستوعب الفائض من السكان، واحتلال القواعد الاستراتيجية، وأخيرًا المنزلة التي تتمتع بها الدولة المستعمرة والكفاية الاقتصادية التي تكون لها. وتوضح خريطة العالم لسنة ١٩١٩ النتائج التي ترتبت على سياسة التوسع الاستعماري من الناحية السياسية: فقد كان لبريطانيا إمبراطورية تعدل مائة وأربعين مرة قدر مساحتها، ولهولاندة ما يساويها ستين مرة، ولفرنسا عشرون مرة قدر رقعتها، وفي حالة اليابان كانت مساحة مستعمراتها عقب الحرب العظمى الأولى تبلغ أربعة أمثال مساحة بلادها الأصلية؛ كذلك إيطاليا، بعد ضم الحبشة إليها، فقد أصبحت النسبة بين رقعة البلاد الأصلية والبلاد التي تستعمرها كنسبة الواحد إلى أثنى عشر. أما ألمانيا فكانت معاهدة فرساي قد جردتها من كل مستعمراتها. ويعمل النازيون واليابانيون الآن[١] على إلباس سيطرتهم الاستعمارية لباسًا جديدًا فيطلقون عليها اسم «النظام الجديد لأوربا» و«النظام الجديد لشرق آسيا الكبرى» وهو اسم أصبح شائعًا تلوكه الألسن في كل مكان. ويختلف هذا النظام الجديد الذي طلع علينا في القرن العشرين من بعض النواحي عن تلك الأمبريالية التي

(١) كان ذلك وقت نشر هذا الكتاب، أي أثناء الحرب العالمية الثانية.

سادت السنوات العشر الأخيرة من القرن الماضي، يوم نشطت الدول الأوربية إلى تقسيم القارة الإفريقية وإلى إنشاء قواعد لها في بلاد الصين فالإمبريالية المحورية تنتهي بالاستعباد التام للشعوب المحكومة مهما كانت درجة تحضرها من الناحيتين السياسية والاقتصادية، لا بل ومن الناحية الثقافية نفسها. وهذا عكس ما حدث للشعوب الإفريقية، فإنها على ما هي عليه من حضارة بدائية لم تشعر بثقل اليد التي غزتها مثل ما شعرت به الدول الأوربية التي خضعت للنازي أو الصين تحت حكم اليابان.

وأخيرًا فإن الجيوبولتيكا وثيقة الاتصال بعلم التاريخ. وما الأحداث التاريخية في نظر الجيوبولتيين إلا مظهر من مظاهر النشاط الجغرافي. فالظروف الجغرافية في وادي النيل وفي دجلة والفرات كانت من غير شك مواتية لقيام الحضارات النهرية، على حين أن الجسر الذي يربط بينهما كان من المحتوم على الفاتحين لهذين الواديين –الآشوريين والفرس والمقدونيين– عبوره. هذا وقد أصبحت لدراسة علم الجغرافية في المدارس الألمانية الآن أهميتها. أما في أمريكا فإن دراسة هذا العلم تنتهي بانتهاء المرحلة الثانوية، ومع ذلك فالكثير من مناهج الدراسات العسكرية في الجامعات الأمريكية يقيم في الوقت الحاضر للجغرافية نفس الوزن الذي يقيمه للتاريخ. وللتاريخ عناصره الثلاثة: الإنسان والمكان والزمان. أما الجيوبولتيكا فلها عنصران اثنان فقط: الأرض والدولة، وهي في تفسيرها للحاضر تعتمد على تاريخ ما سلف، كما أن الأحداث الجيوبوليتكية المستقبلة تنشأ عن الظروف الحاضرة.

وكلمة State من الألفاظ التي يكثر استعمالها في علم الجيوبولتيكا. والمقصود بها الدولة التي تحكم نفسها ولها كافة حقوق السيادة، فهي في معناها تختلف عن لفظة State التي يستعملها الأمريكيون عندما يتكلمون عن الثمانية وأربعين وحدة التي تنقسم إليها بلادهم، أو الأستراليون عند ذكر الولايات الست التي يتكون منها الكومنولث. والعلاقات الدولية هي تلك الصلات التي تنشأ بين دول الأرض ذات السيادة، ولما كانت مصالح دول العالم الستين أو ما يقاربها متعارضة إلى درجة كبيرة فمن الطبيعي أن تتنازع فيما بينها، والنزاع إذا اشتد انقلب حربًا واختفى السلام. ومع ما هو معروف من أن مواطني الدولة الواحدة مطالبون بالالتجاء إلى القانون لحسم منازعاتهم، فإن دول العالم لم تظهر في العادة استعدادها لعرض خلافاتها على هيئة دولية للفصل فيها. بل كثيرًا ما نرى هذه الدول تبرر سياستها بالقول الشائع: «الضرورة لا تعرف قانونًا»، ومن ذلك ما فعله المستشار الألماني بتمان هولنج، فقد وقف أمام الرايشستاغ في يوم ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ يصرح بأن غزو بلجيكا «خرق للقانون الدولي» ولكن «الضرورة لا تعرف قانونًا»، ومع أن اليابان كانت تتمتع بعضوية عصبة الأمم كما كانت واحدة من الدول الموقعة على اتفاقية باريس لسنة ١٩٢٨ وحلف الدول التسع المنعقد في واشنجطون سنة ١٩٢٢، فقد تجاهلت هذا كله وسيرت جيوشها إلى منشوريا في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣١ والواقع أن العالم الغربي لم يتذوق إلا فترة واحدة من السلام الكامل، وذلك حينما كان متحدًا تحت سيادة روما العظيمة. ولما كانت الدول تأبى أن تعدل في

سياستها بما يتلاءم والقيود والضوابط الدولية فإنها تسعى إلى سترها تحت رداء القوة والقهر. ومن هنا كان تعريف الجنرال «كلاوزفتس» للحرب. فهي في نظره «تحقيق للأغراض السياسية بوسائل أخرى» ولقد أصبحت القدرة في فترات السلام على الإكثار من العتاد ومهمات القتال مقياس العظمة بين الدول، فالدول الكبرى Great Powers هي تلك التي لها من القوة والبأس ما يساعدها على تحقيق سياستها القومية قهرًا في أي جزء من أجزاء العالم.

ونظرًا لتعدد الالتحامات بين الدول ذات السيادة، والانكماش المستمر في رقعة العالم، بسبب التحسينات التكنولوجية، فقد أصبح من المحتمل كل الاحتمال أن حربًا تنشب اليوم بين دولتين كبيرتين تنقلب حربًا عالمية. ولهذا رأينا «وودرو ولسن» يؤكد على عدم تجزئة السلام العالمي في المشروع الذي تقدم به لإنشاء عصبة الأمم. وإن حربين عالميتين تنشبان في ربع قرن، لهو الدليل القاطع على صحة نظرية «وودرو ولسن».

هذا ومن الممكن تقسيم دول العالم خلال الحرب العالمية الثانية إلى المجموعات الآتية: فهناك الدول المتحدة United Nations وكان عددها في اليوم الأول من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣، ثلاثة وثلاثين دولة، أساس اتحادها إعلانها الحرب على واحدة أو أكثر من الدول المحورية، وهذه الدول هي: بولاند، وبريطانيا العظمى، والهند، وأستراليا، ونيوزيلاند، وكندا، واتحاد جنوب أفريقية، وتشيكو سلوفا كيا، والنرويج

وبلجيكا، وهولاند، ودوقية لكسمبورج، واليونان، ويوجوسلافيا، والاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، والصين، وكوبا وهايتي ثم جمهورية دومينيكا وبنما وكوستاريكا وسلفادور، وهندوراس، وجواتيمالا، ونيكار اجو، ومكسيكو واتحاد الفيليبين، والبرازيل والعراق وأثيوبيا وبوليفيا وإيران. ثم الدول المشاركة Associated Nations وكان عددها في نفس التاريخ عشرًا، وتقوم مشاركتها على قطع علاقاتها السياسية بدول المحور، وهذه هي: مصر، وإيستلد، وكولومبيا، وفنزويلا، واكوادور، وبيرو، واوراجواي وباراجواي، وشيلي، وليبريا. وهناك خمس دول لكل ظروفها الخاصة بها وهي: فرنسا ودنمارك وإيطاليا والبرتغال وبلاد العرب السعودية. والتزمت الحياد سبع دول هي: الأرجنتين، وأفغانستان، وتركيا، والسويد وأير (إيرلندة)، وسويسره وإسبانيا. وأخيرًا هناك دول المحور وهي: ألمانيا، واليابان، ورومانيا، وبلغاريا، والمجر، وفنلند، وتايلاند، ويلحق بهذه الدول الأمم الجديدة التي أنشأها المحور في سلوفاكيا، وكرواتيا، ومنشوكو، وبورما، والقسم من الصين الخاضع لوانج شنح واي، وألبانيا، وجمهورية موسوليني في إيطاليا[1].

هذا إلى أن الجيوبولتيكا دراسة ديناميكية عرضة لعوامل التغير على حين أن العامل الجغرافي للعلاقات الدولية ثابت كل الثبات. فنهر المسسبي لا يزال يصب في خليج المكسيك غير آية للعلم الذي يرفرف

---

(1) بعد هزيمة جيوش المحور في شمال أفريقية والسحابها منها، احتل الحلفاء جنوب إيطاليا؛ وظل موسوليني محتفظًا بالقسم الشمالي من البلاد وهو المقصود بهذه التسمية.

على مياهه العكره، فقد يكون علما أسبانيا وقد يكون فرنسيا أو اتحاديا أو أمريكيا.. والرياح تهب على بورما حينا وعنها حينا آخر سواء أكان البريطانيون أم اليابانيون هم الذين يحاولون غزو العالم.. ولا يزال الشرق الأدنى ذو القيمة الاستراتيجية مسرحا لقيام دول وزوال أخرى غير حافل بتعاقب الأيام أو تغير الدهور ... وكذلك الصحراء. الكبرى، فهي لا تزال قائمة سدًا منيعًا في وجه النازلين على سواحل البحر المتوسط سواء أكان تجار قرطاجنة أم جحافل الرومان أم فرنسا الاستعمارية هم المسيطرون على أجزاء من الساحل الأفريقي ... والواحد وعشرون ميلا من مياه القنال الإنكليزي التي تفصل بين دوفر وكاليه ما برحت تعرقل خطط نابليون اليوم (هتلر) كما عرقلت من قبل نابليون الأمس، وهناك نهر الراين قائم يفيض من جبال سويسرة المحايدة ثم يخترق الحدود الفرنسية الألمانية التي اشتهرت بكثرة معاركها الحربية لينساب في قلب الرايخ الصناعي (حوض الروهر) ويخرج منه إلى دولة هولاندة الفاصلة ليصب في بحر الشمال.

وتظهر الناحية الديناميكية للجيوبولتيكا فيما تقوم به الدول من تكييف أمورها وفقا لظروف بيئتها الطبيعية. فدولة بولندا التي لا حدود طبيعية لها إلا في نهايتها الجنوبية حيث تقوم جبال الكربات، تعرضت للتقسيم أربع مرات التقسيم الأول في سنة ١٧٧٢ حينما اقتطعت الروسيا وبروسيا والنمسا أجزاء منها، والثاني في ١٧٩٣ يوم حصلت الروسيا وبروسيا على مساحات أخرى من أملاكها، والثالث في ١٧٩٥ حينما محيت هذه الدولة باقتسام الروسيا وبروسيا والنمسا البقية الباقية

من أملاكها فيما بينها، ولقد أعيد إنشاء هذه الدولة بعد الحرب العالمية الأولى ولكن لم تلبث أن قضى عليها من جديد في سنة ١٩٢٩ وقسمت للمرة الرابعة بين ألمانيا والروسيا. كذلك تظهر طبيعة التحول والتغير في الجيوبولتيكا من التعريف الألماني للحدود، فهي في عرفهم ميادين قتال وإن سير الحوادث التاريخية لمما يؤيد هذا الرأي إلى درجة كبيرة. فمعاهدة «وستفاليا» في سنة ١٦٤٨ التي انتهت بها حرب الثلاثين عاما، ومقررات مؤتمر فينا (١٨١٤– ١٨١٥) على أثر سقوط نابليون، ومؤتمر باريس للسلام في سنة ١٩١٩ فيما بعد الحرب العالمية الأولى.. كانت تدور كلها حول الحدود السياسية. ويؤكد اللواء هوسهوفر في مناسبات عدة على الناحية الديناميكية للجيوبوليتكا. ومن ذلك قوله: «يجب علاوة على ما ذكر أن تقوم دراستنا للجيوبولتيكا على فهم الحاضر والمستقبل أكثر من تتبعنا للماضي، ونحن معشر الألمان كأمة سلمت مقاليد الحكم فيها لفئة من رجال القانون، استسلمنا إلى درجة كبيرة لسلطان القوانين البائدة (Lex Lata)، وكنا ننظر إلى السياسة ونفسرها بالعرف التاريخي والأحداث التي أنقضت، لا على أنها علم من العلوم الحية. لقد كنا نتطلع إلى الوراء، لا إلى الإمام. وبذلك انقطعت صلتنا بالمستقبل. ولما كنا قد أقمنا سياستنا على أساس استعراض الماضي بدلا من النظر إلى المستقبل، فقد وجدنا أنفسنا –عندما نظم العالم صفوفه في مستهل هذا القرن– وقد تخلفنا عن هذه الصفوف» ومن أهم مشكلات الوقت الحاضر فكرة التغيرات التي تحدث بطرق سلمية، ذلك لأن كلا من «جيوبولتيكاالحرب» كما تعرفها مدرسة ميونيخ

«وجيوبولتيكا السلم» كما يفهمها الجيوبولتيون الأحرار، ديناميكية في الحالين كما أن التغير بالوسائل المنتظمة، من مستلزمات الحياة السياسية للدولة في بيئتها الجغرافية.

والجيوبوليتيون ليسوا هم فقط أولئك الذين وضعوا أسس نظرياتها وقواعدها أمثال «راتزل» و«ماكندر»، إذ يجب أن نضيف إليهم من تولوا الزعامة في تطبيق قواعدها: فثيودور روزفلت بحصوله في سنة ١٩٠٣ على منطقة القنال عبر «برزخ بنما» من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهادي، وبنجامين ودزرائيلي بشرائه لحساب الحكومة البريطانية في سنة ١٨٧٥ –قسما كبيرًا من أسهم قناة السويس، هما من غير شك من قادة الجيوبولتيكا التطبيقية، ومثلهما في ذلك «سيسيل رودس» الذي وضع الخطة لسيادة إنكلترا على القارة الأفريقية من الكاب إلى القاهرة، وأتوفون بسمارك الذي نجح في توحيد ألمانيا علمً واحد بعد حروبه التي شنها الواحدة بعد الأخرى ضد دانمارك والنمسا وفرنسا متجنبًا الاشتباك في اثنتين منها في وقت واحد. وقد برهن زعماء الدول المحورية على معرفة تامة بالناحية التطبيقية للجيوبولتيكا. فالمجهودات التي بذلها موسوليني للتحكم في خصر Waist البحر المتوسط[1] وما قام به لتثبيت العلم الإيطالي على ساحل المحيط الهندي دليل قاطع على اهتمامه بالنواحي الجيوبولتيكية ولقد أدلى الزعيم الإيطالي لرئيس تحرير مجلة

---

(1) خصر البحر المتوسط على حد تعبير المؤلفين هي المنطقة التي يضيق عندها هذا البحر سبب اقتراب السواحل الإيطالية وجزيرة صقلية من الساحل الأفريقي الشمالي؛ وبعدها يعود البحر إلى الانفراج شرفا وغربا.

Geopolitika الإيطالية بمناسبة ظهورها في سنة **١٩٣٩** بما يلي: «للجيوبولتيكا مدلولها الذي يفوق كثيرًا مدلول الجغرافية العادية، ولسوف أكون من أشد قراء مجلتكم عناية بما تكتبون واكتراثا له». كذلك يعزي إلى أحد رؤساء الوزارة اليابانية وهو البارون تانا كا Tanaka أنه أوضح إلى الإمبراطور في سنة **١٩٢٧** الآراء التي تنطوي عليها «جيوبولتيكا النظام الجديد لشرق آسيا الكبرى–. كذلك كان أورلف هتلر، لا في مجرد غزوة للقارة الأوربية، بل وفي تنظيم هذه القارة بعد فتحها، منفذا للكثير من تعاليم مدرسة ميونيخ في الجيوبولتيكا.

الفصل الثاني

تطور علم الجيوبولتيكا

إن الجيوبولتيكا وليدة الجغرافية السياسية؛ وهذه فرع من علم الجغرافية. وتتضح سعة ميدان هذا العلم إذا ما تعرفنا على جنسيات ووظائف هؤلاء الرواد الذين عالجوه من الناحية النظرية، فالكثيرون منهم من الفلاسفة السياسيين أو من الجغرافيين المحترفين، وثمة جماعة أخرى ظهرت قبل أن تبتكر لفظة «جيوبولتيكا» ومن هذه الفئة الأخيرة Heinrilch von Freitscke، وهو أستاذ ألماني لعلم التاريخ، كان ينادي دائمًا بتوسيع رقعة الرايخ عن طريق الفتح العسكري، ثم Friedrich Nietzsche، وهو من أتباع النظرية الدارونية، وقد أكد إمكان وجود إنسان متفوق على غيره من بني البشر Superman، وهناك Friedrich List الأستاذ الألماني وصديق Henry Clay، وقد تأثر تأثيرًا عظيمًا، في أثناء زيارته للولايات المتحدة فيما بين ١٨٢٥– ١٨٣٢ بعظم اتساع هذه الجمهورية التي قامت في العالم الجديد، كما أبدى عظيم ارتياحه لوجود نظام موحد في الجمارك والمكوس يرفرف عليه علم واحد. ثم جاء من بعد ذلك Alexander Humbo'dt وقد عمد بعد دراسته للكثير من مباحث العلوم الطبيعية إلى تركيز كل اهتمامه في علم الجغرافية، وكارل رتر Karl Ritter الذي عمل على توسيع النواحي العلمية للدراسات الجغرافية اعتقادا منه أن التاريخ إنما يكشف عن

الطريقة التي استطاع الإنسان بواسطتها أن يكيِّف نفسه وفق بيئته الطبيعية. وكان «رتر» أستاذًا لعلم الجغرافية في جامعة برلين وكان يقوم إلى جانب ذلك بالتدريس في الكلية الحربية الألمانية.

أما Friedrich Ratzel (١٨٤٤- ١٩٠٤) فقد ارتقى بعلم الجغرافية السياسية إلى درجة يمكن أن تبدأ عندها الجيوبولتيكا، وقد تم له بعد دراسة مستفيضة للعلوم الطبيعية وبعد سياحات عديدة في كل من أوربا وأمريكا الشمالية -كان يراسل خلالها جريدة Kolnische Zeitung- أن يشغل كرسي الجغرافية في جامعة ليبزج. وقد نشر في سنة ١٨٩٦ في مجلة Petermanns Mitteilungen مقالا عنوانه «قوانين النمو الأرضي للدول». ومع أن «راتزل» اتخذ لنفسه صنعة الجغرافي السياسي فإن أتباعه فسروا تعاليمه على أنها جيوبولتيكية. وها هي القوانين السبعة التي وضعها لهذا النمو الأرضي:

١- «إن رقعة الدولة تنمو بنمو الثقافة» «Kultur» (فلكلما انتشر السكان وحملوا معهم طابعا خاصا للثقافة، فإن الأراضي الجديدة التي يحتلها هؤلاء تزيد في مساحة الدولة).

٢- «إن نمو الدولة عملية لاحقة لمختلف مظاهر نمو سكانها -ذلك النمو الذي يجب أن يتم قبل أن تبدأ الدولة في التوسع- (فهو يسلم بصحة نظرية أن العلم يتبع التوسع التجاري والنشاط التبشيري).

٣- «إن نمو الدولة يستمر حتى تصل إلى مرحلة الضم، وذلك بإضافة وحدات صغرى إليها» (وإن التربة ومن عليها من السكان يجب أن يمتزجا ببعضهما البعض إذا ما أريد إتمام عملية الضم).

٤- «إن حدود أية دولة هو العضو الحي المغلف لها» (وإن الحدود لا تعيِّن مدى ضمان سلامة الدولة فحسب بل إنها تعين أيضا مدى نموها).

٥- «إن الدول في نموها تسعى إلى امتصاص الأقسام ذات القيمة السياسية» (وهذه الأقسام ذات القيمة قد تكون سهولا أو أنهارًا أو مناطق ساحلية أو مناطق غنية بثروتها المعدنية أو بزيت البترول، أو ذات قيمة في إنتاج الغذاء).

٦- «إن الدافع الأول للتوسع الأرضي يأتي للدولة البدائية من الخارج» (ومعنى هذا أن الدول الكبرى ذات الثقافة تحمل أفكارها إلى الجماعات البدائية التي تدفعها زيادة عدد السكان إلى الشعور بالحاجة إلى التوسع).

٧- «إن الميل العام للتوسع والضم ينتقل من دولة إلى دولة ثم يتزايد ويشتد» (فتاريخ التوسع يدل على أن الشهية تزداد نتيجة لتناول الطعام).

والخلاصة أن راتزل يرى في الدولة كائنا حيًا تدفعه الضرورة للنمو عن طريق الحصول على الأعضاء التي تعوزه حتى ولو دفعه هذا إلى

استخدام القوة. وعلى هذا فمبدأ المجال الحيوي «Lebensraum الذي نادي به القائد «هاوسهوفر» والذي طبقة أدولف هتلر متصل اتصالا وثيقا بفكرة أن «الدولة كائن حي» وهذه إحدى تعاليم «راتزل» والواقع أن «راتزل» كان صديقا حميما لوالد «هاوسهوفر» كما كانت Ellen Churchill Semple وهي إحدى الممتازات من النساء الجغرافيات قد تتلمذت عليه في ألمانيا ولذلك فإن مؤلفيها «أثر البيئة الجغرافية» The Iufluence of Geographic Envirnment و«جغرافية إقليم البحر المتوسط» Geographe of The Mediterranion Regean يتخصصان في دراسة أثر البيئة في حياة الإنسان.

ثم جاء رودلف كيلين Rudolf Kjellen (١٨٦٤– ١٩٢٢) وزاد في أراء «راتزل» وطبقها على الوضع الدولي السائد في أيامه. وكان رودلف هذا رجلا سويديا ذا نزعة ألمانية قوية، عاصر الحرب العالمية الأولى كما كان أستاذا للعلوم السياسية بجامعة جوتبرج Gotberg. ولقد ألف كتابين كان لهما أثرهما الواضح في نمو وتطور الجيوبولتيكا، ظهر أولهما في سنة ١٩١٦ وعنوانه «الدولة كمظهر من مظاهر الحياة». وثانيهما في سنة ١٩٢٠ واسمه: الأسس اللازمة لقيام نظام سياسي» Grundriss Zu einem System der Politik. وفي رأيه أنه لما كانت الدولة كائنا حيا فالأرض التي تشغلها هي جسمها والعاصمة والمركز الإداري هما قبلها ورئتاها. أما الأنهر والطرق والسكك الحديدية فهما لها بمثابة الأوردة والشرايين. والمناطق التي تحوي المعادن وتجود عليها بالمواد الأولية والغذاء اللازم لنموها، كلها أطراف لهذا الجسم.

وقد امتد الخيال بكيلين إلى إمكان قيام دولة كبرى تسيطر على أوربا كلها وتكون خاضعة للسيادة الألمانية. وهو أول جغرافي استعمل لفظة جيوبولتيكا Geopolitik وفي رأيه أن أهم ما تعني به الدولة هو القوة، وأن حياة أية دولة من الدول إنما تعتمد على التربة والحكومة والسلطان والاقتصاد والثقافة.

وقد استعان المحررون الألمان لمجلة Zeitschrift fur Geopolitik بالشيء الكثير مما كتبة كل من «راتزل وكيللين» حتى جاء تعريفهم الرسمي الذي وضعوه للجيوبولتيكا كالآتي:

«الجيوبولتيكا هي العلم الذي يبحث في درجة اعتماد الأحداث السياسية على التربة وهي قائمة على الأسس العامة لعلم الجغرافية السياسية التي تبحث في التنظيمات السياسية للمجال الأرضي وكل من العاملين المكاني والزمني. وهي تهدف إلى تجهيز الدولة بالأسلحة التي تستعين بها عند القيام بأي عمل سياسي، والتي تمكن أن تسترشد بها في توجيه حياتها السياسية .... فهي والحالة هذه يجب أن تصبح الضمير الجغرافي للدولة».

هذا ويجد الباحث الكثير من الآراء الأولى والمباحث الأساسية للجيوبولتيكا فيما كتبه السير هالفورد ما كندر Sir Holford Mackinder أحد الجغرافيين البريطانيين البارزين. وقد شغل هذا الأستاذ عدة مناصب علمية خطيرة، فكان مديرًا لمدرسة لندن للعلوم والاقتصادية والسياسية، وأستاذًا للجغرافية بجامعة لندن، ونائبًا لرئيس الجمعية

الجغرافية الملكية. ولقد قرأ سنة **١٩٠٤** على أعضاء هذه الجمعية مقالا عنوانه «نقطة الارتكاز الجغرافي لعلم التاريخ» The Geogrphlcal Pivot of History (شكل٢)، أوضح فيه -باختصار- الأسس التي بني عليها فكرته. ثم عاد سنة **١٩١٩**، في أثناء انعقاد مؤتمر الصلح في باريس ونشر كتابًا عنوانه «المثل العليا للديموقراطية، والحقيقة الواقعة» «Democratie Ideals and Reality».

ومع أن الدول الانجلوسكسونية لم تعر كتاباته إلا اهتمامًا قليلًا فإن القائد «هاوسهوفر» -على الجانب الآخر من القنال- قرأ كتابات السير هالفورد بإمعان كبير واقتنع راسخًا بصحة نظريته. ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فأثارت حوادثها في النهاية اهتمام كل من إنكلترا وأمريكا بآراء هذا الكاتب العظيم وأعيد طبع كتابه هذا في سنة **١٩٤٢** كما حفظته يده تمامًا قبل ذلك بثلاث وعشرين سنة، ومن غير أي تعديل فيه. كذلك نشر سير «هالفورد ماكندر» -وكان قد تقدم به العمر- مقالا جديدًا في مجلة الشئون الخارجية- عدد يولية سنة **١٩٤٣** -ردد فيه نظريته الأولى مع تعديلات طفيفة رأى إضافتها على التنظيم الجيوبولتيكي الذي وضعه للعالم. وقد توخى «ما كندر» في تنظيمه هذا الناحية والواقعية. فقد وجد أن $\frac{٩}{١٢}$ من الكرة الأرضية تغطيها مياه البحار، وأن الأرض اليابسة لا تشغل سوى $\frac{٣}{١٢}$ من مساحتها، كما لاحظ أن وحدة البحار واتصالها ببعضها البعض مما يبرر أن نطلق عليها جميعها اسمًا

واحدًا هو المحيط العالي World Ocean بدلا من تعدد أسمائها: الأطلنطي والهادي والهندي والمتجمد الشمالي والمتجمد الجنوبي. كذلك لاحظ أن قارات أوربا وآسيا وإفريقية –وهي التي تكوِّن الجزيرة العالمية World Island تشغل فيما بينها ثلثي اليابس كله، على حين أن الأمريكتين، الشمالية والجنوبية، وأستراليا لا تحتل سوى الثلث فقط.

وقد تبدو فكرة الجزيرة العالمية التي يحيط بها المحيط العالمي، غريبة على آذان من اعتادوا التقيد بالتوزيعات الجغرافية على اعتبار أنها قارات ومحيطات. ولكن هذه الحقيقة تتضح إذا نحن تذكرنا أن أوروبا إن هي إلا شبه جزيرة لآسيا، لا يفصلها عنها سوى جبال أورال القليلة الارتفاع نسبيًا، مثلها في ذلك مثل الهند، التي تكون هي الأخرى شبه جزيرة صغيرة لآسيا، تفصلها جبال هملايا عن بقية القارة. أما إفريقية فتواجه أوربا وتطل عليها بسواحل البحر المتوسط لمسافة ٣,٨٠٠ ميل، وهي تتصل –في الوقت نفسه– بقارة آسيا اتصالا كاملا عن طريق برزخ السويس واتصالا غير كامل عن طريق بوغاز باب المندب في البحر الأحمر على مقربة من عدن. ولا يفصل بينها وبين قارة أوربا سوى مياه بوغاز جبل طارق الضيق الواقع في جنوب أسبانيا، لا بل إن المسافة بين رأس بوف –وهي آخر نقطة في إفريقية صمدت فيها قوات المحور قبل انسحابها من هذه القارة– وبين جزيرة صقلية –وهي أول نقطة على الساحل الأوربي نزلت فيها القوات الإنكليزية الأمريكية– لا تزيد على تسعين ميلا. كما أن لفظة Mediterranean –أي البحر المتوسط– اسم ملائم كل الملاءمة لهذا البحر لأنها مركبة من عبارة لاتينية معناها البحر

الذي يتوسط اليابس ... واليابس هنا هو أوربا وآسيا وإفريقية.

ومع أن الجزيرة العالمية تكون وحدة متصلة من حيث أنها كتلة أرضية متماسكة، فإن سكني الإنسان لها اقتصرت في غالب الأحيان على أطرافها، واستمرت الحال على هذا النحو حتى كانت أواخر القرن الخامس عشر، حين أخذ الناس يطوفون بأطرافها الجنوبية. وفي القرن التاسع عشر بدأ الناس ينشئون الخطوط الحديدية في داخلها. وفي مستهل القرن العشرين عمدوا إلى الطيران فوقها. وثمة حقيقة أخرى وجّه «ما كندر» الأنظار إليها وهي أن ١٤/١٦ من مجموع سكان العالم كله يعيشون في هذه الجزيرة العالمية، وأن ما يقرب من ١١/١٦ منهم يسكنون الجزائر القريبة من شواطئها. أما سكان الجزائر الخارجية التي تكوّن الأمريكتين وأستراليا فيمثلون الـ ١١/١٦ الباقي.

وينتقل «ما كندر» بعد ذلك من فكرة الجزيرة العالمية القائمة في وسط المحيط العالمي إلى معالجة نقطة الارتكاز لهذه الجزيرة وهي التي يطلق عليها اسم القلب Heartland ويمتد هذا «القلب الأرضي» هنا من حوض الفولجا في الروسيا حتى شرق سيبريا، وهي مساحة كبيرة تنصرف أنهارها إما إلى الداخل وإما إلى المحيط المتجمد الشمالي. ففي القسم الشمالي منها تفيض أنهار «أوب» و«نيسي» و«لينا» وهي أنهار طويلة (قليلة الانحدار) ولكنها تنتهي إلى المحيط القطبي وتتجمد مياهها

في معظم السنة. وفي الجنوب يجري نهرا «سرواريا» و«أموداريا» إلى بحر أورال الأجاج، كما ينتهي نهرا الفولجا وأورال إلى بحر قزوين. هذا وتتكون الأجزاء الشمالية والوسطى والغربية لقلب الجزيرة العالمية من سهلٍ مستوٍ فسيحٍ ليس فيه ما يشذ عن هذا الاستواء سوى جبال أورال القليلة الارتفاع، ولكن هذا القلب يشمل –إلى جانب ذلك– القسم الأكبر من هضبة إيران– التي تضم دول إيران وأفغانستان وبلوخستان– الواقعة في نهايته الجنوبية الغربية، وجزءًا من مرتفعات منغوليا في نهايته الجنوبية الشرقية. والقسم الأكبر من منطقة الارتكاز هذه خاضع –من الناحية السياسية– للنفوذ الروسي لأنها تتكون من معظم سيبيريا وما يقرب من نصف مساحة روسيا الأوربية، وتدخل فيها كذلك بلاد منغوليا والقسم الغربي من الجمهورية الصينية وبلاد أفغانستان وبلوخستان وإيران باستثناء النطاق الساحلي للوحدتين الأخيرتين.

كذلك تصور سير «هالفوردما كندر» منطقة ارتكاز أخرى –ولو أنها أقل أهمية من سابقتها وسماها القلب الجنوبي. وتتكون هذه من إفريقية جنوبي الصحراء الكبرى، ذلك الحد الطبيعي المنيع الذي يفصل بين الجنسين الأبيض والأسود، وتفيض مياه هذا القلب من الهضبة الداخلية إلى كل من الينجر والكونغو والزمبيزي وإلى أنهار أخرى أصغر منها قدرًا كالأورانج واللمبوبو، وكلها تنبع في الداخل؛ وتصلح الأجزاء العليا لهذه الأنهار كلها للملاحة إلى مسافات طويلة تبلغ مئات الأميال، ولكن هذه الصلاحية تمتنع إذا نحن قرّبنا هذه الأنهار من مصباتها، وذلك بسبب وجود الشلالات على مسافة قليلة من نقط انتهاء هذه الأنهر إلى البحر.

وثمة وجه آخر للشبه بين منطقتي القلب الشمالية والجنوبية، ذلك أن كلا منهما يوجد بع غابات وحشائش كثيرة.

ويتصل القلبان الشمالي والجنوبي بعضهما ببعض عن طريق جسر بلاد العرب. وبلاد العرب –في رأي «ما كندر» هي تلك التي تمتد من النيل غربًا إلى ما وراء الفرات شرقًا؛ وهي مسافة تبلغ ثمانمائة ميل، ومن سفوح جبال طوروس شمالا حتى خليج عدن؛ أي ما يبلغ الألف وثمانمائة ميل. وتمتاز هذه المنطقة بوجود ثلاثة طرق مائية منها وهي النيل والبحر الأحمر ثم نهر الفرات والخليج العربي. كما أن بلاد العرب نفسها تكوّن طريقًا بريًا بين القلب الشمالي والقلب الجنوبي.

ويحف بأرض القلب الشمالي قوس من الأراضي الساحلية يمكن تعريفها بمناطق التصريف إلى البحار المفتوحة للملاحة، وتشمل هذه أوربا بأكملها –عدا القسم الغربي من الروسيا– والجزء من الشرق الأدنى المتاخم لآسيا الصغرى ثم المنطقة الساحلية للإقليم الموسمي في آسيا. وأنهار هذه الجهات صالحة في جملتها للملاحة من مصباتها إلى مئات من الأميال نحو الداخل، ومن أحسن الأمثلة: الراين والإلب والدانوب ويانج تسي كيانج. ولما كانت المناطق الساحلية في كل من أوربا وآسيا ذات أمطار وفيرة وتربة خصيبة، فقد ازدحمت بالسكان على ما هو مشاهد في الملايين المكتظة في كل من الصين وغربي أوربا. وينزل في نطاق الجهات الساحلية من الدول الكبرى التي كانت قائمة قبل الحرب الأخيرة كل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا. أما إنكلترا واليابان فتقومان في

الجزائر المتاخمة لسواحل غربي أوربا وشرقي آسيا. وقد كان الأسطول البريطاني –يوم أن بسط «ما كندر» آراءه في سنة ١٩٠٤ –ينفرد بتأمين وحراسة الطرق الملاحية في العالم، إذ لم تكن هناك قوة بحرية أخرى تنازعه هذه السيادة في أيٍ من المحيطات، وكان قد صدر مؤخرًا في هذا الشأن كتاب للأميرال ألفريدثاير ماهان Admiral Alfred Thayer Mahan اسمه «أثر القوة البحرية في التاريخ فيما بين سنتي ١٦٦٠، ١٧٨٣».

(The Influence of Sea-Power upoul-listory: 1660-1783).

وهناك إلى جانب هذه الجزائر الساحلية مجموعات أخرى من الجزائر النائية، أهمها كلها الأمريكتان وأستراليا. والولايات المتحدة هي الدولة الكبرى الوحيدة القائمة داخل هذا النطاق البعيد. غير أن «ما كندر» لم يحفل كثيرًا بالجزائر البعيدة بالمقارنة باهتمامه بالجزيرة العالمية.

أما عن التنظيم الجيوبولتيكي للعالم، فقد أبدى ما كندر تخوفه مما لمنطقة القطب الشمالي من إمكانيات حربية عظيمة. ويبدو هذا فيما كتبه في سنة ١٩٠٤ فقد قال: «إن رجحان كفة ميزان القوة لمصلحة الدولة التي تحتل منطقة الارتكاز وما ينشأ عنه من توسع ينتهي بها إلى الأراضي الحدِّية في كل من أوربا وآسيا سوف يضع في متناول يدها موارد قارية هائلة تستعين بها على بناء الأساطيل فيصبح بذلك تكوين الإمبراطورية

العالمية أمرًا محتمل الوقوع»[1]. ولو طُبِّقت هذه الفكرة على الوضع القائم.... الآن[2] لأصبحت الجزيرة العالمية قاعدة ضخمة للقوى البحرية والبرية والجوية لا يسع القسم الباقي من العالم سوى الخضوع لها.

وأخوف ما كان يخافه «ما كندر» أن تتمكن ألمانيا من إخضاع روسيا لنفوذها وسلطانها، ذلك لأن المنطقة السهلية الفسيحة الممتدة على طول القسم الشمالي من منطقة القلب يمكن تتبعها حتى السهول الشمالية في ألمانيا، من غير أن تكون هناك حدود طبيعية تفصل بين هاتين الدولتين، الرايخ وروسيا، وإذا كان «فرسان سهوب» وسط آسيا – الأتراك والمجيار– قد تمكنوا قديمًا من غزو القارة الأوروبية، فهل هناك الآن ما يحول دون تغير اتجاه هذا الغزو، فتتحول الجحافل الألمانية شرقًا؟ وفي هذه الحال، هل تستطيع منطقة القلب، إذا ما اتسع لها الوقت، أن تصبح قاعدة لفتح العالم كله؟

على هذا الأساس وضع «ما كندر» نظريته ذات الأركان الثلاثة، تلك النظرية التي كان الألمان على معرفة تامة بها، والتي لم يفطن إليها

---

(1) قد يكون من المفيد أن نورد هنا النص الإنكليزي لأهميته في الأبحاث التالية:

«The oversetting of the balance of power in favour of privot state, resulting in its expansion over the original lands of Euro-Asia would permit of the use of vast Continental resources for fleet building and the empire of the world would then be in sight»

(2) الإشارة هنا إلة سنى الحرب الثانية، إذ أن هذا الكتاب قد نشر خلال هذه الفترة.

المترجمان

الإنجليز والأمريكان إلا أخيرًا ... وخلاصتها:

«إن من يحكم شرق أوربا يتسلط على منطقة القلب.

«وإن من يحكم منطقة القلب يتسلط على الجزيرة العالمية.

«وإن من يحكم الجزيرة العالمية يتسلط على العالم كله».

والآراء متضاربة فيما إذا كانت النظرية التي تقدم بها السير هالفورد ما كندر صحيحة في مجموعها أم لا: ففي رأي Nicolas J.Spyman الأستاذ بجامعة Yale بأمريكا، وهو من المتعمقين في السياسة العالمية، أن من يحكم المناطق الساحلية يتسلط على الجزيرة العالمية، على حين أن الميجر George Fielding Eliot قد قال في صيف سنة ١٩٤٢ إنه لا يوجد سبيل للتهرب من منطق «ما كندر».

وفي صيف سنة ١٩٤٣، يوم أن كانت روسيا تقدم الدليل تلو الدليل على متانة مركزها الحربي وعندما كانت قوة الولايات المتحدة تتزايد يومًا بعد يوم –عادسير هالفورد ما كندر» إلى نشر آرائه في الجيوبولتيكا ومؤكدًا من جديد إيمانه الراسخ (انظر شكل ٣) في نظرية المنطقة القلبية، ومنهبًا إلى أنها قد أصبحت اليوم «أكثر ثبوتا مما كانت من عشرين أو أربعين سنة مضت». غير أننا نراه يستبعد في هذه المرة إقليم لينا لاند Lena Land (حوض نهر لينا) من منطقة القلب، كما يعترف بأن سواحل المحيط المتجمد الشمالي لم تعد، بعد استعمال الكسارات الثلجية الضخمة وبعد تقدم فنون الطيران، كما أنها بعيدة

المنال كما كانت من قبل. كذلك يشير هذا الجغرافي البريطاني إلى أن محور ارتكاز القوة العالمية أصبح يمتد من نهر ميسوري حتى نهر ينسى، مؤيدًا بذلك الدور الهام الذي أخذت الولايات المتحدة تقوم به في الشئون العالمية. وقد أطلق على المحيط الأطلنطي الشمالي اسم المحيط الأوسط، وفيه تقوم الجزائر البريطانية وكأنها «مالطة» كبيرة، كما تقوم فرنسا بدور رأس جسر يمكن الدفاع عنه، أما الولايات المتحدة فعبارة عن قاعدة ضخمة تستمد قوة دفاعها من اتساعها. وهو يرى أن مجرد خوف ألمانيا من اضطرارها لمحاربة كل من القلب ممثلا في الروسيا، والأراضي المطلة على هذا المحيط الوسط، ممثلة في الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، سوف يكبح من جماحها.

* * *

تصور «ماكندر» الأرض محاطة بنطاق من البراري والقفار الموحشة يشمل الصحراء الكبرى والصحراء العربية وهضبة إيران وبلاد التبت ومنغوليا ولينالاند والأسكا والدرع الكندي، وهذه تحصر داخلها منطقة القلب والمحيط الأوسط والبحار الأربعة المتفرعة منه: البحر المتوسط وبحر البلطيق والمتجمد الشمالي والبحر الكاريبي. أما خارج هذا النطاق فيوجد المحيط العظيم المكون من الهادي والهندي والأطلنطي الجنوبي، ثم الأراضي التي تنصرف مياهها إليه، أي أمريكا الجنوبية وأستراليا وأفريقية فيما جنوبي الصحراء الكبرى وآسيا الموسمية. ويتنبأ هذا الجغرافي البريطاني بأن سكان الأقاليم الاستوائية والمدارية في كل من

أمريكا الجنوبية وإفريقية سوف يبلغون حوالي الألف مليون نسمة إذا ما نجح علم الطب في جعل القوة الإنتاجية لهذه المناطق معادلة لنظيرتها في الجهات المعتدلة، وفي الوقت الحاضر بحد أن الألف مليون من السكان الذين يعيشون في الصين والهند الموسمية يوازنون الألف مليون الموجودين فيما بين نهري ميسوري وينسى.

وجاء اللواء الأستاذ الدكتور «كارل هوسهوفر» فدرس بكل دقة وعناية كتابات السيرهالفور ماكندر. ولقد ولد هذا القائد في ولاية بلغاريا سنة ١٨٦٩، والتحق خلال المدة ١٩٠٨- ١٩٠٩ بالجيش الياباني مدربًا لمدفعيته، فتهيأت له بذلك الفرصة لدراسة أحوال هذه البلاد وأحوال سكانها والوقوف على الشئون المتصلة بالمحيط الهادي. وقد ظهرت آثار هذه الدراسة في كتابه: «جيوبولتيكا المحيط الهادي» (Geopolitik der pazifischen Ozeano) الذي يعتبر أهم مؤلفاته. كذلك نراه يتقدم في سنة ١٩١١ لجامعة ميونخ برسالة عن اليابان للحصول على الدكتوراة منها. كذلك خدم في الحرب العالمية الأولى وارتقى في الجيش القيصري حتى وصل إلى رتبة اللواء والطريف أن ياوره إذ ذاك كان ردولف هيس Rudolf Hess. ولما أن انتهت هذه الحرب وعاد إلى الحياة المدنية صرف همه إلى البحث في الأسباب التي أدَّت إلى انهيار ألمانيا الإمبراطورية. وعين في سنة ١٩١٨ مدرسًا للجغرافية والتاريخ الحربي بجامعة ميونخ ووصل فيها إلى منصب الأستاذية سنة ١٩٢٠. ثم أسس بعد ذلك بقليل «معهد ميونخ للجيوبولتيكا» وغايته البحث في «نشأة هذا العلم وأسسه». وفي سنة ١٩٢٤ بدأت مجلة

Zeitochrift fûr politik تنتشر آراءه الخاصة في علم الجيوبولتيكا.

والتقى «هوسهوفر» بهتلر لأول مرة في سنة ١٩٢٣، عندما كان «الفوهرر» سجينًا في قلعة لا تدزبرج، ويوم كان منهمكا في تأليف كتابه «كفاحي» Mein Kampf، وقد تم تعارفهما على يدي «رودلف هيس» وهو صديق حميم لهتلر وأحد تلاميذ هوسهوفر. وما أن تأسّس الرايخ الثالث حتى منحت الحكومة النازية المعهد الجيوبولتيكي إعانة مالية يستعين بها على متابعة أبحاثه. كما عُين «هوسهوفر» في سنة ١٩٣٤ رئيسًا للأكاديمية الألمانية. هذا وقد تعددت مظاهر النشاط الذي قام به «هوسهوفر» ... فهناك أولًا الإحصائيات التي جمعها المعهد الميونخي تدعيما لآراء رئيسه، تلك الآراء التي اعتمد فيها إلى حد كبير على كتابات «ما كندر» وعلى حين كان هتلر يوجه خطاباته إلى جموع الشعب، كان «هوسهوفر» يعمل على استمالة الطبقات المثقفة عن طريق المقالات التي كان ينشرها. كذلك استطاع المعهد بفضل الأبحاث التي قام بها علماؤه المنتشرون في جهات العالم المختلفة أن يمد دوائر الحكومة الألمانية بالكثير من الحقائق والمعلومات النافعة. وقد نجح بصفة خاصة في جميع الحقائق المتصلة بأمريكا الجنوبية بفضل أعوان ألمانيا النازية المنتشرين هناك. أما أمريكا الشمالية فلم يكن لها حظ يذكر من عنايته.

ولما كانت هيئة أركان حرب الجيش الألماني قد ألغيت بموجب معاهدة فرساي سنة ١٩١٨، فقد قام معهد ميونيخ فيما بين سنة

١٩٢٠ والسنوات القليلة التي تلت سنة ١٩٣٠ بالنصيب الأكبر من أعمال هذه الهيئة. وليس من شك في أن حملات هتلر العسكرية استفادت إلى درجة كبيرة مما جمعه لها «هوسهوفر» من بيانات وحقائق. وأخيرًا فإننا نرى آثار هذا المعلم القدير جلية واضحة في السياسة الخارجية التي اتبعتها الحكومة النازية حتى بدء حملتها على الروسيا، فكثيرًا ما كانت المقالات التي تنشرها مجلة Zeitochrift fur Geopolitik نفصح عما ينتوي النازيون القيام به من نشاط خارجي.

هذا ولسوف تثير نهاية الرايخ الثالث المرتقبة مشكلة مصير «المعهد الجيوبولتيكي» ولكن من المحتمل أن يقال إذ ذاك إنه لم تكن هناك أية علاقة مباشرة بين المعهد في ميونخ وبين ولهمستراس[1] في برلين.

أما عن الروابط الشخصية بين هوسهوفر وهتلر فهذه كانت محدودة للغاية، وذلك لما بينهما من تباين كبير: فاللواء «هوسهوفر» دكتور في الفلسفة من جامعة ميونخ ووصل إلى رتبة اللواء في الجيش القيصري، وهو إلى جانب هذا وذاك جغرافي ممتاز؛ أما هتلر فلم يكن من طّلاب الجامعات وأقصى ما وصل إليه في الحرب العالمية الأولى هو رتبة «الصول» ولم يُظهِر تفوقًا من أي نوع في المرحلة الأولى من حياته. ولكن يلاحظ إلى جانب ذلك أن كلا من الرجلين اتخذ، بعد الحرب العالمية الأولى، مدينة ميونيخ مقرًا له وركّز فيها نشاطه، فانصرف أحدهما

---

(١) مقر الحكومة الألمانية. المترجمان.

إلى السياسة والآخر إلى السياسة الجغرافية. ولقد التقى هوسهوفر بهتلر عندما كان ثانيهما يعد كتابه «كفاحي» ولكن أواصر الصداقة لم تتوثق بين الرجلين. غير أن هذا لم يحل دون تأثر هتلر بآراء الكاتب الجغرافي كما يبدو واضحًا في الفصل الرابع عشر من كتاب Mein Kampf وخاصةً في موضوع أهمية المجال الأرضي. Space. هذا ولما كانت زوجة هوسهوفر غير آرية فإنه لم يكن من بين أعضاء الحزب الاشتراكي الوطني. وهو وإن كان قد عُينَ رئيسًا للأكاديمية الألمانية في سنة ١٩٣٤، فإن مصيره لم يكن من الضروري أن يرتبط بمصير هتلر؛ لأنه حتى إذا ما دعت الظروف إلى غلق معهد السياسة الجغرافية بعد انهيار الرايخ الألماني، فإن تعاليم هذا المعهد سوف تبقى من بعده.

ولا يلمس الباحث في كتابات «هوسهوفر» في أية ناحية من نواحيها صورة واضحة يمكن أن يستبين منها الخطوط الرئيسية للسياسية الجغرافية كما تصوّرها هو فمدرسة ميونيخ مثلا –على عكس ما يقدِّره البعض– لم تضع خطة محدّدةً واضحة لغزو الولايات المتحدة.

أما مؤلفاته فكثيرة، فهو إلة جانب توليه رياسة تحرير مجلة Zeitschift fur Geopolitik، صاحب كتاب «السياسة الجغرافية للمحيط الهادي» وقد أشير إليه فيما سبق، وكتاب السياسة الجغرافية لتقرير المصير –١٩٢٣ Geopolitik der Selbsteslimmung ثم كتاب «الحدود» – ١٩٢٢ Grenzer«والسياسة الجغرافية العسكرية ١٩٣٢– Wehr Geopolitik و«السياسية العالمية في الوقت

الحاضر» Welitpolitik Vonletile ١٩٣٤ «والمحيطات العالمية والدول العظمى» Weltmeer Und Weltmachte ١٩٣٤– كذلك أشرف على جمع وتحرير كتاب «ما وراء الدول الكبرى» – ١٩٣٢ Fenseito her Gross Màchte وكتاب «العالم والقوة» – ١٩٣٥– Macht and erde أما معاونوه في مدرسة ميونيخ فأجدرهم بالذكر ابنه Albercht ثم Wulf Seiwert, Erich obst Guatav F. ohler Hauke Joseph Marz, Otto Maull,.

وتتخلص آراء هوسهوفر بوجه عام في موضوعات ثلاثة: تعاليمه بصفة عامة، والناحية العسكرية للسياسة الجغرافية، ثم تأملات وآراء في الدول الكبرى.

أما عن تعاليمه بصفة عامة فإن أهم ما يلاحظ عليها أنه كان متأثرا إلى درجة كبيرة بفكرة المجال الجغرافي، «فالمجال» على حد قوله «يتحكم في تاريخ البشرية» وقد سبقه راتزل إلى ذلك فقال: «إن تدهور كل دولة هو نتيجة لتدهور وضعف فكرة المجال الأرضي عندها». وهوسهوفر من المؤمنين بأن الدولة يجب أن تتسع أو تهلك. وفي تطبيق هذا المبدأ تسليم ضمني بأن قيام الدولة الضخمة Superstate معناه زوال الوحدات الصغرى. وقد وجدت هذه الفكرة –فكرة المجال– قبولا عظيما لدى علماء الجيوبولتيكا من الألمان فناصروها بكل ما فيهم من قوة، ومن ذلك الكتاب الذي ألفه Edward Banse الأستاذ بكلية برنزويك المهنية، وأطلق عليه اسم «المجال الجغرافي والبشري في

الحرب العالمية Raum und Volk im Welt kreig والذي أثارت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية تحت عنوان «ألمانيا تستعد للحرب» Germany Prepares for Warجدلا عنيفا، ولكنه جدل لم يحل دون ترقية كاتبه إلى رئاسة القسم الفني لهيئة أركان حرب الجيش الألماني. كذلك كان هوسهوفر من المحبذين لمبدأ «منرو» الذي تقوم عليه سياسة نصف الكرة الغربي، على اعتبار أنه نموذج يمكن أن تحتذي به ألمانيا في مجالها. الجغرافي العالمي. وقد ذهب علماء الجيوبولتيكا الألمان في خيالهم إلى أبعد من ذلك فتصوروا العالم وقد قسِّم إلى ثلاث دول عالمية ضخمة هي: الولايات المتحدة في نصف الكرة الغربي، واليابان في شرق آسيا ثم ألمانيا في أوربا وإفريقية وكذلك منطقة القلب.

أما فكرة ضغط السكان وتكاثفهم، فقد اتخذ منها معهد ميونيخ مجرد وسيلة للدعاية، لأن هوسهوفر نفسه لم يكن من المعتقدين بأن حتى اليابان قد زاد سكانها عن الحد الذي يتفق ومواردها الطبيعية. ولكنه كان يؤمن بأن السيادة على المجال يجب أن تأتي عن طريق المؤثرات الجغرافية والجنسية، فمن ذلك مثلا أن حكم الولايات المتحدة لجزر هاواي يسير في طريقه إلى الزوال بسبب ما سوف تأتي به الأيام من تسلط اليابان عليها من الناحيتين الجنسية والجغرافية. وهناك فئة متحمسة من علماء الجيوبولتيكا تنظر إلى مشكلة ضغط السكان من ناحية واحدة، وهي ناحية العلاقة بين المجال الأرضي وعدد السكان، ففي رأيهم مثلا أن أستراليا –ومساحتها قدر مساحة الولايات المتحدة الأمريكية– يمكن أن تتسع لمائتين وعشرين مليونًا من النفوس، غافلين

عن أن هذه المشكلة –مشكلة ضغط السكان– أعقد من ذلك بكثير لأنها تتناول –إلى جانب المساحة الجغرافية– الموارد الطبيعية ومدى استغلالها ثم عدد السكان ونسبة زيادتهم ومستوى معيشتهم. ولكن هذه كلها كانت، في نظر علماء الجيوبولتيكا الألمان، اعتبارات ثانوية، لما يمكن أن تفيده الدعاية الألمانية من إثارتهم لهذه المشكلة.

ومن الآراء الأخرى التي قبلها واعتنقها اللواء «هوسهوفر» تلك الفكرة التي عالجها كل من Ratzel Kjellen من قبله، وهي أن «الدولة كائن حي»، ومن ثم جاء تشخيصه للأدواء التي تشكو منها الدولة الألمانية مبنيًا على ضوء المجال الأرضي (Raum) الذي يتلاءم وموقعها الجغرافي (Laqe) حينذاك. وكانت تذكرة الدواء التي انتهى إليها علاجه لهذه الحال هي تلك اللفظة التي انطلق بها لسان كل زعيم ألماني –Lebensvaum– وترجمتها «المجال الحيوي» ذلك المجال الذي لا غنى عنه لحياة الشعب الألماني وتقدمه. وقد ذهب Lin Yu-tàng (الكاتب الصيني) إلى أبعد من ذلك في تعريفه للجيوبولتيكا فقال إنها علم «الدم والتربة». ومن أحب الروايات إلى الألمان وأكثرها شيوعًا بينهم فيما بعد سنة ١٩٢٦ رواية (Volk ahne Raum) وترجمتها «قوم بلا مجال»، وهي قصة أحد المهاجرين الألمان في جنوب غربي إفريقية[1] وكفاحه ضد الاستعمار البريطاني.

---

(١) كان جنوب غربي إفريقية إحدى المستعمرات الألمانية التي سلخت عنها بعد الحرب العالمية الأولى ووضعت تحت انتداب حكومة اتحاد جنوب إفريقية.

وثمة موضوع آخر كان محببا لدى علماء الجيوبولتيكا، ذلك هو موضع الكتابة الاقتصادية أو ما يعبرون عنه باسم Autarky، وقد طلبوا بشدة من ألمانيا، في كتاباتهم، أن تصبح وحدة تسد حاجتها بنفسها، ناظرين بذلك إلى الأهمية القصوى التي لهذا السلاح –سلاح التحكم الاقتصادي– في كل توسع سياسي، وفي هذا يقول Otto Maull «إن التغلغل الاقتصادي الكامل، له تمامًا نفس الآثار التي تترتب على الاحتلال الأرضي».

هذا وقد أعدت مدرسة ميونيخ قائمة بفئة معينة من المقاييس الجيوبولتيكية أو مظاهر الضغط داخل أية دولة من الدول، ومن هذه موقع العاصمة فهو دليل على درجة استقرار الحالة الداخلية للبلاد؛ فانتقال العاصمة من مدينة بطرسبرج إلى موسكو كان عملًا موفقًا بسبب ما للمدينة الأخيرة من ميزة على المدينة الأولى في حالة الغزو الخارجي؛ وقد برهن حصار النازيين لمدينة لينجراد على حكمة ذلك. كذلك كان الحال عندما نقل الأتراك عاصمتهم من مدينة إستانبول على الساحل الأوربي للمضايق إلى أنقرة في هضبة الأناضول بآسيا الصغرى، لأن الدفاع عن أنقرة أسهل بكثير من الدفاع عن إستانبول في تركية الأوربية. كذلك يرى «هوسهوفر» أن اختيار كنبرا Canberra عاصمة لأستراليا اختيار موفق وخصوصًا إذا أخذنا بعين الاعتبار توسط موقعها في حالة

انضمام نيوزيلاند إلى اتحاد الأنزاك Anzac[1] أما موقع باريس عاصمة فرنسا فله إلى جانب أهميته الجغرافية أهميته النفسية الخطيرة بالنسبة لسكان هذه البلاد. كما يدل على ذلك تاريخها الحديث. فقد كان سقوط باريس في يد الأعداء مؤذنًا بانهيار فرنسا كلها. وقد حدث هذا على أثر احتلال الحلفاء لباريس بعد موقعة واترلو في سنة ١٨١٥، وبعد احتلال الألمان لها في الحرب البروسية الفرنسية (١٨٧٠– ١٨٧١)، وعند احتلال الألمان لها في الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠. أما في الحرب العالمية الأولى، فقد وصل الألمان في زحفهم سنة ١٩١٤ إلى أميال قليلة من هذه المدينة ثم تراجعوا بعد موقعة «المارن» فنجت المدينة وصمدت فرنسا حتى النهاية.

ومن المعايير الجيوبولتيكية التي وضعها «هوسهوفر» درجة تحضر وتجمع السكان –Urbanisation– فهو يعتقد أن انتقال السكان إلى الحضر يقلل من درجة تحكمهم في التربة «Soil Maslery»، كما يضعف من نسبة المواليد ويسبب مشكلات عسكرية للدولة في أثناء الحرب، ومن رأيه أن مقومات الدولة القوية أربعة: عدد وفير من السكان ونسبة عالية للمواليد، واتحاد تام بين دم سكانها وتربتها، ثم توازن عادل

---

[1] وهي لفظة مكونة من الحروف الأولى للوحدات العسكرية لأستراليا ونيوزيلاند: Australia and New Zealand Army Corps. وقد استعملت هذه اللفظة للمرة الأولى في الحرب العالمية الأولى ومما يذكر أن هذه القوات جاءت إلى مصر واشتركت في الهجوم الفاشل الذي شنته إنكلترا على الدردنيل إذ ذاك. المترجمان

بين سكان حضرها وريفها.

والمقياس الثالث هو وجود منطقة تصادم تتلافى عندها حدود الدول المتنافسة. ويذكر على سبيل المثال لذلك جزائر الفيلبين، فهي توضح موقف الولايات المتحدة واليابان الواحدة من الأخرة. فسكان هذه الجزائر كلما لمسوا في اليابان روح التوسع الاستعماري أظهروا ولاءهم للأمريكيين، أما إذا ما شغل اليابانيون عن التوسع بأمورهم الداخلية، فإننا نرى الفلبيين وقد علا صوتهم مطالبين بكامل استقلالهم.

هذه هي تعاليم «هوسهوفر» بصفة عامة. أما عن رأيه في الناحية العسكرية للجيوبولتيكا، فنراه يؤكد أن قوام القوة العسكرية ثلاث: الجيش، والأسطول، وسلاح الطيران. أما عن الجيش فيقول «لا يزال المشاة هم الذين يقررون مصير القتال لأنهم هم الذين يستولون على المجال الأرضي». ويقول في القوة البحرية: «إن زحف أية دولة من الدول نحو المجد يجب أن ينظر إليه على أنه خطوة من الخطوات السياسية الحاسمة في تاريخ العالم». ولما كانت السيادة البحرية ضرورية لنجاح العمليات الحربية الواسعة، فقد أخطأ القيصر خطأ جسيمًا عندما أحجم عن استخدام أسطوله في الهجوم على أعدائه؛ ومع ذلك نرى هتلر لم يستخدم الأسطول الألماني إلا في حملةٍ واحدة –هي «غزو النرويج». أما عن السلاح الجوي فهو قليل التحمس له على عكس الميجر «سفرسكي» Major Seversky الروسي. وتقتصر نظرة «هوسهوفر» إلى القوة الجوية على أنها قوة مكملة للجيش والأسطول

فقط. أما القواعد الأساسية في داخل البلاد، فلها في نظره خطورتها الحربية لأنها المطارات التي تخرج منها القوة الجوية، كما أنها في الوقت نفسه هدف يصوب إليه العدو قنابله. هذا وقد أبرز «هوسهوفر» في كتاباته الفرق بين الحدود القارية والحدود البحرية للدولة. فالأولى تحد من نموها؛ أما الثانية فإنها تفتح الطريق أمامها إلى مختلف البحار والسواحل. وعلى هذا الأساس أهاب بالشعب الألماني ألا يقع في خطا الاقتناع بكونه دولة أرضية كبرى.

ومن رأيه أن القواعد الحربية قد بدأت تفقد أهميتها الاستراتيجية، وحلت محلها –من هذه الناحية– القواعد الكبرى: فجبل طارق ليست له الأهمية التي لإسبانيا وليست لجزيرة سنغافورة، الواقعة في النهاية الجنوبية لشبه جزيرة الملايو، الأهمية التي للقاعدة الكبرى المكونة من جنوب شرقي آسيا كله. هذا ما قدّره «هوسهوفر» في سنة **١٩٣٩**، وقد أضاف إليه أن سنغافورة، تلك القلعة البحرية المنيعة، يمكن التغلب عليها بالزحف من الجهة الأرضية، وأن مجرد تملك منطقة قناة السويس لا قيمة له من الناحية الحربية إذا لم تكن كل من مصر وفلسطين خاضعتين لنفوذ الدولة التي تتحكم في القناة. وقياسًا على هذه النظرية، أصبحت قاعدة هونج كونج لا قيمة لها لبريطانيا حتى من قبل الاعتداء على ميناء بيرل هاربر، كما لم تكن لمدينة بينانج Penang القائمة على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو البريطانية أدنى قيمة من الناحية الإستراتيجية.

وبذكر لنا «هوسهوفر» أيضًا أن الرقعات الصغيرة مناطق يمكن أن يستعان بها في الهجوم، أما البلاد ذات الرقعة الكبيرة فهي تساعد في الدفاع. وهو إذ يقرر هذا يستشهد بكل من هولاند وروسيا. فالأولى رغم دفاعها المجيد لم تلبث أن سقطت في أيدي الغزاة –ألمانيا في الحرب العالمية الثانية– على حين أن الثانية تمكنت من الدفاع عن نفسها داخل بلادها المترامية الأطراف، وبهذه المناسبة نراه يحذر ألمانيا من القتال في ميدانين في وقتٍ واحد، وتحضره في هذا، الذكريات المؤلمة للحرب العالمية الأولى حينما ظلت الجيوش الروسية واقفة في الميدان الشرقي من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٧، وحينما بقيت القوات الإنجليزية والأمريكية والفرنسية صامدة في الميدان الغربي حتى النهاية. وبصفته رجلا من رجال التاريخ نراه ينصح ألمانيا ألا تكون هي البادئة بإعلان حرب لأن هذا يجر عليها وصمة العدوان. وقد عمل هتلر في الحرب الأوربية الثانية بهذه النصيحة ولم يشذ عنها إلا في حالة واحدة. وذلك عندما أعلن الحرب على الولايات المتحدة. ومن تعاليمه الأخرى أن يكون الاحتلال العسكري للمجال الأرضي احتلالا كاملا شاملا. وبذلك يمكن القضاء على حرب العصابات، تلك الحرب التي قامت في الصين بعد المجهودات المهلكة التي بذلتها الجيوش اليابانية لإخضاع تلك البلاد. وأخيرًا نراه ينصح بعدم محاولة الاستيلاء على المدن عن طريق الهجوم المواجه، ويفضِّل أن تحاصر المدينة وأن تُمنع عنها جميع الإمدادات. ولسوف تظل ذكريات موقعة ستالينجراد الأليمة ماثلة أمام هذا المعلم القدير.

أما عن آرائه وتأملاته في الدول الكبرى، فقد اتبع «هوسهوفر» في جميع كتاباته عنها الناحية الواقعية. فهو يسمى روسيا قرصان السهوب pirates the steppes كما يسمى بريطانيا قرصان البحار. Pirates of the Sea. وروسيا في اعتقاده، إن هي إلا مجموعة من أقليات جنسية يجب العمل على تقسيمها إلى الوحدات التي تتكون منها مثل أوكرانيا، ومنطقة الفولجا، وإقليم بحر البلطيق هذا وقد كانت حملة نابليون على الروسيا أهم الحوادث التاريخية التي فيها باحثو الجيوبولتيكا الألمان واستشهدوا بها. كذلك يبدو لنا أن معاهدة عدم الاعتداء التي عقدت بين روسيا وألمانيا في سنة ١٩٣٩ كانت أكثر قبولا لدى «هوسهوفر» من غزو النازيين لتلك البلاد في يونية سنة ١٩٤١. أما عن إنجلترا. فمن رأيه أن الإمبراطورية البريطانية تسير نحو الانحلال. ومن الأمثلة التي يسوقها ظهور بعض الأساطيل المناهضة للأسطول البريطاني في سيطرته على البحار، واضطراد الحركة الاستقلالية في الممتلكات المستقلة (الدومينيون)، وحتمية فقدان هذه الدولة لقواعدها الحربية في حالة نشوب حرب. وهو ينصح ألمانيا بألَّا تحارب إنجلترا إلَّا بعد أن يتم لها السيطرة على كل من روسيا وفرنسا. ويرى «هوسهوفر» أن فرنسا قد بلغت درجة الركود من الناحيتين البيولوجية والسياسية؛ ولهذا سوف تسقط غنيمةً باردة في أيدي الألمان بعد حرب أو دون حرب إطلاقًا. ولم يكن لإيطاليا شأن يذكر في نظر علماء الجيوبولتيكا الألمان؛ ولهذا لم يعيروها إلَّا القليل من اهتمامهم.

ولما كانت الولايات المتحدة غير داخلة في النظام الذي وضعه

«هوسهوفر» لمبادئ الجيوبولتيكا، فإننا لا نجد لها إلّا ذكرًا قليلا في كتاباته، ومن هذه الإشارات القليلة قوله مرةً «إنها الدولة الوحيدة ذات الجيوبولتيكا الناضجة»، وقوله مرة أخرى في سنة ١٩٣٧: «ليس في وسعنا أن نتنبأ بالجهة التي سوف يمتد إليها إصبع السياسة الأمريكية، فقد تكون أوروبا وقد تكون آسيا وقد تكون إفريقية. غير أن معظم الدلائل تشير إلى المحيط الهادي.» ثم قوله في موضع ثالث: «إن الشعب الألماني في جملته لا يحمل للأمريكيين من الذكريات الطيبة إلَّا الشيء القليل. والخير كل الخير ألا نسمع بهم وألا نراهم».

ثم يتحدث عن اليابان فينصح بعقد تحالف بين برلين وطوكيو. وفي اعتقاده أن الحرب لا بد قائمة بين اليابان والولايات المتحدة بسبب ما لبريطانيا وهولاند وفرنسا من ممتلكات في المحيط الهادي. غير أنه في الوقت نفسه لا يستبعد احتمال قيام الحرب بين ألمانيا واليابان نفسها. لأن المعركة النهائية التي سوف تقرر مصير السيادة العالمية سيكون ميدانها في المحيط الهادي. أما الصين، فيرى أنه من الممكن استخدامها سلاحًا تحارب به كل من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، ولهذا أزعجه كثيرًا قيام الحرب بينها وبين اليابان في سنة ١٩٣٧، إذ كان من أنصار استمرار السلم قائمًا بين هاتين الدولتين. فقد تخيل هذا الكاتب ألمانيا والروسيا والصين واليابان وقد كونت كلها في النهاية وحدة واحدة تعمل بوحي من برلين.

وإذا نحن عدنا إلى اليابان نجد أن كتابها كانت لهم أيضًا آراؤهم

في الجيوبولتيكا. ولكن هذه الآراء لم يكن لها من الوزن ما كان لآراء معهد ميونخ. يضاف إلى هذا أنه لم يقم فيهم كاتب واحد يقابل اللواء «هوسهوفر» ومع هذا فهناك من ينظرون إلى مذكرة تانا كا Tanaka Memorial على أنها تعبير صادق من جانب اليابانيين للتوسع الجيوبولتيكي. فقد قدم البارون «تانا كا» كما يزعم بعضهم، مذكرته هذه المكونة من عشرة آلاف كلمة، إلى إمبراطور اليابان في الخامس والعشرين من شهر يولية سنة **١٩٢٧**. وما كاد الصينيون يذيعون سر هذا المستند حتى سارع اليابانيون بالطعن فيه بالتزوير. ومع أن الصينيين لم يقدِّموا الدليل القاطع على صحة معلوماتهم فإنهم يعتقدون أن هذه الوثيقة صادرة عن جهة يابانية لها وزنها. ونحن من جانبنا نرى في بقاء هذه المذكرة قائمة، ومن الحوادث التي وقعت مؤخرًا في المحيط الهادي ما يحملنا على الاعتقاد بأنها لم تكن كلها مدسوسة. وفي هذا يقول Ruberf Aura Smith وهو من الكتاب المشهورين بمعرفتهم الدقيقة لشئون الشرق الأقصى: «لو سلمنا بتزوير هذا المستند، لوجب علينا أن نعترف لبعض الصينيين بأنهم أعظم الأنبياء الذين ظهروا منذ أشعياء». ومع ذلك، فمن المحتمل أن تكون هذه المذكرة هي نتيجة مباحثات أحد المؤتمرات التي عقدها بعض الموظفين اليابانيين لدراسة شئون الشرق الأقصى وتقرير المساعدات التي يمكن أن يقدموها لحكومتهم لتحقيق سياستها الإيجابية في منشوريا.

والكثير مما ورد في هذه المذكرة يبدو الآن (في سنة **١٩٤٢**) مطابقا للواقع إلى درجة كبيرة. انظر إلى العبارة الآتية:

«ولكي تتم لليابان حماية نفسها وحماية غيرها، يتحتم عليها أن تزيل الصعاب التي تعترضها في شرق آسيا، وهذا لن يتأتى لها إلا إذا اتبعت سياسة الدم والحديد. غير أن تنفيذ هذه السياسة يتطلب الوقوف في وجه الولايات المتحدة التي ألّبتها علينا السياسة الصينية القائمة على محاربة السم بالسم. وعلينا في المستقبل. إذا نحن أردنا أن نبسط سيادتنا على الصين، أن نقضي أولًا على الولايات المتحدة، مثلما اضطررنا في الماضي إلى خوض عمار الحرب الروسية اليابانية. وإخضاع الصين يجب أن يسبقه إخضاع منشوريا ومنغوليا، كما أن التسلط على العالم كله يجب أن يسبقه التغلب على الصين، لأننا إذا نجحنا في التغلب على هذه البلاد، ارتعدت خوفا منا فرائص بقية الدول الأسيوية ودول المحيط الجنوبي واستسلمت لجيوشنا، وإذ ذاك يشعر العالم بأن شرق آسيا أصبح لنا ولن يجرؤ أحد على منازعتنا فيه. هذه هي الخطة التي رسمها لنا الإمبراطور ميجي Mejji والتي أصبح نجاحها ضروريًا لبقائنا القومي ...».

هذا وقد شهد نائب الأميرال Joseph K. Taussig أمام اللجنة البرلمانية لشئون البحرية في أبريل سنة ١٩٤٠ باعتقاده بصحة هذه المذكرة، ولكن وزارة البحرية اليابانية أنكرت على نائب الأميرال رأيه هذا، وقامت السفارة اليابانية في واشنجطون بإظهار ست متناقضات في النص الذي نشر مستشهدةً بهذه المتناقضات على «تزوير» هذه المذكرة و«دسها» على حكومتها. ومن بين هذه المتناقضات استحالة حضور الأمير Yamagota لمؤتمر يعقده الأمير تيشو Taisho في سنة ١٩٢٢

لأن هذا الأمير كان قد انتقل إلى رحمة مولاه قبل ذلك التاريخ، وأنه من غير الممكن أن ترسل كريمة القائد Fukushima إلى منغوليا لتكون مستشارة لأحد أمرائها، لأن هذه السيدة لم تزر تلك البلاد قط.

إزاء هذا كله، فإن المصدر الحقيقي لمذكرة «تاناكا» لا يزال يحوطه الشك والغموض.

وإليك الآن مظهرًا طريفًا من مظاهر الفكر الجيوبولتيكي الياباني، وهو يتمثل هذه المرة في مجموعات من المحاضرات أذاعها Sunekichi Komaki أستاذ الجغرافية بجامعة طوكيو الإمبراطورية، على أثر سقوط سنغافورة – (في أيدي اليابانيين) –وهو وإن لم يكن في أحاديثه ناطقًا بلسان حكومته، إلاّ أنه أذاع محاضراته هذه من محطة إذاعة حكومية، كما أنه يمثل جامعة حكومية. وفيما يلي مقتطفات مما صرح به في إحدى هذه المحاضرات:

«عندما وصل كولمب .... وجد أن هذه البلاد الجديدة يسكنها جماعة من الهنود فظنها جزءًا من الهند، ولما كانت في الواقع جزءًا من قارة آسيا بمعناها الأصلي، فمن المعقول، بل ومن البديهي أن يطلق على أمريكا اسم القارة الآسيوية الشرقية .... وقد احتلت أوربا أستراليا لبضع مئين من السنين مضت، وكان يسكن تلك البلاد إذ ذاك قرابة المليون من الوطنيين .... جميعهم من الشعوب الآسيوية، وحتى الأوربيين أنفسهم يعترفون بأن أستراليا جزء من آسيا، إذن فلنطلق عليها اسم القارة الآسيوية الجنوبية .... إن القسم من العالم شمالي البحر المتوسط، وإلى

الغرب من البحر الأسود يكوّن القارة التي عرفت باسم أوروبا، ولكن المتأمل في الخريطة يرى أن هذا القسم بأكمله جزء من آسيا .... وعلى هذا فأوربا إن هي إلَّا قسم من آسيا .... وإفريقية أيضًا جزء من القارة الآسيوية، وقد اعتبرها الإغريق الأقدمون هكذا. فقد اتفقوا على اعتبار البحر المتوسط حدًا غربيًا لآسيا، والمحيط الهادي جزءا من آسيا، والمحيط الأطلنطي جزءا من آسيا أيضًا، وليست هناك بحار سبعة، وإنما هي بحر واحد على اتصال ببلاد اليابان، بلاد الشمس المشرقة!! إن مياه العالم كلها متصلة بالمياه اليابانية، وعلى هذا يجب أن تطلق منذ الآن على محيطات العالم مجتمعة، اسم المحيط الياباني العظيم». وهكذا تعاون الألمان واليابانيون فيما بينهما على تقسيم العالم إلى وحدات جغرافية كبرى، خاضعة لنفوذها. وكان هذا التعاون نتيجةً لنمو «الجيوبولتيكا» هذين القطرين، ذلك النمو الذي يمثل التطور التدريجي لهذا العلم في البلاد التي تسلطت عليها آراء هتلر وهيروهيتو؛ فقد جاء في ديباجة المحالفة التي عقدتها دول المحور الثلاث في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٠ ما يأتي: –

«إن حكومات ألمانيا وإيطاليا واليابان ترى أنه من الضروري لإقرار سلام دائم أن تحصل كل أمة من أمم العالم على الرقعة التي هي أهل لها، وقد قررت من أجل هذا أن تساند وتعاون بعضها البعض فيما تقوم به من مجهودات في كلٍ من شرق آسيا الأكبر وفي الأقاليم الأوروبية على التوالي. وهي إذ تفعل ذلك إنما تهدف، بالدرجة الأولى، إلى إقرار وتثبيت نظام جديد، الغرض منه تقوية وإسعاد جميع الشعوب التي

يشملها هذا النظام، والحكومات الثلاث، إذ تقرر هذا، تعلن عن رغبتها في أن يمتد هذا التعاون إلى الأمم الخارجة عن هذا النطاق ممن تريد توجيه سياستها إلى الهدف الأسمى، ألا وهو السلام العالمي.»

إن هذا التصريح، «الذي يبشر العالم بمستقبل سعيد»، يحدد لنا تحديدًا واضحًا منطقتي النفوذ المحوري في شرق آسيا الأكبر، وفي أوروبا. أما منطقتا النفوذ العالمي الأخريان، فالراجح أنه يقصد بهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، تلك الدولتان اللتان كانتا حتى سبتمبر سنة ١٩٤٠ على وئام وسلام مع دول المحور الثلاث. وقد جاءت التصريحات الرسمية التي أدلى بها كل من Von Ribbentrop، وزير خارجية ألمانيا، والكونت Ciano، وزير خارجية إيطاليا، وKurusu السفير الياباني، مؤكدة ومؤيدة للمدلول الجغرافي لهذا النظام الجديد:

فالتصريح الذي أدلى به الفوهرر في الثلاثين من شهر يناير سنة ١٩٤١ يدلنا دلالة واضحة على الدور الذي كانت تنوي ألمانيا أن تلعبه في أوربا، إذ يقول:

«إني على يقين من أن سنة ١٩٤١ سوف تكون سنة حاسمة في النظام الأوربي الجديد، لأنه سوف ينفسح المجال فيها واسعًا أمام المجموعة البشرية بأسرها ويقضي على جميع الامتيازات التي يتمتع بها بعض الأفراد، كما يقضي على ذلك الاستبداد الذي فرضته بعض الدول وحكامها من الرأسماليين على بقية العالم، وأخيرًا فإن هذه السنة سوف تهيئ لنا الدعائم التي يقوم عليها التفاهم الحقيقي بين جميع الشعوب، ذلك التفاهم

الذي سينتهي بلا مراء إلى إقرار السلام العالمي بين جميع الأمم».

وفي العاشرة من شهر أبريل سنة ١٩٤١ نشرت مجلة Facts in Review، وهي مجلة للدعاية الألمانية في الولايات المتحدة، خريطة تبين المناطق الأربع الصناعية الكبرى في العالم والمجال الطبيعي لكلٍ منها. وقد ظهرت فيها الولايات المتحدة ولا منافس لها في نصف الكرة الغربي، وألمانيا وإيطاليا مسيطرتان على كل من أوربا وإفريقية، واليابان باسطة سيادتها على شرق آسيا الكبرى من الهند حتى أستراليا؛ ثم الروسيا ولا منافس لها داخل حدودها السياسية. والمتأمل في هذه الخريطة يطالع بين ثناياها الدليل القاطع على التفسير الألماني للإقليمية كما تخيلوها في ربيع سنة ١٩٤١. وقد أردف النازيون هذا النوع من دعايتهم بالتصريح الآتي:

«إن الدبلوماسية الألمانية لا تنظر إلى الأمم على أنها قطع سلبية لا عمل لها في لعبة الشطرنج الدولية، وإنما تراها وهي وحدات كاملة، تعيش داخل أقاليم محدودة بحدود اقتصادية واضحة، وتخضع لجيوبولتيكا معينة.»

كذلك أكثر فاشستو إيطاليا من الإفصاح عن آرائهم في التنظيم الإقليمي للعالم، ففي نفس الوقت الذي قامت فيه مجلة Facts in Review النازية، بنشر خريطة العالم الجديد، تخرج علينا مكتبة الاستعلامات الإيطالية Italian Liberary of Information بالتصريح الآتي:

«.. على حين نجد دول القارة الأوربية وشمالي إفريقية والأمريكيتين، وآسيا تعمل كلها على تكوين وحدات ذات كفاية اقتصادية، نرى الإمبراطورية البريطانية تدخل في طور التفكك الاقتصادي. وقد بدأت الأجزاء المكونة لها، تتجه وتقترب فعلًا من الوحدات الاقتصادية الكبرى التي هي تابعة لها جغرافيا».

كذلك يقرر الوارثون لعرش الإمبراطورية الرومانية في كل تواضع ما يلي:

«إن أوربا في طريقها الآن إلى إقرار نظام اقتصادي جديد سوف يتركز حول مجموعتين من الدول، تتطلع إحداهما إلى روما والأخرى إلى برلين ... وإن في قيام مجموعات اقتصادية أكبر مما عرف حتى الآن، وما سوف يتبعه من تكوين مجموعات سياسية ذات أشكال مختلفة لهو الوسيلة التي يستطيع بواسطتها الكثير من مجموعات هذه الدول تحقيق مجالها الاقتصادي، والتي تهيئ للأفراد حقلًا أوسع لإنتاجهم الفردي.»

ولم يفت اليابانيون أن يطالبوا أيضًا بنصيبهم في التنظيم الإقليمي للعالم، فقد كتب Hachiro Arita، وهو متحدث بارز بلسان طوكيو، في يناير سنة ١٩٤١ يقول:

أما فيما يختص باليابان، فإن شرق آسيا الأكبر –بما فيه إقليم البحار الجنوبية– يجب أن يحتل مكانه بين الكتل الإقليمية الكبرى، ذلك لأن الوحدات المختلفة التي تدخل في تكوين شرق آسيا ترتبط الواحدة منها بالأخرى ارتباطًا وثيقا من النواحي الجغرافية والتاريخية

والجنسية والاقتصادية مما يجعل كل واحدة منها مكملة للأخرى وتمدها بما ينفعها؛ وبذلك أصبحت مستكملة جميع العوامل المهيئة للاندماج في بعضها البعض من أجل تبادل الرخاء، مما هو ضروري للنهوض بالوحدة الإقليمية».

ويؤيد هذا ما جاء في الرد التاريخي الذي أجابت به الحكومة اليابانية في ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ على المذكرة المرسلة إليها من حكومة الولايات المتحدة بتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤١:

«إن سياسة الحكومة اليابانية التي لا تستطيع التحول عنها إنما تهدف إلى الاستقرار في شرق آسيا والعمل على نشر السلام العالمي لتتمكن كل دولة من الحصول على المركز اللائق بها في هذه الحياة .... ولكن يلاحظ أن كلا من الولايات المتحدة وبريطانيا قد لجأتا إلى جميع الوسائل الممكنة لتقديم المعونة إلى حكومة Chung King[1] فخالتا بذلك دون قيام صلح عادل بين الصين واليابان، كما تدخلتا بعملهما هذا في المحاولة الإيجابية التي تقوم بها اليابان لإقرار الأوضاع في شرق آسيا».

ولقد تكررت هذه وغيرها من العبارات البليغة كقولهم: «السياسة التي لا يمكن التحول عنها»، «المجال الملائم»، «الصلح العادل»، في

---

(1) Chung King عاصمة ولاية سشوان، وهي الولاية التي تشغل القسم من حوض يانج تسي كيانج المعروف باسم النهر الأحمر، وكانت قد اتخذتها الحكومة الصينية برياسة تشانج كاي تشك قاعدة لها تدير منها حركة المقاومة للغزو الياباني.

مختلف التصريحات التي أدلى بها اليابانيون في المطالبة بما اعتبروه منطقة نفوذهم على سطح الكرة الأرضية.

ومما هو جدير بالملاحظة أن كلا من اليابانين والألمان صرحوا واعترفوا بأن نصف الكرة الغربي كتلة إقليمية قائمة بذاتها: فهتلر في تصريح متأخر له ألقاه في ٣٠ يناير سنة ١٩٤١، قد قال:

«إن ألمانيا لم تطلب ولم تدع في يومٍ من الأيام بوجود مصالح لها في القارة الأمريكية، عدا ما هو معروف من أن الألمان ساهموا في تحرير هذه القارة».

وكان الرئيس روزفلت قد أرسل في أبريل سنة ١٩٣٩ نداءً إلى كل من ألمانيا وإيطاليا بطلب منهما إصدار تعهد بضمان سلامة الإحدى وثلاثين دولة التي تتكون منها أوربا والشرق الأدنى فصرح المستشار الألماني أمام الريشتاغ ردًا على هذا بقوله:

«وإني أصرح هنا أمامكم في قوة وعزم أن جميع الادعاءات التي أذيعت بمختلف الطرق عما تنتويه الحكومة الألمانية من هجوم أو غزو لأية بقعة من البقاع الأمريكية، هي أباطيل نتنة وأكاذيب سخيفة، فضلًا عن أن هذه الاحتمالات، إذا نظر إليها من الناحية الحربية البحتة، لا يمكن أن تقوم إلَّا في مخيلة الأغبياء».

ثم عاد الفوهرر في ١٤ يونية سنة ١٩٤٠، في حضور جماعة من الصحفيين الأمريكيين فقال:

«إن الطريقة التي تكيف بها القارة الأمريكية حياتها لا تهمنا في شيء، ولا ينصبّ قولي هذا على أمريكا الشمالية وحدها بل وعلى الجنوبية أيضا... أمريكا للأمريكيين وأوربا للأوربيين».

وبالإضافة إلى كل ما ذكر فقد صرح الهرهتلر لمستر John Cudahy السفير الأمريكي السابق في بلجيكا في حديث لهما بتاريخ ٢٣ مايو سنة ١٩٤١ بقوله:

«إن فكرة غزو ألمانيا لأمريكا هي فكرة خيالية بحتة لا يتصورها إلا من تصور غزوة تجيء من القمر».

كذلك نرى الكثيرين من المتحدثين اليابانيين يعترفون بالمظهر الإقليمي للعالم الجديد، ولكنهم في الوقت نفسه يطالبون الولايات المتحدة بتطبيق «مبدأ منرو» ياباني على نسق «مبدأ منرو» الأمريكي، فمن ذلك مثلا ما كتبه Hikomatsu Kamikawa ... قال:

«تتجلى الإقليمية بطريقة فعالة في مبدأ منرو متميزة بذلك عن العالمية ... والولايات المتحدة بابتكارها لهذه الفكرة كانت أول من استمدت الإقليمية التي تحاول اليابان الآن –مقتفية أثر أمريكا في ذلك– تقريرها في شرق آسيا».

وقد علق بعض كتاب اليابان على موقف أمريكا من الممتلكات التي كانت لبعض الدول الأوربية، التي اجتاحتها الحرب العالمية الثانية في العالم الجديد بقولهم إنه إذا كان مصير هذه الممتلكات التي للدول الأوربية المنهزمة قد أصبح معلقا على مشاورات دول الوحدة الأمريكية،

فلماذا لا تُعطي اليابان حق التصرف في ممتلكات الصين المنهزمة؟».

والواقع أن الوحدة الجغرافية لنصف الكرة الغربي أصبحت الآن حقيقة يعترف بها كثيرون من الأمريكيين البارزين، يؤيد ذلك ما جاء في إحدى النشرات الرسمية التي تصدرها جماعة الاتحاد الأمريكي Pan American Union.

«كثيرة هي المميزات الطبيعية التي تجعل من أمريكا قارة بذاتها.. ومن هذه عزلتها عن القارات الأربع الأخرى، فعلى حين نجد أوربا وآسيا وإفريقية وأستراليا قد تراصت وتزاحمت إلى جانب بعضها البعض في نصف واحد من الكرة الأرضية، نرى أمريكا وقد احتلت، منفردة في عظمتها، النصف الغربي لهذه الكرة، يفصلها عن بقية أجزاء اليابس المحيطان الأطلنطي والهادي».

على أن هذا لم يحل دون قيام نقاش كبير حول الحدود الحقيقية لنصف الكرة الغربي، وذلك على أثر احتلال الجيوش الأمريكية لجزيرة أيسلندا في ٧ يوليه سنة ١٩٤١. فقد صرح رئيس جمهورية الولايات المتحدة في اجتماع صحفي بأن تعيين هذه الحدود يتوقف إلى درجة كبيرة على رأي آخر باحث جغرافي يكون الإنسان قد تحدث إليه[1].

([1]) السخرية هنا يقصد بها تبلبل أفكار وآراء الباحثين الجغرافيين في موضوع الحدود. (المترجمان)

تطور فكرة الإقليمية عند النازيين:

كانت دول المحور حتى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ على استعداد للاعتراف بوجود ثلاث وحدات إقليمية كبرى هي: شرق آسيا الأكبر، وأوربا، والعالم الجديد. ولكن إذا رجعنا إلى ما قبل ذلك، أي من ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٩ حتى ٢٢ يونية سنة ١٩٤١، نجد أن أتباع الهر هتلر كانوا يكثرون من التحدث عن الاتحاد السوفيتي على أنه إقليم رابع كبير، كذلك نراهم قبل الثالث من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ يشيرون إلى الإمبراطورية البريطانية على أنها الوحدة الإقليمية الخامسة الكبرى. أما رأى زعماء ألمانيا عن كل من فرنسا وإيطاليا، فظل ثابتًا لم يدخل عليه أي تعديل: فهم يرون ضرورة القضاء على الأولى قضاء أبديًا والإبقاء على الثانية على أن تكون دولة تابعة لبرلين.

وإذا نحن نظرنا إلى الاتحاد السوفيتي من الناحية الجغرافية، وجدنا أنه من الممكن حقًا اعتباره وحدة إقليمية بالمعنى الذي يفهمه النازيون من هذا المدلول، ذلك أن روسيا قارة قائمة بذاتها تمتد عبر أوروبا وآسيا، ولها مدنية تحمل الطابعين الغربي والشرقي، وقد يكون من الطريف بهذه المناسبة تتبع التطور الذي حدث في رأي هتلر نحو الكرملين في السنوات العشر الأخيرة من ١٩٣٢– ١٩٤٢، فهو يذكر في كتابه «كفاحي».

«ونحن إذا تحدثنا عن تربة جديدة وأراضٍ جديدة في أوربا، لا يسعنا إلّا أن نفكر أول ما نفكر في روسيا وما يتاخمها من البلاد التابعة

لها .... إن في القضاء على سلطان اليهود في روسيا قضاءً على الدولة الروسية نفسها .... لقد اختارنا القدر لنكون شهودًا على ذلك الانقلاب الذي سيكون أكبر دليل على صحة النظرية الشعبية للجنس».

وفي سبتمبر سنة ١٩٣٦، ألقى الفوهرر خطابًا في مدينة نورنبرج قال فيه: «لو قُدِّرَ لي الاستيلاء على جبال الأورال بما فيها من كنوز المواد الأولية التي لا حد لها، وعلى سيبريا وما فيها من غابات فسيحة، وعلى بلاد أوكرانيا وما تحويه من حقول شاسعة للحنطة، لأصبحت ألمانيا والاشتراكية الوطنية (النازية) تسبحان في بحرٍ من الوفرة والرخاء».

ولكن رغم هذا كله، نرى أن الكفاح الذي زّجت ألمانيا نفسها فيه نتيجة اتِّباعها سياسة القوة الغاشمة حمل حكومة ألمانيا النازية على الارتماء في أحضان حكومة الكرملين الشيوعية من ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٩ حتى ٢٢ يونية سنة ١٩٤١، فعقدتا في أول هذين التاريخين معاهدة عدم الاعتداء المشهورة التي تنص على:

«إن الدولتين المتعاقدتين تتعهدان بامتناع كل منهما منفردة أو بالاتفاق مع غيرها من الدول عن القيام بأي عمل من أعمال القوة أو العدوان أو الهجوم، الواحدة على الأخرى».

وبإمضاء هذه المعاهدة، اتحد هتلر مع من كان يصفهم «بالمجرمين الأدنياء الملطخين بالدماء»، حثالة البشرية»، وقد ظل الفوهرر من بعد ذلك بشهور كثيرة يشيد بمزايا المعاهدة الروسية ويسخر من «ونستن تشرشل» مُعليا قدر العلاقات السوفيتية الألمانية ومنكرًا بكل قوة أي

أطماع له في أوكرانيا. ولكن قبل انقضاء اثنين وعشرين شهرًا على إبرام معاهدة عدم الاعتداء الألمانية الروسية، كانت الجحافل الألمانية في طريقها زاحفة على الروسيا بحجة أن السوفييت قد «نكسوا شروط المعاهدة نكسًا مزريا». وسارع مولوتوف قوميسير وزارة الخارجية الروسية من جانبه يصف الغزو الألماني بأنه «خيانة وغش لم يسبق لهما نظير في تاريخ الأمم المتمدينة». ويمكن اعتبار هجوم ألمانيا على روسيا نهاية لاعتراف النازيين بأن الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الروسية U.S.S.R هي إحدى الوحدات الإقليمية الكبرى التي ينقسم إليها العالم:

أما ما قاله النازيون من أن الإمبراطورية البريطانية هي الوحدة الإقليمية الكبرى الخامسة، فقد يكون الدافع له احترام هتلر لما قامت به الشعوب البريطانية من مجهودات في الحرب العالمية الأولى، لأننا إذا نظرنا إلى الوحدات المتناثرة التي يرفرف عليها العلم البريطاني نجدها أبعد ما تكون عن أن تمثل إقليما جغرافيا. وقد ذكر الفوهرر في كتابه «كفاحي» العبارة الآتية بنصها «إن كل تضحية تصغر في سبيل الحصول على صداقة الإنكليز» ثم عاد في أبريل سنة ١٩٣٩، وبعد القضاء على تشيكو سلوفاكيا، فقال:

«إني أعتقد –وليس في اعتقادي هذا مجال لأدنى شك– أن بقاء هذه الإمبراطورية عامل له قيمته التي لا حد لها في ثقافة الجنس البشري ونظمه الاقتصادية.. وليس من ينكر على الإنكليز السكسونيين أنهم بذلوا مجهودات عمرانية لا حد لها في هذا العالم، وإني لمعجب كل

الإعجاب بهذه المجهودات».

ولكن هتلر كان إلى جانب ذلك لا يفتأ يقيم المقارنات بين سكان ومساحة الإمبراطورية، وسكان ومساحة ألمانيا ... قال «إن ستة وأربعين مليونا من الإنكليز قد أخضعوا لسلطانهم ما يقرب من ربع مساحة المعمورة، على حين أن ثمانية وثمانين مليونا من الألمان قد كُتبَ عليهم، بسبب مزاياهم وفضائلهم!، أن يعيش كل مائة وأربعين منهم في كيلو متر مربع واحد من الأرض».

هذا وقد عرض هتلر في المرحلة الأخيرة من مفاوضات برلين، بشأن المشكلة البولندية، على الحكومة البريطانية، بواسطة سفيرها في ألمانيا، مستر «نيفيل هندرسون» أن يعقد معها تحالفًا يتعهد فيه شخصيًا بالمحافظة على الإمبراطورية البريطانية. وطبيعي أن الثمن الذي طلبه في مقابل ذلك هو حل المشكلة البولندية حلّا يتفق ومصلحة الرايخ. ولكن جاءت يعد ذلك الحرب بين ألمانيا وبريطانيا فكان قيامها نهايةً لاعتراف النازيين بأن الإمبراطورية البريطانية تكوّن إحدى الوحدات الإقليمية العالمية الكبرى.

والخلاصة أن دول المحور في تقسيمها العالم إلى وحدات إقليمية، اتخذت العامل الجغرافي رائدًا لها، إلّا في حالة واحدة، هي حالة الإمبراطورية البريطانية، وهذه الأقاليم الخمس هي: أوربا وتتزعمها كل من برلين وروما، ثم شرق آسيا الأكبر ومركزه طوكيو، فنصف الكرة الغربي ومركزه واشنطجون، وأخيرًا الوحدات التي تتكون منها كل من الإمبراطورية

البريطانية والجمهوريات السوفيتية الاشتراكية. غير أن قيام الحرب بينها وبين بريطانيا العظمى في ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩، وزحفها على روسيا في ٢٢ يونية سنة ١٩٤١، وإعلانها الحرب على الولايات المتحدة في ديسمبر سنة ١٩٤١ –تركت الفصل في المسائل العالمية للسبق، وقد وجدت واشنجطون ولندن وموسكو لديها من القوة ما كان فيه القضاء المبرم على كلٍ من برلين وطوكيو.

الفصل الثالث

العوامل الرئيسية للجيوبولتيكا

كان القسم الأكبر من العالم في سنة ١٩٣٩ خاضعًا لسلطان سبع دول عظمي، هي: الولايات المتحدة، والجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، والإمبراطورية البريطانية ومعها دول الكومنولث، ثم فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، واليابان. وإذا نحن نظرنا إلى هذه الدول السبع على ضوء الموارد الطبيعية، وجدنا أنه من الممكن تقسيمها إلى مجموعتين: الأربع الأولى منها: وتكوّن مجموعة الدول «ذات الموارد»، والثلاث الأخيرة، ومنها تتكون المجموعة التي «لا موارد لها». وما أن حلت سنة ١٩٤٠ حتى خرجت فرنسا من ميدان القتال على أثر الضربة القاضية التي أصابتها، كما انهارت إيطاليا من بعدها في سنة ١٩٤٣.

وإذا نحن عدنا إلى هذا التقسيم، لوجدنا أن ألمانيا بعد أن تم لها فتح القسم الأكبر من أوربا أصبحت من الدول ذات الموارد، ومثلها في ذلك اليابان بعد أن استولت على إمبراطوريتها الكبيرة في جنوب شرقي آسيا. ولكن يلاحظ على هاتين الدولتين أن موارد اليابان الطبيعية أصبحت في سنة ١٩٤٣ تزيد كثيرًا على كفايتها الاقتصادية، فبزّت بذلك الموارد التي أصبحت لهتلر في القارة الأوربية. ولكن هذا لن يدوم طويلا لأنه سوف يأتي الوقت الذي تتغلب فيه المجهودات المشتركة

للدول المتحدة على كل من اليابان وألمانيا، وإذ ذاك لن يتبقى في ميدان الدول العظمى سوى ثلاث هي: الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، وإمبراطورية الكومنولث البريطانية. أما الصين فهي وإن كانت رابعة الدول التي يتكون منها معسكر الأمم المتحالفة، فمن المشكوك فيه كل الشك أن تخرج من هذه الحرب وهي دولة كبرى، ولو على الأقل في المستقبل القريب.

والدول العظمى هي تلك التي تقوم دعامتها على أركانٍ ستة: (١) الموقع (٢) اتساع الرقعة وشكلها الجغرافي (٣) المناخ والطاقة المناخية (٤) عدد السكان والقوة العددية من الرجال (٥) الموارد الطبيعية والقدرة الصناعية (٦) التنظيمان الاجتماعي والسياسي. وسنعالج فيما يلي كل واحدٍ من هذه العوامل حسب ترتيبها المتقدم، غير ناظرين إلى أهميتها الاعتبارية، لأن لكل إخصائي رأيه في هذا العامل أو ذاك، فهو يميل عادةً إلى تقديم موضوعه على غيره، ولكنها كلها –في رأينا– لا غنى عنها في قيام الدول الكبرى.

أولًا- الموقع

الموقع الجغرافي لأية دولة من الدول، يمكن التعبير عنه بوسائل شتى: فهناك العامل الفلكي، وهناك العامل الأرضي أو البحري، وعامل سهولة الاتصال بالمناطق الداخلية أو الحدّية، كما يمكن أيضًا النظر إليه من الناحية الاستراتيجية، وذلك من حيث وجود القواعد البرية أو البحرية أو الجوية.

والمقصود بالعامل الفلكي عرض المكان وطوله. وطول المكان هو موقعه إلى الشرق أو الغرب من خط الأساس المار بجرينتش في إنكلترا، وهذا في الواقع أقل أهمية من خط العرض –أي البعد إلى الشمال أو الجنوب من خط الاستواء؛ لأن هذا هو الذي يتحكم– إلى درجة كبيرة– في الحالة المناخية. وإذا نحن رجعنا إلى الدول السبع الكبرى لوجدناها كلها واقعة في العروض الوسطى، وذلك لأن الرجل الأبيض لم يحرز نجاحًا يذكر في العروض الدنيا، اللهم ألَّا في مناطق الهضاب حيث يعمل الارتفاع على تلطيف المناخ. أما البلاد الواقعة في العروض العليا من نصف الكرة الشمالي فمن الراجح أن تزداد أهميتها الاستراتيجية على أثر التوسع في استعمال الطرق الجوية عبر القطب الشمالي.

ولموقع الدولة بالنسبة للكتل الأرضية أو المساحات المائية علاقة وثيقة بالسياسة الدفاعية أو الهجومية التي تنتجها. فالدول القارية تعمل عادة على تعزيز جيشها، على حين تهتم الدول البحرية ببناء الأساطيل. وروسيا، كما هو معروف، دولة برية قبل كل شيء. كما أن بريطانيا في الجوهر دولة بحرية. ومع ذلك فقد نجم عن موقع الجزائر البريطانية، في مواجهة القارة الأوربية، وبلاد اليابان على مقربة من ساحل آسيا، أن ظهرت في كل منهما مدرستان: إحداهما تؤمن بالفكرة البحرية والأخرى تميل إلى الفكرة القارية.

هذا والمواقع إما متوسط وإما حدّى. وطبيعي أنه يسهل اتصاله ببقية البلاد في الحالة الأولى وتصعب أو تتعذر اتصالاته بها في الحالة الثانية.

ولنا في بريطانيا مثل من أحسن الأمثلة على قيمة توسط الموقع بالنسبة للطريق التجاري عبر المحيط الأطلنطي الشمالي، وهو أهم طرق العالم كلها من الناحية التجارية. فبريطانيا وإن كانت قد ساهمت من جانبها بقسطٍ كبير في إعلاء شأن هذا الطريق، إلا أن توسط موقعها بالنسبة للمراكز الصناعية في شرق أمريكا الشمالية ونظائرها في غرب القارة الأوربية قد زاد كثيرًا في أهميتها التجارية. يضاف إلى هذا قيامها في مركز متوسط بالنسبة لنصف الكرة الأرضي[1] مما أفادت منه الشيء الكثير في التجارة الدولية.

وعلى العكس من ذلك تمامًا دولة «شيلي» الضعيفة التي تعاني الشيء الكثير بسبب وقوعها بعيدة عن الطرق الرئيسية للتجارة. أما عن القارات، فأحسنها كلها موقعًا من هذه الناحية، قارة أوربا. وأقلها كلها حظًا قارة أستراليا، ذلك لأن أوربا هي في الواقع شبه جزيرة لآسيا، وتقوم في مكان متوسط بين نصف الكرة من جهة وبين المناطق التي وصلت إلى درجةٍ كبيرةٍ من التقدم الصناعي والتجاري من جهة أخرى.

والمواقع الاستراتيجية لها أهميتها في ذلك، لأنها تعمل إبّان السلم على توجيه الحركة التجارية. أما في زمن الحرب فيستفاد منها في إنشاء القواعد الحربية. ومن أمثال النقاط الاستراتيجية: المضايق والبرازخ

---

(1) والمقصود به نصف الكرة الشمالي حيث تبلغ نسبة اليابس إلى الماء درجة كبيرة جدًا إذا قيست بنسبة اليابس إلى الماء في نصف الكرة الجنوبي الذي يطلق عليه أحيانًا نصف الكرة المائي. المترجمان

وأشباه الجزر والممرات، ووديان ومصبات الأنهار الملاحية، ثم الجزائر القائمة على طرق الملاحة المحيطية والمناطق التي تشقها قنوات ملاحية. ومن المضايق التي كانت لها أهمية خاصة في الحرب العالمية الثانية مضيق «مكسار»، بين جزيرتي مورينو وسلبيس حيث قامت معركة بحرية بين أساطيل الدول المتحالفة والأسطول الياباني، ومضيق دوفر، وعرضه فيما بين دوفر وكاليه لا يتجاوز واحدًا وعشرين ميلًا، وقد قام في صيف سنة ١٩٤٠ حائلًا بين جيوش هتلر المنتصرة ووحدات الحملة البريطانية الخائرة، ثم مضيق مسينا الذي عبرته الجيوش المتحالفة في زحفها من جزيرة صقلية على إيطاليا، ومضيق ملقا بين سومطرة والملايو البريطانية، ومنه نفذت السفن اليابانية إلى المحيط الهندي بعد سقوط سنغافورة، وأخيرًا مضيقا الدردنيل والبوسفور، اللذان يرفرف عليهما العلم التركي، ويصلان بحر إيجة بالبحر الأسود، وقد أصبحت لهما أهمية خاصة بعد هزيمة ألمانيا في جنوب الروسيا.

كذلك لعبت البرازخ التي تشقها قنوات ملاحية، دورًا خطيرًا في هذه الحرب. فقد أمكن، بفضل المحافظة على قناة «بنما» تقصير المسافة بين سان فرنسسكو ونيويورك من ١٢,٦٠٠ ميل بحري عن طريق النهاية الجنوبية للقارة الأمريكية الجنوبية إلى ٤٥٠٠ ميل فقط عن طريق هذه القناة. ويقول «نوكس» وزير البحرية الأمريكية إن اندحار «روميل» في شمال إفريقية من شأنه أن يسمح بمضاعفة حمولة السفن المسافرة عبر قنال السويس في طريقها إلى الهند لتموين الصين أو إلى إيران لتموين روسيا، بل وإلى الشرق الأوسط إذا ما دعت الحاجة

لإرسال حملة إلى بلاد البلقان.

وقد كان لبعض أشباه الجزائر ذات القيمة الاستراتيجية دورها أيضًا في أقدار هذه الحرب الأخيرة، فالأمريكيون والفيلبيون كتبوا لأنفسهم صفحة مجيدة في سجل البطولة بدفاعهم المجيد عن شبه جزيرة بتان Battan. كما كان هناك أيضًا ذلك الانهيار المحزن للقوات البريطانية في شبه جزيرة الملايو والمعارك الدموية في شبه جزيرة القرم.[١]

هذا وقد كان للممرات الجبلية كذلك دورها الذي قامت به في موقعة ترموبولي الثانية سنة ١٩٤١، تلك الموقعة التي التقى فيها النيوزيلنديون بالنازيين، كما التقى اليونان بالفرس من قبل في سنة ٤٨٠ق.م.. وما «العلمين» في الواقع سوى مضيق يفصل بين ساحل البحر المتوسط ومنخفض القطارة، وعنده استطاع البريطانيون أن يصمدوا في صيف سنة ١٩٤٢ في وجه ثعلب الصحراء، رغم تفوقه عليهم عددًا وعدّة.

وقد كانت الجزائر بسبب موقعها الاستراتيجي مسرحًا للكثير من المواقع الحربية: فهجوم اليابانيين على جزيرة أواهو Oahu، إحدى

---

(١) فرغ المؤلفان من كتابهما هذا في سنة ١٩٤٤، أي قبل حملة إنزال الجنود الأمريكيين والبريطانيين في القارة الأوربية، وهي الحملة التي قضت على المقاومة الألمانية، وكان إنزالها في شبه جزيرة نورمانديا وشبه جزيرة كوثنتن في شمال غربي فرنسا، ولهذا لم يشير إليهما عند ذكر أشباه الجزائر ذات القيمة الاستراتيجية في الحرب العالمية الثانية. المترجمان

مجموعة جزر هاواي، كان بداية الحرب في المحيط الهادي، كذلك رأى البريطانيون ما لجزيرة مدغشقر من أهمية بسبب وقوعها على طريق تموين روسيا فانتزعوها من حكومة فيشي في ربيع سنة ١٩٤٢. وتعتبر مالطة – بحق– أكثر جزائر العالم التي قُذِفت بالقنابل. واستولى النازيون على جزيرة كريت اليونانية بواسطة جنود المظلات. وإن ما وافقت عليه البرتغال مؤخرًا من منح البريطانيين حق إنشاء القواعد البحرية والجوية في جزائر آزور لهو الدليل على ما لهذه الجزائر من أهمية استراتيجية. كذلك احتل اليابانيون جزيرتي أندمان ونيكوبار الواقعتين في المحيط الهندي. وما كان للبريطانيين أن يكسبوًا موقعة بريطانيا لولا عجز الطيارين النازيين عن إحراز التفوق الجوي. هذه كلها أمثلة يستبين منها القارئ الدور الاستراتيجي الذي تقوم به الجزائر في الحروب الحديثة.

كذلك كان لمصبات الأنهار ووديانها قيمتها الاستراتيجية الكبرى في الحروب: فهجوم اليابانيين على مدينة رانجون سهَّل لهم غزو مستعمرة بورما التي كانت تابعة للتاج البريطاني، وذلك عن طريق تتبع وادي نهر إيرواري الذي تقع هذه المدينة عند مصبه. وكان للألمان أمل كبير، إذا ما سقطت مدينة ستالينجراد القائمة عند ثنية نهر الفولجا في أيديهم، أن يصلوا إلى استراخان الواقعة عند مصب هذا النهر في بحر قزوين. وقد رأينا –في أثناء معركة فرنسا– الألمان وهم يندفعون في وادي نهر سم حتى مدينة آب فيل لعزل القوات الإنكليزية والفرنسية والبلجيكية إلى الشمال من هذا النهر وإيقاعهم في الفخ الذي نصبوه لهم.

وإن عصرًا تكون السيادة فيه للقوة البحرية لا بد أن تبرز فيه مجموعة من القواعد تكون لها أهميتها، وهي أهمية لا تلبث أن تزول عنها إذا ما تحولت هذه السيادة إلى قوة أخرى كالقوة الجوية مثلًا: فإذا نحن أخذنا القواعد الآتية نجدها حيوية لا غنى عنها لكل سيادة بحرية. فهناك: عدن، وسنغافورة، ودارون، وأوكلاند، وبتافيا، وبنما، وسيلان، وسورابايا Surabaya (في النهاية الشرقية لساحل جزيرة جلوه الشمالي) وسدني، وبورت ستانلي –في كندا– وكيب تون، وأمبوينا Amboina إحدى جزائر الهند الشرقية –ومانيلا، وهونج كونج، وبتروبافلوفسك petopvlovsk في شبه جزيرة كمنشكا –ودتش هاربر Dutch Harbour (في ألاسكا) وبنتا أريناس Punta Arenas (في شيلي). وسان جوان (في الأرجنتين). وريكافك Reykjarik، وناتال، وداكار، وديجو سواريز Diego Suarez (في مدغشفر) وعمان، وإستانبول، ولندن، وهليجولاند، وسكابافلو Scapa Flow (في إسكتلندا) وهمر فست.. والمتأمل في هذه النقاط يرى أن غالبية الموانئ المتحكمة في الطريق من جبل طارق حتى مضيق باس –وهو الذي يفصل أستراليا عن جزيرة تسمانيا –لا يزال كما كان في سنة **١٩٣٩** في أيدي البريطانيين أو خاضعًا لنفوذهم. والأهمية الاستراتيجية لمضيق جبل طارق لها نواحيها الثلاث: فهناك الصخرة الخاضعة لنفوذ بريطانيا، وعامود هرقل الجنوبي وهو تابع لإسبانيا، ثم ميناء طنجة وتشرف عليها هيئة دولية. وتقوم في منطقة الخصر من البحر المتوسط جزيرة مالطة الإنكليزية، ثم مستعمرة

تونس الفرنسية[1] وجزيرتا صقلية وبنتلاريا Pantelleria الإيطاليتان، وفي النهاية الشرقية يوجد قنال السويس والمنطقة التي تخترقها وميناء حيفا في فلسطين، ثم مدينة الإسكندرية وكلها كانت تحت النفوذ البريطاني[2] وفي مضيقي باب المندب نجد «البوريم» وعدن البريطانيتين ثم شبه جزيرة دوميرا Dumeira ورأس Ras الإيطاليتين والشيخ سعيد البريطانية. وهناك جزيرة سيلان في النهاية الجنوبية للإمبراطورية الهندية، يرفرف عليها العلم البريطاني. أما مضيق ملقا ففيه من القواعد الاستراتيجية: جزيرة سومطره، ومجموعة الجزائر القريبة من سواحلها وكلها هولندية. ثم جزيرة سنغافورة ومستعمرات المضيق وشبه جزيرة الملايو وهي خاضعة لبريطانيا. ويفصل أستراليا عن جزيرة نيوغينا مضيق توريس، كما يفصلها عن تسمانيا مضيق باس، وهما أيضًا بريطانيان. وفي خريف سنة ١٩٤٣ استولى البريطانيون وحلفاؤهم على جزيرتي صقلية وبنتلاريا، وعلى تونس، وشبه جزرة دوميرا، وعلى رأس والشيخ سعيد، ولكن إلى جانب ذلك نراهم ومعهم حلفاؤهم الهولنديون قد فقدوا قاعدة سنغافورة وشبه جزيرة الملايو والهند الهولندية إذا استولى عليها جميعها اليابانيون.

أما عن القواعد الجوية، فالملاحظ أن بعضًا منها أصبحت له في الوقت الحاضر أهمية خاصة، وأن هذه الأهمية سوف تعظم وتزداد على

---

(1) كان ذلك قبل استقلال تونس عن فرنسا.

(2) الإشارة هنا إلى ما كان قائما خلال الحرب العالمية الثانية. أما الآن فقد زال النفوذ البريطاني عن القسم الشرقي من البحر المتوسط وعند منطقة الهند كما زال النفوذ الهولندي من أندونسيا والكثير من جزائر الهند الشرقية، المترجمان

مرّ الأيام. وإنّا لموردون فيما يلي عددا من هذه القواعد معتمدين في اختيارها على ما بدا من أهميتها خلال فترة السلام حتى سنة ١٩٢٩، وما أحدثته فترة الحرب من تعديلات، وما قد ينشأ عن مرور خطوط المواصلات الجوية عبر القطب الشمالي مستقبلًا، وهذه هي:

ناتال، داكار، طنجة، أسلو، إستانبول، بغداد، كراتشي، بانجكوك، دارون، فوزان، بتروبافلوفسك، بوينت بارو Point Barrow –في أقصى شمال ألاسكا– نوفايازمليا، نورثلاند، جرينلاند، نيوفوند لند، ميامي، ترينداد، مرسيليا، ناجازاكي، نورث كيب North Cape –شمال النرويج– فورت لامي Fort Lamy– إلى الشرق من بحيرة شاد. هذا والملاحظ أن الكثير من المحطات والقواعد البحرية الهامة هي في الوقت نفسه قواعد جوية لها شأنها.

وليس علينا لإظهار ما للقواعد البرية والبحرية والجوية من أهمية استراتيجية إلا أن نستعرض وسائل الدفاع المحكمة التي أنشأتها الولايات المتحدة في منطقة البحر الكاريبي لحماية قناة بنما. إذ لما كان الغرض الأول منها هو الدفاع عن القناة نفسها، فقد روعي في إقامتها إقصاء البدو عنها إلى أبعد مدى ممكن، ومن ثم جاءت خطوط الدفاع الكاريبي محكمة وضعًا وتنفيذًا، ويزيدها تعقيدًا كثرة المداخل المؤدية إلى هذا البحر: فهناك مضيق يقطان فيما بين جزيرة كوبا وشبه جزيرة يقطان ومضيق وندوارد Windward Channel بين جزيرتي كوبا وهايتي، ثم مضيق مونا Mona Passage بين جمهورية دومينكاو بور توريكو وأخيرًا

مضيق فيرجن Virgin Passage بين جزيرتي بور توريكو، سانت توماس. وكانت الولايات المتحدة قد استولت قبل نشوب الحرب العالمية الثانية على جزيرتي بور توريكو وفرجن. كما حصلت بطريق التأجير من جمهورية كوبا، على جونتانامو Guantamo. كذلك تم لها في سبتمبر سنة ١٩٤٠ إبرام صفقة المدمرات مع بريطانيا في مقابل تنازل هذه الدولة عن بعض قواعدها في جزائر بهاما، وجاميكا وانتيجوا Antigua، وسانت لوشيا وترنداد. وتعتبر قاعدة جونتا نامو، القائمة على الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة كوبا، أكبر محطة بحرية تملكها الولايات المتحدة في الوقت الحاضر في منطقة البحر الكاريبي، وتقوم على حراسة مضيق وندوارد. أما ترنداد الواقعة قبالة الساحل الشمالي الشرقي لأمريكا الجنوبية، فسوف تعظم أهميتها في المستقبل.

أما القواعد الثانوية القائمة في جزائر بهاما فتقتصر أهميتها على خدمة الطائرات والقطع البحرية الصغيرة التي تقوم بالتفتيش في هذه المياه والكشف عن مواقع العدو. ثم هناك جزيرة ترنداو البريطانية، ويفصلها عن ساحل فنزويلا خليج باريا Paria، وله مدخلان أحدهما إلى الشمال من الجزيرة والآخر إلى الجنوب منها، وفي رأي القائد «هوسهوفر» أن كل قاعدة بحرية ذات مدخلين لا خوف عليها من أن تصبح مصيدة «Trap» كما حدث في ميناء بيرل هاربر. ولهذا أخذت تريندداد تتبوأ مكانة خاصة كمحطة بحرية من محطات الدرجة الأولى في سلسلة الدفاع الكاريبي عن المدخل الشرقي لقناة بنما، أي عن طريق مجموعة الأنتيل الصغرى. أما جزيرتا أنتيجوا وسانت لوشيا التابعتان

لبريطانيا في أنتيل الصغرى والواقعتان بين ترنداد وبور توريكو فتقتصر أهميتها، كما هي الحال في قواعد بهاما، على أعمال التفتيش والاستطلاع. هذا وقد قامت الولايات المتحدة مؤّخرًا بإنشاء قاعدة جوية ضخمة في Borinquer بجزيرة بورتوريكو تشرف منها على مدخل مونا Mona في النهاية الغربية لهذه الجزيرة، وقاعدة أخرى لا تقل عنها ضخامة في Isla Granda بالقرب من سان جوان. وهناك في جزائر فرجين الأمريكية قاعدة بحرية دائمة مقرها Bourue Field بجزيرة سانت توماس، ومحطة أخرى للغواصات على مقربة منها وقاعدة جوية في خليج Manning على الساحل الجنوبي لجزيرة St Croix. أما جزيرة جاميكا، وهي أيضًا من الجزائر البريطانية التي للولايات المتحدة بها قواعد حربية، فتحتل موقعًا متوسطًا بين قناة بنما من جهة وبين القواعد الأمريكية والولايات المتحدة نفسها من جهة أخرى. وعلى الرغم من أن هذه الجزيرة كانت في مختلف العصور التاريخية المحطة البحرية الرئيسية للوحدات البريطانية الصغرى في البحر الكاريبي، فإنه من غير المحتمل أن تصبح قاعدة من قواعد الدرجة الأولى بالنسبة للولايات المتحدة، طالما أن «جوانتنامو» –على ساحل كوبا– تحتل هذا المركز.

شكل الدولة ومساحة رقعتها

وثاني الأسس التي تقوم عليها الجيوبولتيكا دولة من الدول، هو شكلها الجغرافي ومساحة رقعتها. إذ كثيرا ما يكون لشكل الدولة أثره في توجيه سياستها الخارجية، لأن الدولة إمَّا أن تكون مندمجة متماسكة

الأجزاء، وإما أن تكون ذات امتداد طولي. ومن مزايا الاندماج، كما هو معروف، قصر الحدود بالنسبة لجملة المساحة. خُذ فرنسا وكندا مثلا، تجد أنهما تمتازان باندماج شكلهما الجغرافي بالنسبة لمساحتهما، وأن العاصمة في كل –باريس في الأولى وأوتاوه في الثانية– لا تحتل مكانا متوسطا في البلاد. وللاندماج والتماسك فائدته في وقت الحرب، بشرط ألاّ تتعارض مع هذه الظاهرة عوامل أخرى، كما هي الحال في فرنسا حيث تتركز صناعاتها في القسمين الشمالي والشرقي، أو في كندا، حيث يتركز السكان –فيما عدا منطقة البراري إلى الشمال من البحيرات العظمى– في شريط ضيق يمتد من الساحل إلى الساحل لمسافة ثلاثة آلاف ميل قرب الحدود السياسية على الولايات المتحدة.

وعلى العكس من هذا نجد أن الدول ذات الامتداد الكبير، تطول حدودها، ولنا في «شيلي» المثل التقليدي. فامتدادها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب يبلغ ٢٦٠٠ ميل، على حين أن عرضها قد لا يتجاوز المائة ميل. وتوجد إلى جانب هذه الظاهرة جبال الأنديز، فتزيد مواصلات البلاد صعوبةً وتعقيدًا. ومن ثمّ جاء التباين كبيرًا بين وجهات نظر الشماليين والجنوبيين، رغم أن حكومة البلاد تسير وفق النظام المركزي الموحد. وفي مثل هذه الدول تصبح مشكلة الدفاع، في فترات الحروب، أشد تعقيدًا منها في الدول المندمجة المتماسكة، وقد يكون طول سواحل شيلي هو الذي جعلها شديدة الحساسية لكل ما يمكن أن يؤثر في التوازن البحري في المحيط الهادي. ولهذا نرى عاما كاملا ينقضي على اجتماع وزراء خارجية الجمهوريات الأمريكية الجنوبية في

مؤتمر ريو، قبل أن تقوم هذه الدولة بتنفيذ ما تعهدت به من قطع علاقاتها بدول المحور. ثم هناك أيضًا النرويج، وهي أيضًا من البلاد ذات الامتداد الطويل –وإن كانت تقل عن شيلي في ذلك– فقد عمل الألمان عند غزوهم إياها، على شل حركة البلاد كلها، وذلك بإنزال قواتهم دفعة واحدة في المدن الساحلية التي تتحكم في طرق المواصلات مع داخلية البلاد وهي: نارفك، تروندهيم، برجن، ستافنجد، أوسلو.

ومساحة الدولة لها أهميتها القصوى في الجيوبولتيكا. كما أن دول المستقبل الكبرى سوف تكون تلك التي تجمع إلى جانب العوامل الأخرى عامل اتساع الرقعة، لكي تتخذ من بعد وسطها عن أطرافها عونًا لها في أمور دفاعها.

والدول في وقتنا الحاضر متباينة كل التباين من حيث مساحتها: فهناك إمارة موناكو التي لا تزيد مساحتها على نصف ميل مربع، على حين أن الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية تبلغ مساحتها ٨,٣٨٦,٣٣٢ ميلًا مربعًا. بل إن ثلاثًا من دول العالم: هي الجمهوريات السوفيتية، وإمبراطورية الكومنولث البريطانية والولايات المتحدة، تشغل فيما بينها نصف رقعة اليابس كله. بل إن العلم البريطاني وحده يرفرف على ربع المعمورة، والعلم الروسي على سدسها، أما الولايات المتحدة فتبلغ رقعتها ٣,٧٣٤,٠٠٠ ميل مربع. ثم هناك فرنسا وممتلكاتها وتبلغ مساحتها ٤,٨٠٥,٦٤٦ ميلًا مربعًا، والصين –الأصلية والخارجية–

ومساحتها ٣,٧٥٦,١٠٢ من الأميال المربعة. وأهم ما يلاحظُ على هذا التوزيع صغر مساحة كل من بريطانيا وفرنسا بالنسبة لما لهما من ممتلكات: فبريطانيا، ومعها شمال إيرلندا، لا تزيد مساحتها على ٩٤,٢٧٨ ميلًا مربعًا. وجملة مساحة فرنسا في أوروبا ٢١٢,٦٨١ ميلًا مربعًا. وليس للصين أو روسيا مستعمرات. كما أن الولايات المتحدة ليس لها من ممتلكات خارج بلادها سوى ٧١١,٦٢٣ ميلًا مربعًا. أما ألمانيا فقد انكمشت رقعتها بعد معاهدة فرساي وأصبحت ١٨٠,٩٨٥ ميلًا فقط، ولكن الفوهرر استطاع، فيما بين سقوط جمهورية فيمر Weimar وغزو بولندا، أن يضيف إليها ما مساحته ٨٠,٦٠٠ ميل مربع، كما استطاع، بمعاونة إيطاليا، فيما بين اليوم الأول من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩، والثاني والعشرين من شهر يونية سنة ١٩٤١، أن يبسط سلطانه على ٧٩٦,٠٠٠ ميل مربع: وقد بلغ ما استولى عليه من الأراضي الروسية وحدها، عندما وصلت موجة الفتوحات المحورية ذروتها، ٧٠٠,٠٠٠ ميل مربع. وإذا نحن عدنا إلى اليابان، نجد أن مساحة بلادها الأصلية ١٤٧,٨٨٩ ميلا مربعًا فقط، أي أقل من مساحة ولاية كاليفورنيا، ولكنها تبسط سلطانها الآن[1] على ٣¼ مليون ميل مربع من البلاد المطلة على سواحل المحيط الهادي.

وهناك أيضًا عدد من الدول الأوربية الصغرى: كالأراضي الوطيئة (هولاند) وبلجيكا والبرتغال ودنمرك، لها ممتلكات واسعة خارج

---

(1) كان ذلك عام ١٩٤٢.

حدودها. والخلاصة أن ما يقرب من ربع مساحة اليابس يخضع للدول الاستعمارية، وأكثر ما تكون هذه المستعمرات في إفريقية والبحر الكاريبي وفي الشرق الأقصى.

وثمة نوع آخر من الوحدات السياسية يختلف اختلافًا كبيرًا عن هذه الدول الكبرى، تلك هي الدويلات والوحدات ذات النظام الخاص مثل دانزج، وليشتنشتين، Liechtenstein، ولكسمبرج، ومدينة الفاتيكان، وسان مارينو، وأندورا Andora، وموناكو.. ومساحتها كلها مجتمعة دون الألف ميل مربع.

وللعامل المكاني، أو بعبارة أخرى مساحة البلاد ومدى اتساعها، أهمية خاصة في أوقات الحروب. وتظهر هذه الأهمية ممثلة فيما يسميه علماء الجيوبولتيكا: «الدفاع في العمق –Defence in Depth– وهو مبدأ يمكن تطبيقه سواء بسواء على البلاد ذات المساحة الأرضية الشاسعة، أو تلك التي تستطيع بمالها من قوة بحرية، التحكم في مسطحات مائية كبيرة، وقد جاءت حوادث الحرب العالمية الثانية مؤيدة كل التأييد لهذا العامل في حالتي الهجوم والدفاع. فالدول الصغيرة لم تلبث أن انهارت بسرعة فائقة أمام جاراتها التي تفوقها في اتساع الرقعة. خذ الجيش الهولندي مثلا؛ فهو لم يكن أقل شجاعة من الجيش الألماني، ولكنه اضطر إلى التسليم بعد أربعة أيام فقط أبدى فيها بطولة فائقة في الذود عن بلاده، على حين أن الروس، الذين كانوا على العكس من ذلك يتمتعون «بالدفاع في العمق» استطاعوا أن يجتذبوا جحافل

أدولف هتلر إلى أقصى أعماق بلادهم الشاسعة فاستنفدوا. كل ما كان لها من جهد، كما استنفدوا من قبل ذلك جهود جيوش نابليون بونابرت في حملته التي عادت عليه بكل وبال في سنة ١٨١٢. والواقع أن دوله كالروسيا، تنطوي حدودها على سدس مساحة اليابس كله يسهل عليها جدًا الاستفادة من مبدأ «الدفاع في العمق»، وتسليم الأرض في مقابل ما تربحه من وقت Selling space to gain time ولهذا لم يكن أمام القيادة الألمانية من وسيلة لغزو الاتحاد السوفيتي سوى إبادة الجيش السوفيتي أكثر من مجرد الاستيلاء على الأهداف الأرضية. فلما أن فشلت خطتهم في الالتفاف حول الجيش الأحمر وإبادته، نراهم يستميتون في خريف سنة ١٩٤١ في الاستيلاء على موسكو. وليس من شك أن الفشل الذي منيت به القيادة الألمانية في صيف تلك السنة كان بدايةً للهزيمة المحتومة التي منى بها هتلر في تلك البلاد.

وإذا نحن رجعنا إلى الشرق الأقصى، نجد أن اليابانيين لا يزالون في حرب مع الصينيين منذ حادثه «جسر ماركوبولو» في ليلة ٧ يولية سنة ١٩٣٧، ولكنهم على الرغم من استيلائهم على أمهات مدن الصين وكبرى موانيها ومراكزها الصناعية وخطوطها الحديدية الهامة، فشلوا كل الفشل في القضاء على المقاومة الصينية. ذلك لأن الصينيين كانوا يقابلون كل هذا بالتراجع صوب الغرب، ونقلوا عاصمتهم إلى «تشنجكنج» الواقعة خلف خوانق نهر «يانج تسي كيانج» ويرجح أن ستين مليونًا من الصينيين هجروا منازلهم وقراهم في القسم الشرقي واتخذوا لهم وطنًا في الغرب الجديد –الحوض الأحمر في ولاية

سشوان، وأخذوا معهم مدارسهم ومصانعهم لتكون في مأمن من أيدي الغزاة. وحتى سقوط بورما نفسها في أيدي اليابانيين في أوائل سنة ١٩٤٢ وما تبعه من قفل طريق الإمدادات الصينية عبر هذه البلاد، لم يفتّ في عضدهم أو يسبب انهيار الصين الحرة. وقد أدرك القائد «هوسهوفر» نفسه، قبل قيام الحرب العالمية الثانية، ما كانت قد منيت به الجيوش اليابانية من نكبة في الصين. وفي رأيه أن اليابان قد أخطأت في التدخل غربًا؛ وكان الأجدر بها أن تولي وجهها شطر مياه الجنوب الدافئة، وكان يود لو أمكن التعجيل بتسوية النزاع بين الطرفين المتحاربين.

ثم هناك تضاريس البلاد وأشكالها الأرضية، وهي التي تعين الخطة التي يجب أن تنتهجها في حالتي الهجوم والدفاع. فسهول الروسيا الفسيحة وصحاري شمال إفريقية الرملية، كانت ميدانًا صالحًا لاستخدام سلاح الدبابات، على حين كانت جبال النرويج والبلقان تتطلب سلاحًا آخر مما يُستعمل في جبال الألب، أما الأحراش والمستنقعات الاستوائية، فلا يصلح فيها سوى حرب التسلل. وعبور الأنهار عامل له أهمية في جميع ميادين القتال، فلقد قام الروس بعبور نهر «دينيبر» في أثناء هجومهم في شتاء سنة ١٩٣٣، كما عبر الحلفاء نهر فولتورنو – Volturno– في جنوب إيطاليا. وقس على ذلك طبيعة السواحل وتضاريسها، فهي التي تعين إمكانية غزوها أو نية هذا الغزو. وفي التي ينظر إليها القائد ليحدد ما إذا كان المكان صالحًا لإنزال حملة على نطاق أكبر من «حملة ديب» Dieppe، مثلا أو يضرب منه ضربته

القاضية، ومن هنا جاءت المشكلات التي يثيرها غزو ساحل النرويج بفيورداته المتعمقة في الوديان الجبلية، وهي مختلفة كل الاختلاف عن تلك التي يواجهها من يريد غزو سواحل هولاند التي ينخفض ربعها أو يزيد، عن مستوى سطح البحر. وليس وسط أوربا من المناعة التي يتصورها البعض. فهناك أربعة طرق طبيعية تقود إلى داخلية هذه القارة، يسهل على الجغرافي تعيينها.

١- طريق وادي نهر الرون عبر الجبال؛ ويؤدي إلى باب «برجنديا» وإلى وادي نهر الرين.

٢- ممر بيرتري Peartree إلى الشرق من مدينة تريستا، ويربط بين نهاية بحر الأدرياتيك الشمالية ونهر سافا أحد روافد الدانوب.

٣- طريق الورادار والمورافا، ويربط سالونيكا وبلاد اليونان بمدينة بيوغراد Peograd (بلغراد) ويوجوسلافيا.

٤- طريق الهلسبونت -Hellespont- والبوسفور الخاضع لتركيا، ويؤدي إلى البحر الأسود.

هذا عن أوربا، أما في الشرق الأقصى فإن إعادة فتح بورما سوف تتأثر إلى درجة كبيرة باستحالة إرسال الإمدادات العسكرية عبر بلاد آسام إلى القسم الشمالي، أو من شيتاجنج Chitagong عن طريق ساحل بنغالة. كذلك يُلاحظ أن الكثير من جزائر المحيط الهادي إن هي إلَّا أحواض مرجانية، وهي عادةً مراكز صالحة لرسو السفن وقواعد

للطائرات، ومن أمثلة هذا النوع القاعدة اليابانية الكبرى في ترك Truk وجزيرتا (ويك، مداوي) Wake-Midway اللتان كانتا تابعتين لأمريكا ثم جزيرتا (مكين، تراوا) Makin-Tarawa في مجموعة جزائر جلبرت؛ فكلها أحواض مرجانية.

والخلاصة أن طبيعة تضاريس سطح أية دولة، عامل له خطورته في تنظيم استراتيجية دفاعها وهجومها.

المناخ

والدعامة الثالثة التي ترتكز عليها جيوبولتيكا الدولة هي مناخها (راجع شكل ٤) وذلك لما له من ارتباط وثيق بصحة السكان ومدى نشاطهم في الحرب والسلم وبنوع غذائهم وموارده وتوزيعاته: وهو الذي يعين الملابس التي يرتدونها والمساكن التي يأوون إليها.

وتحتل دول العالم الكبرى العروض الوسطى، على حين تقع الجهات المستعمرة كلها في العروض الدنيا.

وتأثير المناخ لا ينتهي عندما ذكرنا، بل إنه قد يحد كثيرًا من انتقالات البشر، ذلك أن الإنسان لا يصادف نجاحًا يُذكر في الأصقاع التي تشتد برودتها كالجهات القطبية أو المناطق الشاهقة الارتفاع. ولهذا كانت القارة القطبية الجنوبية هي الوحيدة، بين قارات العالم التي نجت من معارك الحرب العالمية الثانية، غير أن هناك مناطق قد تحول شدة برودتها دون كل تقدم بشري فيها ولكنها ذات قيمة حربية كبرى لما

تحويه من ثروة معدنية أو لما لها من موقع استراتيجي خاص. ومن أمثلة النوع الأول سفالاربارد Savalabard الغنية بمعدن الفحم، فقد تداولتها أيدي الإنكليز والنرويجيين والألمان خلال الحرب الأخيرة، أما النوع الثاني فتظهر أهميته من الأمثلة الآتية: كان أول التحام بين القوات الأمريكية والنازية في جزيرة جرينلاند، عندما أرادت ألمانيا إنشاء محطة للأرصاد الجوية فيها، وامتد نشاط الغواصات الألمانية إلى بحر «كارا» إلى الشرق من جزيرة نوفايا زمليا، ورغم ما هو معروف عن شدة البرودة في شمال النرويج وفنلند وشبه جزيرة كولا، حتى أن درجة الحرارة تنخفض إلى ما دون درجة التجمد بكثير، مما يحد من نشاط الإنسان وتقدمه، فقد وجد الألمان في نورث كيب N. Cape –بأقصى شمال النرويج– مركزًا له قيمته الاستراتيجية في حرب الغواصات. كذلك تعددت غارات الطائرات الروسية على مدينة بتسامو Petsamo[1]. كما كانت ميناء مرمانسك، على ساحل، المحيط المتجمد الشمالي، منتهى طريق من أهم طرق الإمدادات الروسية، وخاصة في فصل الشتاء عندما يتجمد ميناء أركانجل. ومع أن القسم الأكبر من جزيرة أيسلند من أقل جهات العالم صلاحية لسكني الإنسان، فقد عمدت القوات الأمريكية إلى احتلال هذه الجزيرة في يولية سنة ١٩٤١ لما لها من موقع استراتيجي هام.

---

(١) وكانت تابعة لفنلندا حتى استولت عليها روسيا في سبتمبر سنة ١٩٤١. وترجع أهميتها إلى أنها، كميناء هرمانسك الواقعة إلى الشرق منها بقليل، لا تتجمد مياهها في فصل الشتاء بسبب مرور شعبة من تيار الخليج الدافئ بها. المترجمان

وهناك مناطق أخرى في العالم تمتاز بارتفاع حرارتها وغزارة أمطارها إلى درجة كبيرة مما يحول دون قيام المدنيات الراقية بها، ومن هذه: الغابات الاستوائية في سهول الأمزون ببلاد البرازيل، وغابات حوض الكنغو في وسط إفريقية. وفي هذه وغيرها تصبح التربة قليلة الخصب أو عديمته بسبب سرعة تحلل النبات فيها، كما تحول كثافة النبات والأحراش النامية –على طول مجاري الأنهار وعند السواحل– دون تدخل الإنسان إلى داخلها. وأمطار المناطق الاستوائية غزيرة، فلا يكاد ينقضي يوم، دون انهمارها. كما أن درجة الحرارة فيها تقرب في المتوسط من الثمانين درجة فهرنهيتية. وفي هذه الغايات تعيش الآن بعض الجماعات البدائية، معتمدة على بعض الحرف البدائية كقليل من الصيد وجمع ثمار الغابات؛ أما غالبية السكان فيمارسون زراعة أولية للغاية، ولكن إلى جانب هذه وتلك توجد الآن مزارع كبيرة لبعض الغلات المدارية، يشرف على إدارتها الرجل الأبيض، وتتخصص في إنتاج المطاط وقصب السكر وبعض أنواع الفاكهة والتوابل والكاكاو، ومن أمثلة هذه: مزرعة فوردلانديا Ford Landia لزراعة المطاط في وادي الأمزون، والمزرعة التي أنشأتها شركة Firestone مؤخرًا في جمهورية ليبريا لنفس الغرض. هذا وتكاد تكون جميع مناطق الغابات الحارة الرطبة داخلة في نطاق الحرب، إما ضمن معسكر الحلفاء، وإما ضمن المعسكر الياباني.

وثمة نوع ثالث من المناخ لا يتفق والتقدم البشري، ذلك هو مناخ السفانا المدارية. ويمتاز بحر وجفافٍ شديدين في فصل الشتاء، حين

تحل الرياح التجارية محل الرهد الاستوائي. وفي آسيا تساعد الرياح الموسمية على الانتقال السريع من الشتاء البارد نسبيًا إلى الصيف بحره اللافح وأمطاره الغزيرة. والإقليم الموسمي، ممثلا في الهند وسيلان، قسمان: قسم غزير المطر. يشبه في نباته وحيوانه الغابات المدارية الرطبة إلى حد ما، وقسم قليل المطر يشبه السفانا في النبات والحيوان.

والرعي هو الحرفة السائدة في إقليم السفانا في العالمين القديم والجديد، والزراعة هنا أكثر تقدمًا منها في الإقليم الاستوائي، ويستعين القوم بالمحراث في اقتلاع الحشائش في الجهات الجافة، ولما كانت التربة هنا أقل حموضة منها في المناطق الاستوائية، فإن الإنتاج فيها أوفر غلة. وللأوربيين الآن مزارع كبيرة للقطن والسيسال كما لا تزال للأرز مكانة لا يدانية فيها نبات آخر في جنوب شرقي آسيا.

وطبيعي أن يكون نجاح الرجل الأبيض في المناطق المرتفعة أعظم منه في السهول والمنخفضات. هذا ويحول ارتفاع درجة الحرارة في بلاد الهند دون تقدمها السياسي رغم ما هي عليه من ازدحام بالسكان. ومن الأمثلة التاريخية القليلة على قيام وحدة سياسية ناجحة في الأقاليم المدارية: إمبراطورية مايا (Maya) في يوفطان.

والجفاف عامل آخر من العوامل المؤخِّرة لظهور القوة السياسية؛ وذلك على الرغم من الأهلية التي ظهرت لبعض المناطق الصحراوية في الحرب الحالية، غير أن هذه الأهمية سوف تتضاءل إذا ما عاد السلام. أجل لقد دعت ظروف القتال في شمال إفريقيا فيما بين ١٩٤٠–

١٩٤٣ إلى اتِّباع نوع من الفنون الحربية عرف باسم «حرب الصحراء»، فقد ظل الجيشان يتقدمان ثم يتراجعان مدًا وجزرًا عبر رمال الصحراء الليبية، وكما أقام الماريشال روميل الدليل على أن الألماني قادر على تكييف نفسه لهذا النوع من الحرب، فقد جاء الجنرال مونتجومري من بعده وبرهن أيضًا على أن البريطاني ليس أقل مقدرة من الألماني على هذا التكييف. وكان الألمان قد اختاروا للفيلق الإفريقي جنودًا دربوهم على القتال في المناطق الرملية الممتدة على سواحل بحر البلطيق وأنزلوهم في ثكنات تزيد حرارتها عن المعدل، وعودوهم العيش على الأغذية الجافة مع القصد الشديد في مياه الشرب. ولو تم لليابانيين غزو أستراليا عن طريق إنزال جنودهم في ميناء بورت دارون لنجم عن ذلك قيام حرب الصحراء أيضًا في فيافي أستراليا، وهي التي يتكون منها غالبية القسم الغربي لهذه القارة.

ولصحراء بلاد العرب أهميتها من الناحية الاستراتيجية، وكذلك من الناحية الاقتصادية، لوجود البترول بها، وهناك ما يزيد على المائتي مليون من المسلمين ترنو أبصارهم إلى مكة والمدينة، تينك المدينتين المقدستين ببلاد العرب السعودية والمركزين الروحيين للإسلام قاطبة. وقس على ذلك صحراء اتكاما في شمال شيلي التي اشتهرت بما فيها من موارد كبيرة للنترات الطبيعي، وإن كانت هذه الأهمية قد قامت الآن بعد كشف طريقة عمل النترات الصناعي.

وهناك صحراوات أخرى منها «كلهاري» الواقعة في خطوط العرض

الدنيا، و«جوبي» في العروض الوسطى، ولكن ليس لدينا ما يحملنا على الظن بأنه سيكون لهما في هذه الحرب الأهمية التي للصحراء الكبرى أو الصحراء العربية.

وتكاد تنحصر القيمة الحقيقة للصحراوات الآن فيما تحويه من ثروة معدنية كما هي الحال في شيلي، أو إذا هي احتوت على موارد مائية تكفي لإنتاج بعض المحصولات الزراعية بإتباع نظام الري. ومن ثم كانت الحضارات النهرية التي قامت في وادي الرافدين وفي وادي النيل كلها حضارات اعتمدت على الري. هذا وقد اكتسبت كل من مصر والعراق فيما بعد مركزًا خاصًا في المجال الجيوبولتيكي: الأولى بسبب موقعها الاستراتيجي على طريق السويس، والثانية بسبب ما تحويه من ثروة بترولية عظيمة.

وتمتاز مناطق السهوب على الأقاليم الصحراوية بزيادة في كمية الأمطار الساقطة عليها، ومع ذلك فطبيعة الأحوال الجغرافية فيها تحول دون كثافة سكانها، وتجعل منهم جماعات رعوية. وقد خرجت من سهوب آسيا أقوام كثيرة كان لها أثرها في سير حوادث التاريخ في كل من أوربا والشرق الأقصى.

هذا وأصلح أنواع المناخ كلها لقيام الدول الكبرى مناخ المناطق الرطبة الواقعة في خطوط العرض المتوسطة، أو الجهات المرتفعة من خطوط العرض الدنيا. ومن أمثلة النوع الأخير هضبة بوليفيا في أمريكا الجنوبية، وهضبة إيثيوبيا في إفريقية، وبلاد المسكسيك. ولمعادن

بوليفيا، وخاصة القصدير أهمية عظيمة في الوقت الحاضر. أما إثيوبيا فكانت آخر دولة إفريقية مستقلة خضعت لسلطان الاستعمار الأوربي[1] ومع ذلك فليس من المتوقع أن تصبح إثيوبيا أو بوليفيا دولة من الدول الكبرى وذلك لقله مساحتهما ووعورة سطحهما.

وإذا نحن رجعنا إلى الدول العظمى السبع التي كانت قائمة في سنة ١٩٣٩، نجد أنها كلها تحتل مساحات كبيرة في القسم الرطب من العروض الوسطى مما كان له أثره في تقدمها. غير أن هذه القاعدة ليست شاملة إذ يستثنى منها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي اللذان يتنوع المناخ في داخلهما بسبب اتساع رقعة الوطن الأصلي في كل؛ وهو عكس ما نلاحظه في الدول ذات الأوطان الصغيرة كالجزائر اليابانية ذات المناخ القليل التنوع.

وللأستاذ «إلزورت هنتجتن» Ellsworth Huntington رأيه في المناخ المثالي للنشاط الإنساني الذي تتطلبه مقتضيات الحياة الحديثة. فهو –في اعتباره– ذلك المناخ المثالي الذي يمتاز بكثرة تغيراته الجوية مع ارتفاع قليل في رطوبته وخاصة في فترات الدفء ويبلغ النشاط الجسمي غايته في فصل الصيف، على ألا تزيد حرارته على درجة الدفء. أما التقدم الفكري والنشاط الذهني فأحسن ما يلائمها هو

([1]) الإشارة هنا إلى استيلاء إيطاليا على إثيوبيا قبل الحرب العالمية الثانية، ولكن هذه البلاد استعادت استقلالها بعد هزيمة إيطاليا.

المترجمان

الشتاء البارد نوعا الذي لا تصل حرارته إلى درجة الانجماد. ومع أنه لا يوجد إقليم واحد تتوافر فيه هذه الشرائط، فقد ذهب «هنتنجتن» إلى أن مناح إنكلترا والقسم الأكبر من قارة أوروبا وشمال الولايات المتحدة وساحلها المطل على المحيط الهادي ونيوزيلاند وجنوب شرقي أستراليا وأجزاء من شيلي والأرجنتين تمثل أصلح الأجواء كلها، وخلص من بحثه هذا إلى أن أصلح جهات العالم كلها وأكثرها ملاءمة لإظهار كامن النشاط الإنساني، هي تلك التي تقع في مسالك أعاصير المنطقة المعتدلة الشمالية، وليس لهذه نظير في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية إلا في شقة صغيرة جدًا، وذلك لصغر مساحة اليابس فيه.

والتاريخ، قديمه وحديثه، ملئ بالشواهد على أهمية الدور الذي لعبته الأحوال الجوية في الحملات البرية والبحرية. فالقيادة الألمانية مثلا –اعتمادًا منها فيما يبدو، على المعلومات التي استقتها من معهد ميونخ للجيوبولتيكا– كانت على بينة من أن غزو بولاند يجب أن يتم في الأيام الأولى من شهر سبتمبر، إذا ما أرادت أن تتجنب الأوحال التي يمكن أن تتعرض لها دباباتها –Panzer Divislons بعد هذا التاريخ. كذلك اختارت شهر أبريل لغزو بلاد النرويج لأن في هذا الشهر يشتد هبوب العواصف التي يمكن أن تتخذ ستارًا لتغطية الوحدات النازية الصغيرة. أما غزوهم لورسيا فثد تخيروا شهر يونية للبدء به، لأن الأرض الروسية تكون إذ ذاك، بفضل تماسكها، أكثر ملاءمة لزحف الدبابات الألمانية. وهناك أمثلة أخرى كثيرة يمكن إيرادها لبيان أهمية الأحوال المناخية في سير

الحرب الحالية[١]، منها: اختيار اليابانيين للفترة من مارس إلى مايو –فترة الرياح الموسمية الخارجة من القارة– لإرسال حملتهم العسكرية على بورما، ومنها ما كان للضباب من فائدة في تغطية حركة الانسحاب من دنكرك، ثم العواصف الرملية وما كان لها من أثر في حملة شمال إفريقية، واختيار شهر يونية –وهو أقل أشهر السنة ضبابًا– لغزو جزائر «ألوشيان»، ثم معركة بحر بسمارك التي تغير اتجاه الرياح في خلالها، فكانت فرصة مواتية، استعانت بها القاذفات الأمريكية على إغراق القسم الأكبر من القافلة البحرية اليابانية التي كانت في طريقها من «رابول» إلى لأئي–Rabout to Lae (في مجموعة جزائر بسمارك). وإليك بعضًا من المعارك التاريخية التي كان للأحوال الجوية القول الفصل في سيرها: في سنة ١٨٨٩ كانت السفن الحربية الأمريكية والألمانية على أهبة الالتحام في معركة بحرية في مياه جزائر «ساموا» حينما هبت عاصفة مدارية هو جاء من النوع المعروف في المحيط الهادي، أغرقت سفن الأسطولين، ولم ينشب القتال. وفي سنة ١٧٥٧ كانت معركة «بلاسي» على أشدها وإذا بعاصفة مطرية شديدة تنفجر، فاضطر المتحاربون إلى وقف القتال. ولم يفت «كليف» خلال هذه الفترة أن يغطى مدافعه خشية البلل، وهو ما لم يتنبه إليه القائد الهندي. فلما انقطعت الأمطار استطاع «كليف» أن يتابع القتال فكسب المعركة. وهناك معركة «الأرمادا»Armada في سنة ١٥٨٨ التي قضت العواصف وأمواج المد المرتفعة في نهايتها على ما كان قد تبقى من سفن الأسطول الإسباني. هذا وتسمى المعركة التي

---

(١) بقصد الحرب العالمية الثانية.

هزم فيها Hooker جنود الاتحاد واستولى في نهايتها على جبل لوك أوت. «Lookout» في سنة ١٨٦٣: «معركة ما فوق السحاب» «Battle above the clouds»[1]. ومن المعارك: المشهورة معركة «واترلو» سنة ١٨١٥ التي أفسدت الأمطار في أثناءها على نابليون الخطة التي وضعها لها. كذلك ساعد ضباب بحر الشمال الأسطول الألماني على التسلل والنجاة من الدمار المحقق في أثناء معركة «جتلند» في الحرب العالمية الأولى. وأخيرًا نرى موسوليني يتخير لحملته على بلاد الحبشة في سنة ١٩٣٥ الفترة التي تسبق موسم الأمطار مباشرة.

السكان

هذا هو رابع الأمس الهامة التي تقوم عليها جيوبولتيكا الدولة (شكل ٥). والملاحظ أن ثلاثة أرباع الألفي ألف مليون أو أكثر الذين يسكنون الآن على سطح الكرة الأرضية يعيشون في جنوب شرقي آسيا وغرب ووسط أوروبا وفي شرق ووسط الولايات المتحدة وكندا. ويبلغ تركز السكان غايته في النصف الشرقي للكرة الأرضية، حيث يعيش ما يقرب من نصف سكان العالم كله. وهذا بعكس قلتهم الملحوظة في النصف الغربي. أما الجهات الجافة، فتكاد تكون خالية من السكان، ومثلها في ذلك الجهات المطلة على سواحل المحيط المتجمد الشمالي وبعض

([1]) الإشارة هنا إلى إحدى المعارك التي قامت بين الجنوبيين والشماليين في الحرب الأهلية الأمريكية. (المترجمان)

الجهات المدارية والاستوائية الغزيرة الأمطار. ويستثنى من هذه الأخيرة جزيرة جلوة.

هذا إلى أن النصر في أوقات الحروب مرهون بعدد من يمكن حشدهم من الرجال في ميدان القتال، وبعدد الرجال والنساء الذين يمكن الاستعانة بهم في الجبهة الداخلية. وما كان لدولة أن تنال قسطها من العزة والمنعة إذا هي لم تهيئ العدد اللازم من أبنائها لإسكان وإشغال جميع أراضيها. وإن ما نشاهده من فارق كبير بين عدد سكان كل من ألمانيا وفرنسا لهو من أهم أسباب تفوق الأولى على الثانية من الناحية الجيوبولتيكية، فعلى حين كان عدد سكان فرنسا ٤٣ مليون نسمة في سنة ١٩٣٠، نجد أن سكان ألمانيا كانوا قد قاربوا ٦٥ مليونًا. وإذا نحن رجعنا إلى عصر نابليون نرى أن عدد سكان الدولتين كان أكثر تقاربًا من هذا، وكانت فرنسا تمتاز بوحدتها وتماسكها، أما ألمانيا، فلم تكن إذ ذاك سوى «تعبير جغرافي». وإن ما نشاهده الآن في دول المحور من العمل على رفع نسبة المواليد، بفرض الضرائب على غير المتزوجين، ومنح الإعلانات لأصحاب الأسر، لدليل على ما تقوم به ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشستية من العمل على زيادة عدد سكانها. ولهذا كان موضوع ضغط السكان، وما لاحقه من طلب توسيع المجال الجغرافي Lebensraum من المواضع المحببة لدى الكتاب المحوريين في موضوع الجيوبولتيكا، كذلك كانت الحال في بلاد اليابان، فقد نجح كتابهم وقادتهم في إقناع الأهلين بأن البلاد قد ضاقت بساكنيها، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يعارضون أشد المعارضة في تحديد النسل،

تلك الفكرة التي أخذت تعم وتشيع في الدول الأنجلوسكسونية. وعلى حين نراهم ينعون على الولايات المتحدة ودول الكومنولث البريطانية وجمهوريات أمريكا اللاتينية سياستهم «البيضاء» وإيصاد بلادهم في وجه منا جرى اليابان، نرى هؤلاء يحجمون عن الذهاب إلى منشوكو وشمال الصين محتجين ببرودة مناخهما وانخفاض مستوى المعيشة فيهما. ويدعى الساسة اليابانيون، فوق ذلك، أن توسعهم الصناعي يتأثر، إلى درجة كبيرة، بالتعريفة الجمركية التي تفرضها الدول العربية في الأسواق التي يمكن أن يكون لهم فيها مجال تجاري. لهذا كله لم تكن هناك مندوحة، في زعمهم، من أن التوسع عن طريق الغزو والفتح هو الوسيلة الوحيدة لتنفيذ رسالتهم المقدسة، وسياسة تأسيس نظام جديد NewOrder في شرق آسيا الأكبر.

وإذا نحن رجعنا إلى اللواء «هوسهوفر» نجد أنه لم يعتقد، في أي وقت من الأوقات، بأن بلاد اليابان قد ضاقت بساكنيها، ولكنه كان يرى، مع ذلك، أن هناك فائدة كبرى يمكن تحقيقها من وراء إقناع الشعب الياباني بأن بلادهم قد أصبحت لا تتسع لأهليها، ومن ثم كان هؤلاء الملايين من السكان المستعبدين الذين يساقون الآن في كل من أوربا وشرق آسيا الأكبر، لإدارة عجلة الحرب التي تحركها كل من برلين وطوكيو، ولكن يجب ألا يغيب عنا أن الثلاثمائة مليون نسمة القاطنين في الشرق الأقصى والذين يخضعون الآن لحكومة الشمس المشرقة (اليابان) هم أكثر خنوعًا ومذلة من سكان النظام الأوربي الجديد. هذا ويبدو لنا أن ألمانيا أخذت تعاني الآن نقصًا في القوة العددية للرجال بدليل ما

تبذله من حماس شديد في إرسال القادرين من الفرنسيين إلى المؤسسات الصناعية في داخل ألمانيا نفسها.

ومجرد القوة العددية للسكان ليس في حد ذاته من العوامل الأساسية التي لها قوة جيوبولتيكية. ففي الهند مثلا ٣٨٠ مليون نسمة، وفي الصين ٤٢٢ مليونًا[١]، ولكن لا هذه ولا تلك يمكن اعتبارها دولة من الدول الكبرى. ويبلغ عدد سكان الولايات المتحدة ١٣٢ مليونًا من الأنفس، وسكان الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الروسية ١٩٣ مليونًا، أي أنهم يزيدون على الأمريكيين بواحد وستين مليونًا، وهذا عدا ما هو معروف عن الزيادة العظيمة في نسبة المواليد عند الروس. ولأمريكا جيش ضخم يبلغ العشرة ملايين أو أكثر، وهو عدد يقرب من مجموع سكان كندا كلها. وما كان لدولة أن تجند مثل هذا العدد، إذا لم يكن لها احتياطي كبير من السكان.

هذا، وكان عدد من دعى للقتال في الحرب العالمية الأولى ستين مليونًا. أما في الحرب الثانية فلا بد أن يكون العدد أكثر من هذا بكثير.

ومن الخطر أن نعتمد على مجرد الإحصائيات العددية للسكان من غير فهم وتحليل دقيقين لهذه الأعداد. خُذ سكان إمبراطورية الكومنولث البريطانية مثلا، تجد أنهم يبلغون الخمسمائة مليون، ولكن من بين هؤلاء

---

(١) كان عدد سكان جمهورية الصين الشعبية بموجب إحصاء سنة ١٩٥٣: ٦٠٢ مليون نسمة. أما الهند ومعها باكستان، فحوالي ٣٨٠ مليون الأولى، ٨٠ مليونا للثانية) = ٤٦٠ مليون نسمة.

٣٨٠ مليون هم سكان الهند، أما المواطنون البريطانيون المنتشرون في مختلف أنحاء الكومنولث فسبعون مليونًا فقط.

والباحث في موضوع السكان، يجب عليه أن يتناول نواحي عدّة أهمها كلها أربع هي: الجنس والسلالة، وحياة الشعوب والتطورات التي دخلت عليها، ثم اللغة، والدين.

والجنس اصطلاح علمي غير محدود، يمكن إطلاقه على كل مجموعة من الناس لهم صفاتهم الطبيعية الخاصة التي تميزهم عن غيرهم من المجموعات الأخرى. والرجل العادي، إذا ما ذكر «الجنس»، لا ينصرف تفكيره إلا إلى لون البشرة، أما رجل العلم فينظر إليه من عدة نواح، منها طبيعة الشعر ومقاييس الرأس وما إلى ذلك من العوامل الكثيرة التي يتخذها علماء الأجناس أساسًا لتصنيف المجموعة البشرية إلى أجناس وسلالات، وأهمها «القوقازي» و«المغولي» و«الزنجي». وقد يكون من المفيد بهذه المناسبة أن نورد شيئًا عما يراه بعضهم في هذا الشأن: فهتلر مثلا كان من المؤمنين بأسطورة الجنس الآري وما اشتملت عليه من تفوق النورديين على كل من عداهم، من الناحيتين العقلية والبدنية، وقد كان لهذا الاعتقاد نتائجه الخطيرة. فهو وحده الذي يفسر لنا الطريقة التي سار عليها الرايخ الثالث في معاملته للأجناس الأوربية «المنحطة» –في نظره–، وما أنزله بها من ألوان الاضطهاد والتعذيب، كذلك لم يترك سادة اليابان فرصةً إلا وأكدوا فيها وجوب تقديس إمبراطورهم والرسالة المقدسة التي تقوم بها حكومته، مما جعل الكثيرين

من الجنود اليابانيين يؤمنون إيمانًا راسخًا بأنهم رسل الإمبراطور في إبلاغ رسالته المقدسة إلى شعوب الباسيفيك والشرق الأقصى.

أما اللواء هوسهوفر فلم يكن من المشايعين لهتلر في نظريته الخاصة بالأجناس. ولما كانت زوجته غير آرية، نراه فقد أهليته لعضوية الحزب النازي، ولهذا صرف كل اهتمامه إلى دراسة المجال الأرضي وترك الكثيرين من مستشاري هتلر يهتمون بموضوع الأجناس والسلالات.

وإذا نحن ابتعدنا عن دول المحور، رأينا وجهات نظر مختلفة في موضوع الأجناس. ففي الولايات المتحدة نجد أن الثلاثة عشر مليونا من الزنوج النازلين فيها قد أوجدوا حدًا واضحا يفصل بين اللونين وخاصة في الولايات الجنوبية، ويأخذ هذا الفاصل اللوني في التضاؤل إذا ما وصلنا إلى أمريكا اللاتينية، فيصبح زنوج البرازيل متمتعين بحقوق وامتيازات يحسدهم عليها زنوج الولايات المتحدة. وفي جنوب إفريقية يعمل الحكام البريطانيون والهولنديون جاهدين على الاحتفاظ بإدارة البلاد حتى لا تفلت من أيديهم إلى الملونين، وهذا عكس الحال في بلاد الهند التي لا تقيم وزنا للاختلافات الجنسية. أما الاضطهاد الواقع على اليهود في جهات عدة فهو اقتصادي أكثر منه جنسي، إذ من المشكوك فيه كل الشك وجود جنس بشري يمكن أن نسميه «الجنس اليهودي».

ويراعى عند تقسيم المجموعة البشرية إلى شعوب ما قد يكون بين جماعة وأخرى من تباين في الناحيتين الاجتماعية والثقافية، كما أن للدين

واللغة أثرهما في بناء الشعوب وتكوينها، وقد ظهرت أهمية هذه العوامل في نهاية الحرب العالمية الأولى، عندما أريد تنفيذ مبدأ من أهم المبادئ التي نادى بها الرئيس وودرو ولسن هو مبدأ تقرير المصير، فقد استحال عليهم ذلك بسبب ما وجدوه من اختلاط شعوب عدة ببعضها البعض في بقعة واحدة، وتعذر بذلك تعيين الحدود السياسية بينها. كذلك لاحظوا أن وجود أقليات خارج حدود الدولة التي تضم الشعب الأصلي من شأنه أن يدعو إلى عدم الاستقرار السياسي. ومن هنا كانت أولى الأماني التي عمل أودلف هتلر على تحقيقها، هي جمع كل الألمانيين تحت راية رايخ واحد. إذ كانت معاهدة باريس قد تركت سبعة ملايين من المتكلمين باللغة الألمانية داخل حدود النمسا وثلاثة ملايين ونصف مليون غيرهم في تشيكو سلوفاكيا، عدا أقليات أخرى في بولندا وفرنسا و«ممل»، يضاف إلى هذا كله الممر البولندي الذي أوجدته هذه المعاهدة والذي خلق أقلية ألمانية أخرى وقضى على وحدة البلاد بفصل بروسيا الشرقية عن بقية أرض الوطن. ولقد استطاع هتلر، دون الالتجاء إلى القتال، أن يضم إلى ألمانيا جميع سكان النمسا، وبلاد السوديت، ومنطقة «ممل»، ولكن «دانتزج» والممر البولندي كانتا الزناد الذي اندلعت منه الشرارة التي أشعلت الحرب العظمى الثانية.

والتاريخ مليء بذكر العداء المستحكم بين مجموعتين متباينتين أو أكثر من الشعوب. فالنزاع بين الألمان والفرنسيين قائم منذ مئات السنين، وكثيرًا ما قامت الحرب بين السلافيين والألمان. وهناك العداء المستحكم بين اليونان والبلغار. وما الحرب الأهلية في يوجوسلافيا،

تلك الحرب التي بلغت أشدها في سنة ١٩٤٣، إلا مظهرًا من مظاهر الخلاف القائم بين شعوبها الثلاث: الصرب والكروات والسلوفيين الذين لم يندمجوا بعد الاندماج الكافي الذي يمكن أن تتولد عنه القومية والدولة الموحدة. ولهذا لم يكن غريبًا أن نرى بين الدول الموالية للمحور دولتي كرواتيا التي اقتطعها النازيون من يوجوسلافيا، وسلوفاكيا التي اقتطعوها من تشيكوسلوفاكيا، على حين أن كلا من يوجوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا، كما هو معروف، عضوان في معسكر الدول المتحدة.

وليس من شك أن ما قام به الألمان من إرغام الكثيرين من سكان القارة الأوربية على الهجرة من جهة إلى أخرى، سوف يزيد تعقيد مشكلة تعيين الحدود السياسية بعد الحرب الحالية. بل إن إعادة رسم الدول السياسية لهذه القارة على أسس جنسية وقومية سوف يثير في مؤتمر الصلح القادم نفس المشكلات التي أثارها في سنة ١٩١٩.

ولكن إلى جانب هذه الصورة المضطربة الكثيرة التعقيد، هناك صورة أخرى، هي صورة سويسرة، تلك الدولة التي على ما فيها من شعوب عدة –ألمان، وفرنسيين، وإيطاليين، ورايتو رمان Rhaeto Roman– استطاعت أن توجد بينها كلها وتخلق منها دولة موفقة هنيئة.

أما اللغة فهي من أفضل الوسائل وأظهرها أثرًا في تمييز شعب عن شعب. وطبيعي أن يكون اتفاق اللغة عاملا من عوامل توحيد الجماعات، كما أن اختلافها لا بد أن ينتهي بها إلى التفرقة. وتمتاز كل من أوروبا وآسيا بتعدد لغاتهما وتباينها، وهو عكس ما تشاهده في كل من أمريكا

وأستراليا، حيث تعتبر مشكلة اللغات أبسط المشكلات كلها وأيسرها. فالإنكليزية والإسبانية والبرتغالية هي اللغات الرئيسية في الأمريكتين، مع قليل من الفرنسية –في ولاية كويك، والهولندية في بعض جزائر الهند الغربية ومستعمرة غينيا. أما أستراليا فلها لغة واحدة هي الإنكليزية. والآن، قارن هذا بما هو حادث في الهند مثلا حيث توجد مئتا لغة معترف بها –عدا اللهجات العديدة– ومن هاتين المئتين، عشر لا يقل عدد من يتكلم كلا منها عن التسعة ملايين من الأنفس، ولن نجد في أوربا دولتين يتحد سكانهما في اللغة عدا ألمانيا والنمسا، وهذا لا يحول دون وجود أقليات تعيش في دول مختلفة ومع ذلك قد تتكلم لغة واحدة. وليست إفريقية بأحسن من هذا حالا، فالزنوج الخاضعون لبريطانيا وحدها يتكلمون حوالي المائتي لغة، وفي اتحاد جنوب إفريقية يتكلم المستعمرون البيض اللغتين الإنكليزية والأفريكانية[1].

والدين عامل آخر من عوامل تمييز المجموعات البشرية بعضها عن بعض. وليس الدين الآن كما كان قديمًا من الأسباب التي تثار من أجلها المنازعات. فالحروب الدامية التي يتصل ذكرها بظهور الإسلام وبالحملات الصليبية في الشرق الأدنى وبحركة الإصلاح البروتستانتية والحركة المضادة لها التي قام بها الكاثوليك، أصبحت كلها الآن في ذمة التاريخ –والهند الحديثة هي المثل الوحيد الذي يتخذ فيه النزاع بين

---

(1) وهي لغة السلالات الهولندية التي استعمرت جنوب إفريقية؛ فهي لغة هولندية مع قليل من بعض اللهجات الوطنية الإفريقية وبعض الإنكليزية.

الهندوس والمسلمين مظهرًا دينيًا[1]. أما الكفاح القائم في فلسطين بين اليهود والعرب فمرجعه الأول العامل الاقتصادي.

والمسيحية بمذاهبها الثلاثة –البروتستانتية والكثلكة والكنيسة اليونانية الأرثوذكسية– هي الديانة الغالبة في الأمريكتين وأستراليا وأوروبا وجنوب إفريقية.

والإسلام ينتشر من جزائر الهند الشرقية شرقًا حتى شمال إفريقية غربًا، بما في ذلك الشرق الأدنى وأجزاء من بلاد الهند وغرب الصين، وبعض جهات في جزائر الفليبين. وتمتد الديانة البوذية من منغوليا حتى جنوب شرقي آسيا بما في ذلك بلاد اليابان، أما ديانة الهندوكيين فمركزها بلاد الهند، وإن كانت هذه البلاد تنتظم في داخلها خليطًا كبيرًا من الديانات، ويدين معظم الصينيين بمذهب كونفشيوس، وهناك الوثنيون وأكثر ما يكون هؤلاء في المناطق الاستوائية كوسط إفريقية وجزيرة غينا، وتعيش فئة منهم في الجهات القطبية. ويقدر عدد المسيحيين بحوالي ٦٨٣ مليون نسمة، أما غير المسيحين فيبلغ عددهم نحو ١١٦٩ مليون نسمة.

هذا وتختلف العلاقة بين الكنيسة والحكومة من دولة إلى أخرى. فهناك حكومات تسير على مبدأ الحرية الدينية التامة، ومثلها الولايات

---

[1] لم يكن المسلمون الهنود قد أسسوا حينذاك دولة «الباكستان».

المترجمان

المتحدة، وأخرى ينص دستورها على وجود دين رسمي للدولة، كبعض جمهوريات أمريكا اللاتينية. ومن الأمثلة التي يمكن إيرادها على بيان ما قد يكون للدين من أثر في عرقلة شئون الدولة، ظهور عبادة شنتو[1] Shinto في اليابان. والمشاهد أن اتصال روسيا بدول الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية كان له أثره في حمل حكومتها على انتهاج سياسة أكثر تسامحًا عن ذي قبل في المسائل الدينية.[2]

الموارد الطبيعية، والقدرة الصناعية

وهما يكوّنان الدعامة الخامسة التي تقوم عليها «الجيوبولتيكا» الدولة ذلك لأنهما مظهر قوتها الاقتصادية، كما أن نجاح العمليات الحربية مرهون –إلى درجة كبيرة– بتفوق الدولة في تجهيزاتها العسكرية من طائرات، ودبابات وسفن ومدافع، وهذه كلها نتيجة مباشرة لقدرة الدولة على الإنتاج الصناعي (شكل ٦).

هذا، ولا تصل الدولة إلى مرتبة الدول العظمى إلا إذا توافر لديها القدر الكافي من الموارد الطبيعية الأساسية في داخل حدودها، أو كان لها في القوة ما يضمن لها الوصول إلى هذه المواد في مواطنها الأصلية (شكل ٧). ومثل هذا الشرط من شأنه «أن يحول دون بلوغ الكثير من الدول مثل هذه المرتبة».

---

[1] Shintoism: هو دين سواد السكان في اليابان، وأساسه تقديس الأجداد وبعض مظاهر الطبيعة.

[2] كان ذلك التسامح ضرورة من ضرورات الحرب بسبب انضمام روسيا إلى الحلفاء.

والمواد الأولية لا تُكسب الدولة القوة والمناعة، إن هي لم تستغل وتستثمر: فروسيا القيصرية كانت غنية بمواردها الطبيعية، ولكن المستغل منها إذ ذاك كان قليلًا جدًا، فلم يكن لها –والحالة هذه– الأثر المطلوب في الحرب العالمية الأولى. ولهذا انهارت الجيوش الروسية أمام قوات قيصر ألمانيا في سنة **١٩١٧**. أما الآن، وفي سنة **١٩٤٣**، فقد تغيرت الحال وأصبحنا نرى القوات السوفيتية، تضغط على جيوش الفوهرر وتجليها عن أراضيها.

وهناك سبل المواصلات من حيث سهولتها وكفايتها، وذلك حتى يتسنى للدولة إيصال المواد الأولية إلى المراكز التي تحول فيها إلى معدات الحرب والسلم؛ وهذه على أنواع: الطرق البرية، والسكك الحديدية، والطرق المائية الداخلية، ثم الملاحة البحرية، والنقل الجوي.

هذا وقد قام المحوريون، كما ذكرنا، بتقسيم العالم إلى مناطق لكل كفايتها الاقتصادية. غير أن كل محاولة من هذا النوع تحتاج إلى تحديد وتدقيق كبيرين، إذ أننا لا نعرف دولة واحدة تكفي نفسها بنفسها من غير أن تستعين بغيرها. وقد كانت الدول الكبرى –عند بدء الحرب العالمية الثانية– على درجات متفاوتة في هذه الكفاية: فالولايات المتحدة وروسيا السوفيتية والإمبراطورية البريطانية كانت تتزعمها كلها. وتمتاز الدولتان الأوليان باندماج رقعتها الجغرافية وتماسكهما. أما الإمبراطورية البريطانية فمكونة من أجزاء متناثرة تشغل ربع مساحة اليابس كله. وتأتي فرنسا في المرتبة الثانية من حيث هذه الكفاية. أما ألمانيا وإيطاليا واليابان فكانت

حتى سنة ١٩٣٨ دون بقية الدول الكبرى بكثير، ومن ثم جاء التعبير الذي شاع استعماله فيما حول سنة ١٩٣٠: «دول لها، ودول ليس لها». (Haves and have – nost).

وتقاس قوة الدولة ومالها من وزن، في وقتنا الحاضر، بقدرتها على التصنيع، لأنه هو الذي يحدد المظاهر المختلفة لتلك القوة من حيث اتساع رقعتها وعدد سكانها ورصيدها من الذهب وعتادها، لا بل وجيشها نفسه. لهذا أصبحت الدول المتحالفة تعلق أملا كبيرا في النصر النهائي على تفوق إمكانياتها الصناعية، وخاصة ما يوجد منها في الولايات المتحدة والإمبراطورية البريطانية والاتحاد السوفيتي. وإذا كانت ألمانيا واليابان قد كسبتا الجولة الأولى في الصراع القائم الآن، فما ذلك إلا لقربهما من مواطن القتال من جهة، وما كان لهما من سبق في صنع المهمات الحربية الحديثة، من جهة أخرى. وإن حربًا تكون الغلبة فيها لمن يصمد صناعيًا حتى النهاية، لا بد أن تبوء دول المحور فيها بالفشل.

وقدرة الدولة على التصنيع مرهونة –إلى حد كبير– بوجود المواد الأولية التي تحتاج إليها الصناعات المتنوعة. والحصول على هذه المواد له ناحيتان: إحداهما دولية بسبب الوضع الحالي للحدود السياسية، والثانية طبيعية؛ ذلك لأن التوزيع الجغرافي لتلك المواد لا يخضع لأية قاعدة أو نظام.

هذا، وقد قامت لجنة الذخيرة للجيش والأسطول الأمريكي بنشر قوائم بأهم المواد التي تحتاج إليها الولايات المتحدة وقسمتها إلى فئات

ثلاث: الاستراتيجية، والخطرة، والحيوية:

وعرفت المواد الاستراتيجية بأنها تلك التي «لا غنى عنها في الدفاع عن الوطن والتي يعتمد في إنتاجها كلها أو جزء منها، خلال فترة الحرب، على مصادر واقعة خارج الحدود القارية للبلاد، ولهذا وجبت المحافظة عليها وفرض الرقابة الشديدة على توزيعها» وغالبية هذه القائمة من المملكة المعدنية: فالولايات المتحدة تستهلك نصف محصول العالم من مادة الاتنيموني. (التوتيا أو حجر الكحل). ومعلوم أن بوليفيا والمكسيك تنتجان هذا المعدن. ولكن نصف الإنتاج العالمي يأتي من الصين. أما الكروم chrominum فتوجد أغنى مناجمه في روسيا الجنوبية ويليها في ذلك الاتحاد السوفيتي فتركيا فجنوب إفريقية. وتستهلك الولايات المتحدة من ثلث إلى ثلثي إنتاج العالم كله. وهناك المنجنيز، وهو مادة لها أهميتها في صناعة بعض أنواع الفولاذ، وتبلغ «مقطوعية» الولايات المتحدة منه ثلث الإنتاج العالمي، وتستورده من الروسيا والهند وجنوب إفريقية. وقد أضافوا الزئبق مؤخرًا إلى هذه القائمة. وأكبر الدول المصدرة له أسبانيا وإيطاليا ومنهما تستورد الولايات المتحدة نصف الكمية التي تستخدمها في صناعاتها. كما أضافوا «الميكا» وتدخل في صناعة الأجهزة الكهربائية ومصدرها الأكبر هو الهند.

أما «النيكل» فتوجد أكبر حقوله في كندا وتنتج ٨٥٪ منه على حين لا تنتج نيوكليدوينا سوى ٥٪ منه وتستورد الولايات المتحدة نصف نيكل العالم كله. والبرازيل أكبر مستودع للبلورات «الكوارتز»،

كما أن بالصين ٧٤% من «التنجستن» العالمي: أما القصدير، وهو المعدن الوحيد الذي لم يعثر عليه في الولايات المتحدة إلا بكميات قليلة جدًا لا قيمة لها من الناحية الصناعية، فكانت تصهر أكثر من نصف الكمية المستعملة منه في الأغراض التجارية على مقربة من مدينة سنغافورة؛ وتحصل الولايات المتحدة على هذا المعدن من مصادر ثلاثة وهي ولايات الملايو وتستورد منها ٣٧%، وجزائر الهند الشرقية وتستورد منها ١٩%، ثم بوليفيا ١٢%٠ ومن المواد الاستراتيجية الأخرى فحم قشور جوز الهند[1]، وخيوط مانيللا، والكينين، ثم الحرير، والمطاط. وكانت الولايات المتحدة تستمد غالبية المطاط اللازم لصناعاتها من شبه جزيرة الملايو وجزائر الهند الهولندية. أما البرازيل، وكانت من قبل أهم مصدر للمطاط، ففيها إمكانيات كبيرة لإنشاء مزارع لهذا النبات يمكن أن تأتي ثمارها بعد سبع أو ثماني سنوات من زرعها. كذلك تستطيع الولايات المتحدة أن تستغنى بإنتاج كل من «بيرو» و«بوليفيا» من الكينين عما كانت تستورده من جزائر الهند الشرقية. أما الحرير الخام فكان جل اعتمادها فيه على اليابان. وجزائر الفيلبين هي أكبر مصدر لخيوط مانيللا، كما يأتيها فحم جوز الهند من جزائر المحيط الهادي الجنوبي مع كميات قليلة من أمريكا الجنوبية.

تأتي بعد ذلك قائمة المواد خطيرة الشأن كما ذكرتها لجنة الذخيرة الأمريكية للجيش والأسطول. وهي تلك التي لا غنى عنها في الدفاع عن

---

(1) وهو نوع من الفحم النباتي، ينشأ عن حرق قشور جوز الهند بمعزل عن الهواء، مطمورًا كما يصنع الفحم البلدي، رمته تؤخذ المادة التي تستعمل في ترشح الهواء عند عمل الكمامات المضادة للغازات السامة. الترجمان

الوطن، ولكن الحصول عليها أقل خطورة من المواد الاستراتيجية. فالألومنيوم الذي اعتبر من قبل مادة استراتيجية يوجد في الولايات المتحدة نفسها وفي كندا. ثم الأسبستس، ويوجد في شرق كندا، والجرافيت ويؤتي به من مدغشقر وإن كان من الممكن الاستعاضة عنه بمواد أخرى محلية. ثم اليود في ولاية كاليفورنيا. كما استطاعت الولايات المتحدة أن تجد بديلا للزجاج الألماني الذي يستخدم في صناعة البصريات. وهناك مادة Vanadium. وتدخل في صناعة بعض أنواع الفولاذ اللازم لعمل الطائرات، وتوجد مناطق تعدينها في بيرو وفي الولايات المتحدة نفسها. والحكومة الأمريكية واثقة من أنها لن تجد صعوبة، خلال الحرب الحالية، في الحصول على المواد التي أدرجت في قائمة الضروريات. وكل ما تتوخاه اللجنة من إفرادها في قائمة خاصة بها هو ضمان تنظيم عمليات الصهر والصنع والتوزيع، ومن هذه المواد الكلورين والنحاس الأحمر والهليوم والحديد والفولاذ والرصاص والمغنسيوم Molybdenum أحد أنواع الكروم النادرة –ومركبات النيتروجين والبترول والفوسفات والبوتاس وحامض الكبريتيك واليورانيوم والزنك، Zirconium؛ هذه كلها تستعمل في صناعة الأنوار الوضاءة. وهذه القائمة عرضة للتبديل والتغيير حسب مقتضيات الحاجة، لأن أمريكا –إلى جانب أنها أكبر منتجة للمواد المعدنية– فهي أيضا أكثر بلاد العالم استهلاكا وتوزيعا لهذه المعادن ومنتجاتها.

ورغم ما عرف عن الولايات المتحدة من أنها أكثر بلاد العالم كله كفاية اقتصادية، فإن هذا لا يمنعنا من تقرير الحقيقة الآتية، وهي أنه

حتى هذه البلاد لا يمكن أن تعيش في عزلة عن العالم الخارجي، فما بالك بدول المحور –ألمانيا وإيطاليا واليابان؟ وماذا يا ترى يكون ترتيبها بين الدول ذات الكفاية الاقتصادية؟ هناك اثنتان وعشرون مادة صناعية لا غنى عنها لاستكمال هذه الكفاية وهي: الفحم، الحديد الخام، البترول، النحاس الأحمر، الرصاص، النترات، الكبريت، القطن، الألومنيوم، الزنك، المطاط، المنجنيز، النيكل، الكروم، الثنجستن الصوف، البوتاس، الفوسفات، الأنثومني (التوتيا) ثم القصدير والزئبق والميكا.

وكانت ألمانيا في سنة ١٩٣٩ تعتمد إلى درجة كبيرة، وفي بعض الحالات اعتمادًا كليًا، على المصادر الخارجية لتغذيتها بهذه الاثنتين والعشرين مادة، يستثنى منها الفحم والنترات والبوتاس، أما كفايتها من الحديد في فترة الحرب فمرجعها الكميات التي تستمدها من المناجم السويدية –وإيطاليا قد تنتج الكبريت والزئبق، كما قد تستطيع الحصول على بعض الموارد الإضافية من الحديد والرصاص والنترات والألمنيوم مما تنتجه المناجم المحلية ذات النسب الواطئة في هذه العناصر، ولكنها تعتمد إلى درجة كبيرة جدًا على الأسواق الأجنبية التي تمونها بالفحم والبترول والنحاس الأحمر والقطن والكثير من المركبات المعدنية التي لا غنى لها عنها. أما ثالثة دول المحور وهي اليابان ومعها منشوكو فلديها من مواطن الفحم والحديد والكبريت والكروم والتنجستن والنترات والميكا، ما يكفي حاجاتها الضرورية، ولكنها كانت فيما قبل اليوم السابع من شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ مفتقرة إلى بعض المواد الضرورية كالمطاط

والقصدير والبترول، كانت تحصل عليها من الأسواق الخارجية.

وكانت فرنسا تنتج –في داخل بلادها– الحديد والألومنيوم والبوتاس، وتأخذ النيكل والكروم و«التوتيا» والميكا من مستعمراتها. أما الاتحاد السوفيتي فكان أهم ما يعوزه المطاط والنيكل والتنجستن و«التوتيا». وهناك الإمبراطورية البريطانية، وهي مفتقرة إلى البوتاس والفوسفات و«التوتيا» والبترول. وحتى الولايات المتحدة يعوزها المطاط والكروم والقصدير والمغنيسيوم.

وجملة إنتاج الولايات المتحدة ومعها الإمبراطورية البريطانية والاتحاد السوفيتي نحو ١٣٣ مليون طن من الفولاذ سنويًا. أما أوربا النازية ومعها اليابان، فلا يزيد إنتاجهما على التسعة وأربعين مليون طن من هذه المادة.

هذه ولم يكن في وسع الوحدات الأسيوية التي كانت تحتلها اليابان قبل ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١، أن تساير التوسع الصناعي الذي أوجبته المجهودات الحربية، مما اضطرها إلى البحث –خارج مناطق نفوذها– عن البترول والمطاط والحديد والفولاذ القديم (الخردة) والكثير من المركبات المعدنية. ولكنها، بعد غزوها لجنوب شرقي آسيا، تغلبت على الكثير من الصعاب التي كانت تجابهها في الحصول على المواد الأولية، بل أصبحت تملك ما يزيد كثيرًا على حاجاتها من البترول والقصدير والمطاط وإن كان استغلالها لها لم يتم مباشرة بسبب سياسة حرق الأراضي التي اتبعها الحلفاء قبل تقهقرهم عن تلك البلاد. ومن المواد

الأخرى التي تهيأت لليابانيين بسبب هذه الفتوحات: الحديد الخام، والحديد القديم (الخردة) والبكسيت ثم الكروم والمنجنيز والنحاس الأحمر والنيكل. ولكن على الرغم من هذا كله فإن شرق آسيا الأكبر لا يزال دون حد الكفاية الاقتصادية الكاملة، فهو مفتقر إلى الزئبق والنترات والرصاص. وهذا عكس ما هو حاصل في المواد الغذائية، فالملاحظ أن البلاد الداخلة في نطاق هذا القسم –شرق آسيا الأكبر– تكمل بعضها البعض إلى درجة الرخاء؛ لأن الكمية الزائدة من الأرز عن حاجة الاستهلاك المحلى في الصين الهندية الفرنسية وفي بلاد تايلاند لها قيمتها الكبرى في تغذية جيوش الشمس المشرقة (اليابان) النازلين في البحار الجنوبية.

هذا ولطالما أعلن النازيون أن القارة الأوربية وحدة اقتصادية قائمة بذاتها؛ ومنذ أن بدأت الحرب العالمية الثانية وألمانيا على اتصال مباشر بمناجم الحديد الفرنسية والسويدية تستمد منها حاجتها، كما وجدت في أوكرانيا مستودعات للمنجنيز والفحم والحديد. أما الكروم فتحصل عليه من كل من اليونان ويوغوسلافيا، وهناك كميات، وإن كانت قليلة، من النيكل في النرويج وفنلندا، ومقادير أخرى محدودة أيضًا من الثنجستن في أسبانيا والبرتغال، وكميات قليلة جدًا من «التوتيا» في فرنسا وتشيكو سلوفا كيا والنمسا ويوغوسلافيا، أما الزئبق فتوجد أكبر مستودعاته في أسبانيا وإيطاليا. وتنتج رومانيا مقدارًا لا بأس به من البترول، كما تغل الآبار البولاندية مقدارًا آخر وإن كان قليلا. هذا ولو تم لألمانيا فتح الشرق الأدنى وشمال إفريقية، وأمكنها ضم جميع أراضي القارة الأوربية إلى الغرب من جبل أورال لأصبحت تملك القسم الأكبر من إنتاج العالم

في الكروم والزئبق والمنجنيز والبكسيت والبوتاس، ونصف ما في العالم كله من حديد وفانديم Vanadium وماغنسيوم وكبريت وفوسفات وعجينة الخشب وخيوط النسيج، ولكنها رغم هذا كله تظل وهي دون الكفاية في بعض المواد التي لا يمكن الاستغناء عنها، ومنها «التوتيا» والقصدير والمطاط، بل وربما البترول نفسه[1].

وإذا نحن انتقلنا إلى الموارد الغذائية، نجد أن ألمانيا كانت في سنة ١٩٣٩ تعتمد في غذائها -إلى حد كبير- على الواردات الأجنبية وخاصة ما كان يأتيها من بلاد البلقان. وتتباين آراء الخبراء في قدرة أوربا على كفاية نفسها بنفسها من الناحية الغذائية. فواحد منهم وهو Brooks Emery يقرر أنه إذا أمكن الاستمرار في تشديد الحصار على الطرق البحرية المؤدية إلى أوربا فلا مندوحة من حدوث المجاعة تدريجيًا في البلاد التي يسيطر عليها النازيون. غير أن هذا لا يتفق مع ما يقرره جماعة الكتاب الذين ينتمون إلى جمعية السياسة الخارجية Foreign Policy Association والذين يرون أن إخضاع ألمانيا عن طريق تجويعها ضعيف الاحتمال جدًا.

هذا ومن الراجح أيضًا أن نصف الكرة الغربي لا يكونّ وحدة اقتصادية كاملة. حقيقة أن المواد الطبيعية في كل من كندا وأمريكا

---

(1) من الواضح أن المؤلفين فرغا من كتابهما قبل إعلان النتائج العظيمة التي حصلت عليها شركات البترول التي تعمل في بلاد العرب السعودية وفي إمارة الكويت وجزيرة البحرين وغيرها من بلاد الشرق الأدنى، وهي تعتبر الآن أغنى حقول العالم كله.

اللاتينية قد تكملّ موارد الولايات المتحدة، ولكن يجب ألا يفوتنا أنها تنافسها في الوقت، ولهذا فكل اتحاد جمركي بين الولايات المتحدة والدول الأمريكية الأخرى يجب، إذا ما أردنا أن نجنبه المشكلات التي تتعرض لها مثل هذه الاتحادات، ألا يشمل غير الاثنتي عشرة دولة القائمة على سواحل البحر الكاريبي، والدول الثلاث القائمة على جوانب جبال الأنديز. أما النصف الجنوبي من أمريكا اللاتينية وكذا الأجزاء القريبة من كندا فإن منتجاتها تشكل منافسًا خطيرًا للولايات المتحدة في الأسواق العالمية. ومع ذلك فالأمريكتان معًا تنتجان كفايتهما من المواد الغذائية وتحويان قدرًا كبيرًا من المواد الأولية، وهو ما يتضح من الأرقام الآتية التي تمثل النسبة المئوية للإنتاج الأمريكي بالنسبة إلى جملة الإنتاج العالمي في الفترة من ١٩٣٤– ١٩٣٩: –

الألومنيوم	**٣٥٪**	**الزنك**	**٥٣٪**
القطن	**٥٣٪**	**الفحم**	**٣٧٪**
الفولاذ	**٤٠٪**	**الحديد الخام**	**٣٥٪**
الصوف	**٢٨٪**	**البترول**	**٧٨٪**
الأنتومني (التوتيا)	**٤٩٪**	**النحاس الأحمر**	**٦٤٪**
الذهب	**٢٨٪**	**الرصاص**	**٥٣٪**
النيكل	**٨٤٪**	**حديد الصلب**	**٣٥٪**
القصدير	**٢٠٪**	**القمح**	**٢٤٪**
ال Molybdenum	**٩٦٪**	ال Vanadium	**٣٧٪**

وهي قائمة –كما ترى– عامرة. ومع ذلك فنصف الكرة الغربي لا يقوى على إنتاج القدر الكافي من بعض المواد التي لا غنى له عنها في حالتي السلم والحرب، ومنها الكروم والماغنسيوم والمنجنيز وخيوط الفانيلا والزئبق والبوتاس والكينين والمطاط والقصدير والتنجستن والزيوت النباتية.

والخلاصة أنه لا شرق آسيا الأكبر، ولا أوربا الجديدة، ولا نصف الكرة الغربي يستطيع أن يفاخر بأنه وحدة إقليمية تقوى على الحياة بنفسها دون معاونة الوحدات الأخرى لها.

وقد يكون من المفيد أن نشير هنا بصفة خاصة إلى البترول، وهو مادة الحياة في الحروب الحديثة، وذلك لأن العمليات الحربية الحديثة –البرية والبحرية والجوية– تعتمد، في الدرجة الأولى، على الغازولين وزيوت التشحيم والوقود، لا في ميادين القتال فقط بل وإلى درجة كبيرة جدًا في الجبهة الداخلية أيضًا حيث تكون عاملا أساسيًا في تشغيل المصانع وتحريك وسائل النقل وفي العمليات الزراعية. وقد كانت الدول المتحالفة تسيطر قبل قيام الحرب العالمية الثانية على ما يقرب من تسعة أعشار إنتاج العالم كله من البترول، ورغم ما كسبته اليابان من آبار الزيت في جزائر الهند الهولندية، وفي حوض الأيرواوي ببورما، وفي بورنيو البريطانية فإن مضاعفة الدول المتحالفة لإنتاجها في نصف الكرة الغربي يمكنها من أن تظل مسيطرة على هذه النسبة أو أكثر. ولا تنتج اليابان في زمن السلم سوى ١٠٪ من استهلاكها المحلى، ولكنها أصبحت

الآن[1] تتحكم في كفايتها من هذه المادة، وذلك بعد أن يتم لها أولا إصلاح التلف الذي أحدثه الحلفاء لتلك الآبار باتباعهم سياسة حرق الأراضي التي جلوا عنها، ثم التغلب على مشكلات النقل وإعداد وسائل التصفية والتكرير. هذا ولو نجح الحلفاء في الاحتفاظ بجزائر الهند الهولندية لأمكنهم تجهيز جيوش الجنرال ماك آرثر بالبترول اللازم لها من تلك الجزائر بدلا من نقله إليها عبر المحيط الهندي من إيران أو عبر المحيط الهادي من كاليفورنيا. كما أن الاحتفاظ بآبار حوض الإيرواوي كان من شأنه أن يساعد على تموين الطائرات الأمريكية التي تعمل في الصين بدلا من اعتمادها على بترول الشرق الأوسط. هذا عن اليابان. أما في أوربا فإن ألمانيا كانت تنتج حوالي ١٠٪ فقط مما تستهلكه في زمن الحرب؛ على حين أن إيطاليا لا تنتج سوى ١٪ من استهلاكها. وفيما قبل سنة ١٩٣٩ كانت ألمانيا تسد ما يقرب من ثلث حاجتها من البترول التركيبي (الصناعي) ولكن هذا النوع تنقصه بعض الخصائص القيمة التي يحتوي عليها عادة غازولين الطائرات وزيوت التشحيم. ورغم استيلاء الجيوش الألمانية على آبار «بلويستي» في رومانيا فإنها لم تفد منها الفائدة المرجوة بسبب نسف الطائرات الأمريكية لها. ومن هنا كان اندفاع الجيوش النازية صوب القوقاز أملا في الحصول على بترول تلك البلاد. كما عمدت الغواصات الألمانية إلى مهاجمة ناقلات البترول الأمريكية ومعامل التكرير القائمة على سواحل فنزويلا في كل من أرابا Aruba وكورا كاو Curacao. وفي الوقت نفسه خرجت قاذفات القنابل

---

(1) أي وقت الحرب العالمية الثانية.

الإيطالية من قواعدها في شرق إفريقية وأغارت على جزائر البحرين، وقد نجم عن رفض بلاد الأرجنتين أن تقطع علاقتها بدول المحور، أن أحجمت الولايات المتحدة عن تزويدها بالماكينات والآلات اللازمة لاستغلال آبار البترول فيها.

أما عن التوزيع الجغرافي للبترول، فالملاحظ أنه واسع الانتشار في الأمم المتحالفة والدول الموالية لها، ولكن كميته تختلف من جهة إلى أخرى: فهناك في المرتبة الأولى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفنزويلا وإيران والمكسيك والعراق، ثم تأتي من بعدها كولومبياو تريندداد والأرجنتين وبيرو، والإقليم المصري وبلاد العرب والبحرين[1] وأكبر ما تواجهه هذه الدول من المشكلات هو عملية تنظيم الإنتاج والتوزيع. وليس من شك في أن المنافسة الشديدة القائمة بين الدول على إنتاج البترول خلال الحرب والسلم تكوّن في حد ذاتها ناحية خاصة من نواحي الجيوبولتيكا.

ومن الأمور الجديرة بكل اعتبار قدرة الدولة على الإنتاج الغذائي. وذلك لما لهذا العامل من الأهمية الحيوية في سلامة البلاد، إذا ما انقطعت عنها الموارد الأجنبية. ولكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واليابان الأصلية من إنتاجها الغذائي ما يمكن أن تستغنى به عن الواردات الأجنبية. وكانت روسيا في نهاية سنة **١٩٤٣** هي الوحيدة من

([1]) نعود فنذكر القارئ بأن المؤلفين كتبا كتابهما خلال الحرب العالمية الثانية؛ ومن ثم جاء الترتيب المتقدم للدول المنتجة للبترول. أما الآن، فبلاد العرب السعودية والكويت والبحرين في مقدمة الدول المنتجة له. المترجمان

بين هذه الدول الثلاث. التي فقدت جزءًا من أراضيها التي تعتمد عليها في إنتاج الغذاء، وذلك بسبب استيلاء الجيوش الألمانية في سنة ١٩٤١ على ولاية أوكرانيا أو «سلة الخبز» كما يسمونها، ومع ذلك فقد بدأت الروسيا في الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٤٣ تعمل على استردادها. وللرجل الياباني غذاؤه الشعبي –وبخاصة من حيث الأرز والسمك– الذي يختلف اختلافًا تامًا عن غذاء الأمريكي أو الروسي.

هذا ومهما تكن كفاية الدولة من المواد الغذائية فإنها لا تستطيع إيجاد التوازن في غذاء ساكنيها من غير استراد بعض المواد من الأسواق الخارجية: ومثال ذلك الولايات المتحدة وهي أولى الدول المنتجة للغذاء. فهي مضطرة، إشباعا لأذواق ساكنيها، أن تستورد السكر والموز والكاكاو والشاي والبن. ثم هناك فرنسا التي تكاد تنتج كل حاجاتها الغذائية؛ فإنها تستكمل ما ينقصها من شمال إفريقية، وأصبحت بذلك في غير حاجة إلى المصادر الأجنبية. وكانت إيطاليا كذلك تكاد تكتفي بإنتاجها. وقد أفاض الدوتشي في ترديده لهذه الحقيقة بعد تجفيفه لمستنقعات بونتين Pontine Marshes. أما ألمانيا فهي مضطرة في زمن السلم إلى الاعتماد على الدول الأجنبية لسد النقص في مواردها الغذائية. وتزيد بريطانيا (العظمى) في ذلك كثيرًا، وإن كان اعتمادها – بالدرجة الأولى– على مستعمراتها التي قد تبعد عنها بعدًا كبيرًا. ولقد قدروا أن ما تنتجه بريطانيا من المواد الغذائية لا يكفي ساكنيها في الأحوال العادية سوى ستة أشهر من كل عام. أما ألمانيا فتستطيع أن تعتمد على مواردها لمدة ثمانية أشهر كل عام.

هذا إلى أن الإمكانية الصناعية مفتاح النصر في الحروب الحديثة. وأهم المراكز الصناعية في العالم الآن ثلاثة: القسم الأوسط من شرق أمريكا الشمالية، ثم وسط وغرب أوربا، وأخيرًا جنوب شرقي آسيا. وتشمل المنطقة الأولى ٨٥% من صناعات الولايات المتحدة كلها و٩٠% من الصناعات الكندية. كما يشمل القسم الثاني المراكز الصناعية الكبرى في بريطانيا وفرنسا وشمال إيطاليا. أما جنوب شرقي آسيا، ففيه مراكز الصناعة اليابانية والصناعات الصينية المتركزة في حوض يانج تسي كيانج الأدني، وصناعات الهند التي تمتد من كلكتا حتى بومباي ومن المراكز الصناعية الأخرى القسم الغربي من أمريكا الشمالية، وشرق أمريكا الجنوبية بما فيه جنوب البرازيل وشمال الأرجنتين وأوراجواي. ثم هناك جنوب إفريقية، وجنوب شرقي أستراليا، ووسط سيلي.. وفي الاتحاد السوفيتي مناطق صناعية ناهضة تسير بخطى واسعة نحو التقدم، منها حوض كوزنتسك Kuznetsk Basin في سيبريا الغربية، ومنطقة جنوب الأورال ومدينة موسكو وما حولها، وكريفوي روج Kirvoi Rog في أوكرانيا وسوف تعود كلها إلى الروسيا ثانية بعد طرد النازيين منها.[١]

وما من دولة تستطيع استغلال مواردها الطبيعية إذا هي لم تعمل على إيجاد تسهيلات خاصة في وسائل النقل، ومن ثم كان الترابط الكبير بين المراكز الصناعية العالمية وخطوط الملاحة المحيطية الهامة، كطريق المحيط الأطلنطي الشمالي، وطريق البحر المتوسط وامتداده إلى آسيا

---

(١) حدث ذلك بالفعل بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية لهزيمة المحور.

وأستراليا، ثم طريق الكاب، والطرق الأوروبية المؤدية إلى شرق أمريكا الجنوبية، والطريق بين شرق الأمريكتين وغربيهما، ثم طريق المحيط الهادي الشمالي، والطرق التي تربط الأمريكتين بأستراليا وما حولها من جزائر. هذا وقد اضطربت الملاحة في بعض من هذه الطرق خلال الحرب الحالية[1] كما زادت أهمية بعضها زيادة كبرى، ومن هذه الأخيرة: طريق شمال المحيط الأطلنطي الذي أصبح أكثر حيوية من ذي قبل، بسبب إرسال الإمدادات الحربية إلى الجزائر البريطانية استعدادًا للهجوم على ألمانيا. أما طريق البحر المتوسط، فقد أوصدته الإميرالية البريطانية في وجه السفن التجارية، قبيل دخول إيطاليا الحرب. ولم يفتح ثانية إلا بعد طرد «روميل» من شمال إفريقية. وعلى العكس من هذا زادت أهمية طريق الكاب وعظمت قيمته في تموين كل من روسيا وإيران في الفترة التي كانت دول المحور تهدد بتحويل البحر المتوسط إلى بحيرة نازية. كذلك عمدت الدول المتحالفة إلى حراسة القوافل المسافرة على الطريق بين شمال أمريكا وشرق أمريكا الجنوبية، وذلك على إثر ما قامت به الغواصات الألمانية من هجمات موفقة عليها في صيف سنة ١٩٤٢. أما الطريق بين غرب الأمريكتين، فقد ظل مفتوحًا للملاحة بفضل ما قامت به الولايات المتحدة من تدابير قصد بها سلامة قناة بنما. هذا وقد أقفل طريق المحيط الهادي الشمالي بعد حادث «بيرل هاربر» في وجه جميع السفن عدا الروسية التي ظلت حتى صيف سنة ١٩٤٣ تسير فيه حاملة الإمدادات إلى تلك البلاد. أما طريق أمريكا الشمالية وأستراليشيا، فقد

---

(١) يقصد الحرب العالمية الثانية.

ظل مفتوحًا والسفن تبحر فيه آمنة بفضل حماية أمريكا للمحطات الواقعة بين هاواي وأستراليا واحتلال قواتها للجزائر الإنكليزية والفرنسية ذات القيمة الاستراتيجية في المحيط الهادي الجنوبي: وهي نيوكليدونيا، ونيوهبريدة وفيجي. ومن الطرق التي كانت لها قيمتها في تموين الروسيا خلال فترة الحرب طريق أقصى شمال المحيط الأطلنطي الموصل إلى مينائي ميرمنسك وأركانجل ... ومرمنسك هذه ميناء مفتوحة للملاحة على مدار السنة بتأثير تيار المحيط الأطلنطي الشمالي الذي يلطف من برودة مياهها.

وللنقل على اليابس وسائل ثلاث: الطرق المائية، والطرق البرية، والسكك الحديدية. وكثيرًا ما يسمون البحيرات الخمس الكبرى «بحر الولايات المتحدة وكندا المتوسط»[1] مع فارق واحد جوهري بينهما، هو تجمد مياه هذه البحيرات ثلاثة أشهر في كل سنة. ومع هذا، فإن حجم التجارة التي تمر في فترة السلم بقناة سو –الموصلة بين بحيرتي سو بدير وهورن– يزيد كثيرًا على حجم التجارة التي تجتاز قناة السويس أو قناة بنما، وأهم ركن في هذه التجارة هو الحديد الخام المنقول من منطقة بحيرة «سو بدير» بولاية مينيسوتا إلى الموانئ الواقعة في القسم الأدنى من منطقة البحيرات، حيث تقوم أهم مراكز للصناعة الأمريكية. أما نهر المسسبي –ويجري من الشمال إلى الجنوب– فيسير في عكس الاتجاه

(1) أي أن هذه البحيرات تشبه البحر الأبيض المتوسط بالنسبة لأمريكا وكندا.

التاريخي لنمو الولايات المتحدة، الذي اتجه من الشرق إلى الغرب[1]. وتوجد في شمال غربي أوربا أحسن مجموعة من الطرق المائية في العالم وهي أكثرها كلها استخداما في الأغراض الملاحية والتجارية. لهذا عمدت الحكومات الأوربية إلى تأميم القسم الأكبر منها ومنحتها الإعانات المالية. ومن الممكن الآن بفضل القنوات العديدة المنتشرة في هذا القسم السير بالبواخر الصغيرة من نهر الرين إلى الإلب وإلى مجموعة الرون والسادرن ثم إلى السين والدانوب. هذا وقد قامت الروسيا مؤخرًا بإنشاء شبكة من القنوات الملاحية تربط مدينة موسكو بكل من البحر الأبيض الروسي وبحر البلطيق والبحرين الأسود وقزوين، كما كانت قائمة عند بدء الغزو الألماني بحفر قناة بين نهري دون والفولجا. هذا في أوربا، أما في آسيا فيصلح نهر يانج تسي كيانج لسير السفن المحيطية حتى مدينة هانكاو القائمة على مسافة ٦٠٠ ميل من ساحل المحيط الهادي، وتستطيع السفن النهرية متابعة سيرها في هذا النهر لمسافة ٤٠٠ ميل أخرى. ثم هناك أيضا النهر الأصفر، وهو لا يصلح للملاحة إلا لمسافة صغيرة جدًا من مصبه. وهناك القناة الكبرى التي تربط بين هانكاو وتيتسين، وهي تصلح لسير السفن الملاحية الصغيرة.

أما عن السكك الحديدية، ففي الولايات المتحدة منها ٢٣٥,٠٠٠ ميل أو ما يقرب من ثلث الخطوط الحديدية الموجودة في العالم كله.

---

(1) المقصود بهذا أن نهر المسسبي يجري من الشمال إلى الجنوب، على حين أن نمو الولايات المتحدة –كدولة– قد بدأ من الشرق ثم اتجه إلى الغرب. فالهجرة إلى الغرب هي التي أدت إلى توسيع رقعة الولايات المتحدة ونموها العمراني.

ويمتد القسم الأكبر منها إلى الشرق من خط طول°١٠٠غرب جرينتش، ومن هذه عشرة خطوط تمتد عبر القارة الأمريكية من المحيط الأطلنطي إلى ساحل الباسيفيك. كذلك تتكاثف وتزدحم الخطوط الحديدية الأوربية فيما حول سواحل بحر الشمال، ثم تقل وتتفرع كلما اتجهنا شرقا أو جنوبًا. أما في الصين، فتسير الخطوط الحديدية غالبًا في اتجاه السهول النهرية، وتقوم باستغلالها شركات ذات رؤوس أموال أجنبية، وهذا عكس الحال في بلاد اليابان والهند وجاوة حيث توجد مناطق تتركز فيها الخطوط الحديدية وتزدحم. وإذا نحن نظرنا إلى إفريقية وأستراليا وأمريكا الجنوبية، نجد أنه ليس بها حتى الآن سوى خطوط قليلة الطول من الخطوط الحديدية إلى حد لا تقارن معه هذه الخطوط بما في الولايات المتحدة أو في القارة الأوربية.

كذلك يلاحظ في الطرق البرية جملة أن للولايات المتحدة وكندا مركزهما الممتاز؛ ويأتي بعدهما في ذلك شمال غربي أوربا حيث يوجد كثير من الطرق الهامة. ولكن لما كانت هذه القارة فقيرة في البنزين وزيوت الوقود الأخرى، فقد نشطت إلى الإفادة من الطرق المائية على حساب الطرق البرية. وفي آسيا وإفريقية وأمريكا الجنوبية، الشيء القليل جدًا من الطرق البرية الرئيسية. هذا، وقد عظمت الأهمية الاستراتيجية لفئة من هذه الطرق منذ قيام الحرب الحالية[١]. ومن هذه: طريق ألاسكا الذي تمّ إنشاؤه في أكتوبر سنة **١٩٤٣** وبلغت تكاليفه **١١٥** مليون

---

(١) يقصد الحرب العالمية الثانية.

دولار، وهو يمتد من مدينة إدمنتون Edmonton في «ألبرتا» إلى «فيربانكس» Fairbanks في ألاسكا وهناك مشروع لتوصليه إلى «نوم» Nome في شبه جزيرة سيوارد Seward Perin. وكان الغرض من إنشائه تجهيز هذه الولاية الأمريكية بطريق بري يكمل الطريق البحري الذي يجتاز الممر الداخلي Inside Passage ومن الطرق الأمريكية الأخرى ذات القيمة الاستراتيجية: طريق بأن أمريكان (الأمريكتين المتحدتين) Pan American، وهو المقترح مدة من مدينة نيويورك إلى مدينة «بيونس أيرس» عاصمة الأرجنتين[1]. وقد تمّ قسم كبير منه، وتعتمد كثرة من جمهوريات أمريكا اللاتينية في إنشاء الأجزاء الخاصة بها على الأموال التي تسلمتها من الحكومة الأمريكية بموجب قانون الإعارة والتأجير؛ إذ يهم الولايات المتحدة جدًا أن يتم في أقرب وقت ممكن إنشاء الطريق البري إلى قناة بنما ليكمل الطريق البحري إليها. ولا تزال هناك ثغرات في هذا الطريق لم يتم إنشاؤها بعد، وهي توجد في جنوب المكسيك وفي أمريكا الوسطى وفي جمهوريتي كولومبيا وأكوادور. وثمة طريق آخر من الطرق البرية ذات القيمة الحربية، وهو الطريق الذي يعبر الصحراء الأسترالية من الشمال حيث «دارون» إلى الجنوب في «أديليد»، وتستخدم السيارات في قسمه الأوسط لأن القطارات التي تسير عليه تنتهي إلى الشمال من «أديليد» وإلى الجنوب من «دارون». ثم هناك الطريق الحديدي المأمول إقامته بين الكاب والقاهرة. وقد وضع تصميمه «سيسل ردوس» أحد بناة الإمبراطورية البريطانية في إفريقية،

---

(1) تم إنشاء هذا الطريق منذ وقت غير قصير.

وقد تمت أجزاء منه، ولكن بقيت مراحل كثيرة سوف يصعب تحقيق هذا الحلم فيها. وقبل سقوط دا كار في أيدي الحلفاء، قام نقاش جدي حول إمكان إنشاء خط حديدي يربط أملاك فرنسا في شمال إفريقية[١] بأملاكها في غرب هذه القارة، وينتهي عند المدينة المذكورة.

هذا، وقد عمدت الحكومة الروسية مؤخرًا إلى تثنية خط حديد سيبريا الممتد من لينتجراد عبر سهول سيبريا الفسيحة إلى ميناء فلاديفستك، وليس من شك أن أهمية هذا الخط سوف تعظم إذا ما نشبت الحرب بين روسيا واليابان. وهناك الخط الحديدي عبر الهضبة الإيرانية، وطوله ٨٧٠ ميلًا، وهو الذي أطلقوا عليه اسم «حماقة الشاة» Shah's Folly، وقد أدى خدمات جليلة في الحرب الحالية[٢] غير أنه نظرًا لارتفاع موجة المد في «بندر شهبور» وهي نهايته على الخليج الفارسي،[٣] إلى الثلاثين قدمًا، ولوقوع بندر شاه وهي نهايته على بحر قزوين في نقطة ترتفع عن مستوى الماء بسبب كثرة البخر هناك، اضطر ولاة الأمور إلى الإسراع في إقامة تسهيلات مرفئية في هاتين النهايتين. ثم هناك خط برلين –بغداد الحديدي، ويمر في أقطار عدّة، وقد تمّ مده قبل الحرب الثانية مباشرة، ويلتقي به الآن الخط الممتد من الإسكندرية في الإقليم المصري عبر فلسطين ولبنان فالإقليم السوري.

---

(١) لم يعد لفرنسا ممتلكات في شمال إفريقية سوى «الجزائر» التي تجاهد من أجل الاستقلال.

(٢) المقصود الحرب العالمية الثانية.

(٣) يسمى الآن الخليج العربي.

ومن أهم الطرق ذات القيمة الاستراتيجية: طريق بورما البري الممتد من تشنجكنج (Chungking) إلى لاشيو Lashio مجتازًا مدينة كنمنج Kunming، وهي مسافة تبلغ نحو ٧١٢ ميلا، قامت بتعبيدها الحكومة الصينية فيما بين يولية سنة ١٩٣٧ وديسمبر سنة ١٩٣٨، ويتصل بهذا الطريق –عند لاشيو– الخط الحديدي القادم من مندلاي ورانجون. وقد كان استيلاء اليابانيين على هذا الشريان الهام ضربة أليمة للصينيين. ثم هناك الطريق القاري بين الصين والروسيا، وقد ظلت له أهميته الكبرى طالما كانت الصين تعتمد على الإمدادات التي تأتيها من روسيا. لا بل إن أهميته كانت تفوق تلك التي لطريق بورما، ولكن هذه الأهمية قلّت كثيرًا على إثر غزو النازيين لتلك البلاد وانقطاع الإمدادات التي كانت ترسلها إليهم.

وللطرق الجوية ميزتها على كل من البرية والبحرية، ذلك لأنها تسير فوق اليابس والماء على حد سواء. وكثيرًا ما تستخدم الطائرة الآن بمثابة الرائد في فتح الطرق الموصلة إلى مجاهل الجهات القطبية والاستوائية سواء بسواء. وكانت هناك فيما قبل الحرب الحالية[١] خطوط منتظمة تخرج من الولايات المتحدة قاصدة أمريكا الجنوبية، وأوربا، والسواحل الغربية للمحيط الهادي. وفي سنة ١٩٣٩ بلغت الخطوط الجوية غاية ازدحامها بالعمل في إقليم وسط أوربا. كذلك أنشأ الاتحاد السوفيتي خطوطًا منتظمة للمواصلات الجوية من لينينجراد حتى فلاديفستك، كما أنشأت كندا خطًا يربط ساحلي المحيط الأطلنطي والمحيط الهادي

(١) الحرب العالمية الثانية.

بعضهما ببعض. وامتازت هذه الفترة بنشاط الملاحة الجوية التي كانت تسيرها كل من ألمانيا وإيطاليا إلى أمريكا الجنوبية، وكانت لهما بمثابة «حصان طروادة»[1] تستران تحت أجنحته مؤامراتهما في تلك القارة.

أما الخطوط الجوية التي تملكها الدول ذات الإمبراطوريات، فكان أهمها في سنة **١٩٣٩** تلك التي تمتد من بريطانيا (العظمى) إلى الهند وسنغافورة وأستراليا، ومن القاهرة إلى مدينة الكاب، ومن هولاندة إلى جزائرها في جنوب شرقي آسيا، ومن فرنسا إلى شمال إفريقية وإلى الهند الصينية.

وقد جاءت بعد ذلك الحرب العالمية الثانية، فنشطت على إثرها الملاحة الجوية في مناطق معينة، وأصبح الطيران عبر المحيط الأطلنطي الشمالي أمرًا عاديًا، كما صار الخط الخارج من الولايات المتحدة إلى نقطة البروز في ساحل البرازيل، ومن هناك عبر المحيط الأطلنطي إلى ساحل إفريقية الغربي ... صار خطًا رئيسيًا له قيمته. كذلك اضطرت قاذفات القنابل الأمريكية إلى تعديل خط سيرها على إثر سقوط ميناء بيرل هاربر فأصبحت تخرج من ميامي إلى البرازيل ومنها إلى إفريقية الاستوائية فالهند وسومطرة وجاوة وتنتهي في أستراليا. كما افتتحت أمريكا في سنة **١٩٤٢** خطًا جديدًا إلى هذه القارة، وذلك عن طريق جزيرة كريسماس Christmas Island وجزيرة كانتون فجزائر فيجي ونيوكليدونيا.

---

(1) «حصان طروادة» هو الحصان الذي قيل في الأساطير الإغريقية القديمة إن خصما من لخصوم التجار بين في حرب طروادة قد أخفى الجنود داخله وبذلك اقتحم بلاد عدوه.

هذا، ومن المؤكد أن الملاحة الجوية سوف تتقدم بخطى واسعة سريعة في جميع أنحاء العالم عندما تنتهي هذه الحرب.[1]

التنظيم السياسي والاجتماعي

وهو سادس الدعامات التي تقوم عليها جيوبولتيكا الدولة، ذلك لأنه مظهر قوتها السياسية. ومن المعروف أنه كان لكل دولة من دول العالم الكبرى في سنة ١٩٣٩ نظامها السياسي والاجتماعي الذي تتبعه، وإذا ما انتهت هذه الحرب[2] فسوف تعمل الجماعة المنتصرة على الاحتفاظ بتنظيماتها تلك، أما الدول المنهزمة فسوف تضطر إلى قلب الأوضاع السياسية فيها والتخلص من حكوماتها، فلو أنه تم للألمان مثلا هزيمة الروس لما أبقوا على النظام السوفيتي. ومن ناحية أخرى، فإن الهدف الأول للأمم المتحالفة هو القضاء على النظام النازي. وقد حدث هذا فعلا في إيطاليا، إذ انهار النظام الفاشستي، واضطر الملرشال بادوليو أن يعد الشعب الإيطالي بإقامة حكومة ديموقراطية.

ويجمل بنا أن نقدم المامة مختصرة عن الأنظمة السياسية والاجتماعية، التي كانت قائمة في الدول الكبرى حتى سنة ١٩٣٩، فالولايات المتحدة عبارة عن اتحاد فيدرالي نص عليه دستور سنة ١٧٨٧، وقد أيدت الحرب الأهلية (١٨٦١– ١٨٦٥) التي نشبت بين

(1) المقصود بذلك الحرب العالمية الثانية.

(2) المقصود بذلك الحرب العالمية الثانية.

الولايات التي يتكون منها هذا الاتحاد –بصفة قاطعة– السلطة العليا التي للحكومة الفيدرالية على سائر الولايات. وعلى العكس من هذا نرى إمبراطورية الكومنولث البريطانية تتبع نظامًا سياسيًا كثير التعقيد، بل يكاد يكون أعقد الأنظمة السياسية في العالم كله: فهناك الكومنولث وهو عبارة عن الدول ذات الحكومات المستقلة وتشمل بريطانيا وأير (إيرلندا) وأستراليا، ونيوزيلاندا، واتحاد جنوب إفريقية[1]، ثم الإمبراطورية وهي الدول والولايات التي تخضع في حكمها لبريطانيا (العظمى) نفسها. وقد دلت التجارب على أن ما قامت به بريطانيا من منح الحكم الذاتي للممتلكات الواقعة في المنطقة المعتدلة والتي يعيش فيها جماعة من الجنس الأبيض كان عاملا من عوامل قوة هذه الإمبراطورية وتماسكها. ولقد بدأ هذا الاتحاد في أجلى مظاهره أمام العالم كله خلال تلك الأيام السوداء التي أعقبت محنة دنكرك. والدولتان[2] وإن اختلفتا في تنظيمهما السياسي، إلا أن الحكم فيهما ديموقراطي، مع فارق واحد، هو قيام نظام الكابينت Cabinet (مجلس الوزراء) في بريطانيا ونظام الرياسة (رياسة الجمهورية) في أمريكا. ويلاحظ كذلك أن كليهما من الدول الرأسمالية، ولكن فيهما من القوانين ما يقيد الفردية الغاشمة التي قد تنجم عن اتباع سياسة الحرية المطلقة إبان الحرب والسلم.

---

(1) وقد ضم إليها فيما بعد الحرب الثانية الهند وباكستان وبورما وسيلان وغاته والملايو، وقد أصبح لكل حكومتها المستقلة.

المترجمان

(2) أي الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا.

أما نظام الحكم في الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الروسية (U.S.S.R) فهو ذلك الذي حدده دستور سنة ١٩٣٦؛ أي النظام الفيدرالي للجمهوريات الست عشر التي تتكون منها هذه البلاد في الوقت الحاضر، وقد نص فيه على أن لكل منها، من الوجهة النظرية، حق الانفصال عن الاتحاد متى شاءت. وإلى جانب هذه الجمهوريات توجد جمهوريات أخرى تتمتع بالحكم الذاتي، ووحدات لها حكوماتها الذاتية، ومناطق لها مظاهرها القومية الخاصة. وتنص قوانين البلاد على أن الثروة في كافة أشكالها ومظاهرها، من أرض زراعية ومعادن وغابات ومصانع وسكك حديدية ووسائل للنقل المائي والجوي، ومصارف مالية وحقول حكومية ووسائل الإسكان التي تدبرها البلديات ... كل هذه ملك للشعب. وإن ما تبديه الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الآن(١) من مقاومة وعناد أمام الغزو النازي لهو الدليل على ما وصلت إليه هذه البلاد من قوة وبأس.

أما الحكومة القائمة في فرنسا الآن[٢]، فهي حكومة الجمهورية الثالثة التي أعلنت في سنة ١٨٧٠، وأساسها الدولة الموحدة المكونة من ولايات ومديريات ومراكز: Departments, Anondissement & Cantons. وتسير الحكومة هناك وفق قواعد الديمقراطية متبعة نظام «مجلس الوزراء»، غير أن هذه البلاد أبعد ما تكون عن الاتحاد بدليل كثرة الأحزاب السياسية فيها وعدم نجاحها في الاتفاق على سياسة قومية

(١) المقصود: أثناء الحرب العالمية الثانية. ومعروف أن هذه الأوضاع قد تغيرت.

(٢) المقصود: أثناء الحرب العالمية الثانية. ومعروف أن هذه الأوضاع قد تغيرت.

موحدة. وقد كان هذا الاختلاف من أهم أسباب انهيار الجمهورية الثالثة في سنة ١٩٤٠. أما الاقتصاد الفرنسي، فكان أساسه الرأسمالية، غير أن التشريعات المقيدة له كانت آخذة في الزيادة سنة بعد أخرى.

أما نظام الحكم في اليابان، فهو النظام الإمبراطوري[١]، وللإمبراطور هناك صفات وخصائص يقدسها الشعب بكل إجلال. وتسير البلاد وفق أحكام الدستور الذي منح لها من الإمبراطور موتسوهيتو Mutsuhito في سنة ١٨٨٨، كما أن نظام «مجلس الوزراء» هو النظام المعمول به نظريًا. فهناك رئيس للوزارة ومجلس نيابي Diet. وقد بدا لفترة وجيزة فيما حول سنة ١٩٢٠ ما يشعر بتغلب الروح الديمقراطية، وكره اليابانيين للشيوعية، التي هي في نظرهم «تفكير ضار خطر» أمر معروف للقاصي والداني. وللبلاد كيانها الاقتصادي الذي يرتكز نظريًا على الرأسمالية.

ويلاحظ على نظام الحكم في ألمانيا أن دستور «فيمر» Weimar الذي قبلته البلاد بعد الحرب العالمية الأولى قد صار الآن[٢] نسيًا منسيًا، وذلك بعد أن ألغيت أحكامه من الناحية العملية إثر قيام الرايخ الثالث على أيدي أدولف هتلر.

فهتلر الآن[٣] هو رئيس ألمانيا ومستشارها، وهو فوهرر الحزب النازي. كما أن الريشتاغ الألماني مكون في جوهره من فئة من أعضاء

(١) المقصود بذلك: أثناء الحرب العالمية الثانية. ومعروف أن هذه الأوضاع قد تغيرت.

(٢) المقصود بذلك: أثناء الحرب العالمية الثانية. ومعروف أن هذه الأوضاع قد تغيرت.

(٣) المقصود بذلك: أثناء الحرب العالمية الثانية. ومعروف أن هذه الأوضاع قد تغيرت.

هذا الحزب، وظيفتهم الأولى والأخيرة الموافقة على القرارات التي يتخذها أدولف هتلر. ولقد قضى الرايخ الثالث على الولايات التي كان قد أنشأها دستور «فيمر». والواقع أن النازية والديمقراطية ضدان لا يتلاقيان ولكن النازية لم تمس الرأسمالية في أي شكل من أشكالها.

هذا في ألمانيا الهتلرية، أما إيطاليا الموسيلينية، فكانت حتى مجيء الحزب الفاشستي في سنة ١٩٢٢ تسير وفق أحكام الدستور القديم الذي منحها إياه شارل ألبرت سنة ١٨٤٨. ولكن تعديلات كثيرة أدخلت عليه منذ ذلك التاريخ، وأصبح الدوتشي دكتاتور الدولة، أما فكتور عمانوئيل الثالث، سليل بيت سافوي فلم يكن سوى رمز للملكية. وقد كان التنظيم السياسي للبلاد قائمًا على أساس الحكومة التعاونية.. فالمهن والحرف الأساسية تكوّن اتحادات تخضع لرقابة دقيقة من جانب الحكومة. وكانت الديمقراطية في نظرها نظامًا باليًا. والواقع أن دول المحور الثلاث كانت تدين بالمبدأ القائل بأن الفرد ما وجد إلا لإعلاء شأن الدولة. وأحسن تعريف للفاشستية هو «الجماعية الرأسمالية»: Capitalistic Collectivism هذا وقد برهنت حوادث الحرب العالمية الثانية على أن الفاشستية لم تكن قد تمكنت من نفوس الشعب الإيطالي تمكن النازية من الألمانيين، أو الاشتراكية من الروس.

ومن مظاهر سلطان الدولة وقوتها ما قد يطرأ على حدودها السياسية من تغير، وما يتبع ذلك من اتساع رقعتها أو انكماشها في فترة معينة. والحدود إما طبيعية، كتلك التي تفصل بين الأرجنتين وشيلي، على طول

امتداد جبال الأنديز، أو كنهر ريوجر اندي، الذي يفصل بين الولايات المتحدة وبلاد المكسيك، وإما أثنوغرافية كالحدود بين أستونيا، ولاتفيا، أو فلكية كالخط الفاصل بين كرافوتو - (جنوب سخالين) التابع لليابان، وشمال سخالين التابع لروسيا[1]. أو حدود استراتيجية وهو ما فعلته روسيا باستيلائها على ولايات بحر البلطيق. أو اقتصادية ومن أمثلتها الممر البولندي. ومن الحدود ما تجيء به الفتوحات، مثل استيلاء رومانيا على إقليم دبروجا. والخلاصة أن الحدود السياسية خطوط ترسمها الدول لتعين مدى نفوذها. أما الحدود الطبيعية فهي مناطق تفصل بين دولة وجارتها. هذا وقد اقتصرنا على تحليل التغيرات التي طرأت على الحدود منذ سنة ١٨٧٠ (أنظر ذيل هذا الكتاب) على الدول السبع الكبرى التي كانت قائمة في سنة ١٩٣٩، وعلى دول أمريكا اللاتينية، ونظمناها في صورة مجموعات جيوبولتيكية بقدر المستطاع، حتى لا تبدو وكأنها حقائق منفصلة عن بعضها البعض، وإنما لتظهر مدى نمو الدولة وتوسعها في مختلف أنحاء العالم.

---

(1) أو كالحدود التي وضعها الإنكليز في معاهدة سنة ١٨٩٨ المفصل بين الإقليم المصري وجمهورية السودان؛ فإنها تتبع خط عرض 22° شمال خط الاستواء.
المترجمان

الجزء الثاني

الناحية التطبيقية للجيوبولتيكا

الفصل الرابع

الجيوبولتيكا في طورها العملي
الرايخ الثالث

كان أدولف هتلر يؤمن إيمانًا صادقًا بأن القدر قد هيأه لتسيير دفة هذا العالم في الربع الثاني من القرن العشرين (شكل ٨). وبقدر ما كان هذا الرجل ممقوتًا مبغوضًا عند الدول المتحالفة، كان أعظم من يتمتع بالحظوة والتقدير بين أعضاء الصفوة الممتازة في الحزب النازي في الرايخ كله، بل إننا لا نغالي إذا قلنا إنه وحده المسئول إلى حد كبير، عن ذلك الجهاز الحربي القائم في ألمانيا حينذاك، وهو وحده الذي اتخذ ولا يزال يتخذ القرارات المتصلة بزمن ومكان استخدام هذا الجهاز، بل هو وحده السلطة التنفيذية المسيرة لتلك الروح العسكرية الألمانية، وكل ما أحرزته ألمانيا من انتصارات وفتوحات إقليمية، ومن الطبيعي أن يحملنا هذا المركز الممتاز الذي يتمتع به هتلر على عقد مقارنة بين الجاويش الصغير الذي ظهر في القرن التاسع عشر (يقصد نابليون) وجاويش الحرب العالمية الأولى الذي طلع علينا في القرن العشرين، فكلاهما وليد ثورة، الثورة الفرنسية التي تمخضت عن حقوق الإنسان والثورة الألمانية التي قضت عليها، وكلاهما نشأ من بين طبقات الشعب الفقيرة ثم ارتقى وأصبح له من الحلول والقوة مالا يدانيه فيهما أحد، ولم يكن أي منهما من أبناء الدولة التي ولي زعامتها: فقد ولد هتلر في النمسا،

وخرج نابليون إلى ضوء هذا العالم في جزيرة كورسيكا، وهما يتفقان كذلك في أن كلا منهما كان واقعيًا في سياسته، فعماد إلى تنظيم أوربا وفق خطة وسياسة تتفق وفلسفتها. على أنه إذا كانت انكلترا والروسيا قد منحتا نابليون خمسة عشر عامًا يحاول فيها تنظيم أوربا، فمن الراجح أن الأمم المتحالفة سوف لا تمنح هتلر مثل هذه الفترة الطويلة لتنفيذ آرائه أو تحقيق مبادئه، لأن كل من يحاول أن يسير على نهج نابليون لابد له أن يلقى النهاية المحتومة التي تنتظر «رجل الأقدار».

هذان الزعيمان وإن تشابها في حياتهما العامة فإن لكل منهما شخصيته التي تختلف اختلافًا كبيرًا عن شخصية الآخر: فإذا نحن رجعنا إلى الحقبة الأولى من حياة هتلر نرى أمامنا قصة رجل عادي خالية من الملابسات والظروف التي تحيط بحياة الأبطال.

ولد هتلر في مدينة Braunau-am-Inn النمساوية في العشرين في شهر أبريل سنة ١٨٨٩، وكان أبوه، وهو من موظفي الجمارك، ابنًا غير شرعي لامرأة تدعى Maria Schicklgruber ولم ينسب إلى الشخص الذي كان يظن أنه أبوه إلا في سن متأخرة، وقد تزوج هذا الرجل ثلاثًا، أنجبت الأخيرة منهن له أودلف، ولهذا كثيرًا ما كان خصوم هتلر السياسيون فيما حوالي سنة ١٩٢٠ يجدون لذة في تحيته بقولهم « Heil Schicklgruber». مات والده سنة ١٩٠٣. ولحقت به الوالدة بعد أربع سنوات فسافر هتلر وهو في السابعة عشرة إلى فيينا، وهناك أعوزه الاستعداد الطبيعي فلم يحرز ما كان يصبوا إليه من نجاح في الفن

وهندسة المعمار، واضطر إلى احتراف البناء. وكان لما أصابه من خيبة في الأمل، وما لاقاه من جفاء في مدينة فيينا، كما صرح بذلك أمام محكمة ميونخ في سنة ١٩٢٤، أثرهما في تكوين الكثير من الآراء التي اعتنقها فيما بعد، فقد قال: «لقد جئت إلى فيينا وأنا في السابعة عشرة من عمري، وفي هذه المدينة بدأت أدرس وأرقب عن كثب مشكلات ثلاثًا على جانب كبير من الأهمية: المشكلة الاجتماعية والمشكلة العنصرية ثم أخيرًا الحركة المركسية، ثم تركت فيينا وأنا مؤمن كل الإيمان بضرورة مناهضة الساميين (اليهود)، ومحاربة المركسية ونظرة المركسيين إلى العالم جملة، وأخيرًا بضرورة العمل على تحقيق الجامعة السياسية الألمانية».

وفي سنة ١٩١٢ قصد هتلر إلى مدينة ميونخ وأخذ يكسب عيشه هناك عن طريق رسم وتصوير التذاكر البريدية. ثم كانت الحرب العالمية الأولى فاستقبلها بكل ترحاب لأنه رأى فيما منحة ربانية تخلصه مما كان فيه، وانضم إلى الجيش البافاري وأظهر من ضروب الشجاعة والإقدام ما أكسبه الصليب الحديدي، ولكن يلاحظ أنه طوال المدة التي قضاها في الجيش لم يتسلم هدية واحدة من أهله وأقاربه الذين كانوا هناك في أرض الوطن.

انتهت الحرب في سنة ١٩١٨ وترك هتلر صفوف المحاربين ليندمج في زمرة المهيجين السياسيين وأصبحت له بينهم كلمة مسموعة فوقع عليه الاختيار في يونية سنة ١٩١٩ لأنه يكون العضو السابغ في

حزب العمال الألماني وهو الحزب الذي كان نواة «للحزب الاشتراكي الوطني الألماني للعمال» (N. S. D. A)، ومع ذلك فإنه لم يتقدم للحصول على الرعوية الألمانية إلا عندما دخل منافسًا لهندنبرج في انتخابات الرياسة سنة ١٩٣٢. ظل هتلر خلال هذه الفترة دائبًا على نشر رسالته التي تقوم على تخليص ألمانيا من اليهود ومن الديمقراطيين الاشتراكيين ومن الأحرار والشيوعيين. «المواطنين العالميين». ونراه في سنة ١٩٢٣ يقوم هو و» ولودندورف» على رأس ثورة من العامة والأهالي محاولين انتزاع السلطة من الحكومة القائمة إذ ذاك ولكن حركتهم هذه تنتهي بفشل الحزب الاشتراكي الوطني. وقد حاول الحزب النازي فيما بعد أن يعلل انبطاح هتلر على الأرض عند سماعه أول طلقة من طلقات الجنود في أثناء هذه الثورة بأن عمله هذا كان حركة انعكاسية لحياته العسكرية. غير أن الفوهرر تعلم من هذه الحركة درسًا له قيمته، إذ نراه في سنة ١٩٣٣ لا يقاوم بنادق الجنود الألمانيين وإنما يعمل متعاونًا معها.

ثم كانت فترة الكساد العالمي، وفي خلالها نما الحزب الاشتراكي الوطني وازدهر، ذلك لأن رجال الصناعات والإقطاعيين الزراعيين كانوا يحبذون كل التحبيذ الخطة التي سار عليها النازيون في مناهضتهم للشيوعية والشيوعيين، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به «فرتزتيسين Fritz Thyssen» من كبار رجال الصناعات في إقليم الروهر، فهو يقرر في كل تواضع أنه قد تبرع بمليون مارك لهذا الحزب، ومن ثم كان النصر الذي أحرزه النازيون في الانتخابات الألمانية التي تمت في ١٤ سبتمبر سنة

١٩٣٠. فقد خرجوا منها ولهم ١٠٧ أعضاء في الريشتاغ بعد أن كان لهم اثنا عشر عضوًا فقط. وعلى حين كان أصحاب المصالح والأعمال kleinburgertum يسارعون إلى الانضمام إلى هتلر وحزبه كان النزاع الذي دب بين صفوف العمال يمزق شملهم ويشل من نشاطهم. ثم كانت انتخابات الرياسة في ١٣ مارس سنة ١٩٣٢ وتقدم لها كان من هتلر وهندنبرج، ولكن أحدًا منهما لم يحرز الأغلبية القانونية، فلما أن أعيد الانتخابات في أبريل من نفس السنة انتخب هندنبرج للمرة الثانية وأحرز في هذه المرة الأغلبية التي تؤهله لمركز الرياسة إذ حصل على ١٩,٣٦٠,٠٠٠ صوت يقابلها ١٣,٤٠٠,٠٠٠ صوت نالها هتلر. وأجريت بعد ذلك بأشهر قليلة الانتخابات العامة فكان عدد الأعضاء النازيين ٢٣٠ عضوًا، فأصبحوا وهم يكونون أكثر أحزاب الريشتاغ عددًا، وقد يكون من الطريف أن تلاحظ أن هتلر بلغ ذروة مجده الانتخابي في الفترة التي وصل فيها الكساد الاقتصادي غايته القصوى، ففي الانتخابات التالية التي أجريت في نفس السنة فقد النازيون مليوني صوت وهبط عدد نوابهم إلى ١٩٦ نائبًا، وهذا يتفق مع التحسن الطفيف الذي طرأ على الحالة الاقتصادية فيما بين انتخابي يوليه ونوفمبر.

وكان هتلر قد أعلن من قبل أنه لن يقبل من وظائف الدولة وظيفة دون المستشارية، وعقد من أجل هذا في أوائل يناير سنة ١٩٣٣ اتفاقًا مع كل من «تيسين، وبابن، وهيوجنبرج Thyssen- Papen- Hugenberg»، وتم له ما أراد. ففي الثلاثين من هذا الشهر عين هتلر

مستشارًا للرايخ الألماني وبابن نائبًا له وهيوجنبرج وزيرًا للاقتصاد. وكان من بين أعضاء الوزارة الجديدة ثلاثة من النازيين وتسعة من غير النازيين، ولما أن تقدموا إلى الرئيس هندنبرج قال لهم في كل ورع وخشوع: «إلى الأمام في رعاية الله». وبهذا بدأ الرايخ الثالث.

وإذا نحن رجعنا إلى فلسفة «أدولف هتلر» السياسية نجد أنها مستمدة من تعاليم جماعة من أساطين الكتاب الأوربيين– من «كارل هوسهوفر» صاحب المدرسة الألمانية في الجيوبولتيكا إلى «ريتشارد فانجر» مؤلف الأوبرات المشهور و» جورج هيجل» صاحب الرأي القائل بأن الشعب القوى يستطيع أن يفرض إرادته على ثقافة الجيل الذي يعيش فيه، وإن كان «هيجل» هذا لم يذكر على وجه التحديد أن ألمانيا قد كتب لها أن تقوم بهذا الدور، وهناك أيضًا «هينرش فون فريتشك» Heinrich von frietachke الذي يرى أن الدولة هي أهم أعضاء المجتمع البشري وأعلاها كلها قدرًا، والحرب عنده عمل مشروع وهي في الوقت نفسه من الأعمال الأخلاقية، أما مثالية السلام الدائم فهي ليست مثالية مستحيلة فحسب بل إنها فوق مثالية هادمة للأخلاق. و» فريتشك» هذا هو الكاتب الألماني الذي نعته الرئيس «هندنبرج» في أحد أحاديثه مع السفير الأمريكي» دود»Dodd «بالعظيم»، ولم يفت السفير أن يسجل في مذكراته اليومية إذ ذاك أنه لن يوافق «هندنبرج» على مثل هذا النعت لأن الأمريكيين الذين عاصروا الحرب العالمية الأولى يرون في «فون فريتشك» هذا خير مثال للعقلية الألمانية التي تمجد الدم والحديد.

والتاريخ الأوربي في رأي «فردريك نتشة» .Frdrick w Nietzsche ليس سوى سجل للكفاح الذي قام بين الجنس الذي له السيادة والشعوب المقهورة. و«نتشه» هذا هو الذي عمد إلى تحريف نظرية التطور الدارونية على أنها مظهر لنزعة السيطرة والسيادة عند الإنسان، ولهذا نراه يدعو إلى قيام جماعة يفوق أفرادها كل من عداهم بما لهم من كمال حيوي وروحي. فهو والحالة هذه واحدة من أولئك الفلاسفة الألمانيين الذين يؤكدون الناحية المادية للحياة. وهناك من الكتاب الآخرين «أوزولد شبنجلر» Ozwald Spingler الذي تنبأ بمجيء عصر تزدهر فيه العدد والآلات وتذبل الفنون الابتكارية ويقضى فيه على الديمقراطية.

ومن الكتاب الذين تأثرت الفلسفة الهتلرية بآرائهم «الفرد روزنبرج».. Alfred Rosenberg، وهو في الواقع الحبر الأعلى للمثالية النازية، ولد هذا الرجل في مدينة «ريفال» من أبوين ينتميان إلى أحد الأسر الألمانية التي هاجرت إلى سواحل بحر البلطيق، وكان من المناهضين للبلاشفة عندما قاموا بثورتهم واضطر للفرار إلى ميونخ وهناك انضم في سنة ١٩١٩ إلى الحزب النازي وكان لما أبداه «روزنبرج» من آراء في السلالات البشرية والعقائد الدينية وفي روسيا بصفة عامة أثره البالغ في الفوهرر. فهو يقول عن الروس:

«إن عبارة الغرب إلى الشرق From west to East والتي يقصد بها «من الراين إلى الفستولا» يجب أن يعدل مدلولها بحيث يصبح «من

موسكو إلى تمسك» إن الروسي الذي وجد في سياسة التوسع نحو الغرب التي سار عليها كل من «بطرس الأكبر» و«كاثرين»، ما يستوجب لعنهما، لهو الروسي الحقيقي الجدير بهذا الاسم، إذا ما كان يجب أن يزج بهذا الشعب بأية حال من أحوال في القارة الأوربية. ومع ذلك فسوف يأتي الوقت، الذي ينتقل فيه مركز ثقل هذه البلاد إلى القارة الآسيوية وذلك عندما تسلخ عنها الولايات الغربية غير الروسية (وهي أوكرانيا والقوقاز). إن أوربا الغريبة عليه والتي يمقتها ليس فيها بعد اليوم مجال للرجل الروسي»[1].

هذا، ويحاول النازيون ومؤلفوهم أن يرجعوا فلسفتهم إلى أصولها الموجودة في الأساطير الألمانية وهي التي تسيطر عليها روح القضاء والقدر والتي تسودها عقيدة راسخة بأن هناك قوة خفية تدفع بالفرد إلى البحث عن مواطن التهلكة عن طريق خوض المخاطر بكل شجاعة وإقدام، ويتمثل هذا في الموضوعات الفلسفية التي اتخذ منها «ريتشارد فاجنر» Richard Wagner مادة لتمثيلياته الغنائية: ففي أوبرا Gotterdammerung وهي إحدى الأوبرات الأربع المعروفة باسم Ring des Nibelunger يصف لنا «فلاهالا» Valhalla وهو يسقط في النيران التي أوقدت لحرق جثة بطل هذه القصة. فهل كان «فاجنر» وهو يكتب هذه القصة يتنبأ بالمصير الذي ينتظر هتلر نفسه؟ إن هذا ليذكرنا بما قاله الفوهرر في سنة ١٩٣٢: «قد يصيبنا الهلاك والدمار، ولكنهما

[1] Allred Rosenberg: Der Mytchus des Zwanezigsten. Jahrhum derts (Munich 1936) P. 576.

إذا أصابانا فسوف نجد العالم كله من ورائنا يهلك معنا في النار التي ستشتعل في العالم كله».

تلك هي الأفكار التي كانت تجول بخاطر «هتلر» يوم ألف كتابه «كفاحي» في سنة ١٩٢٤ وهو في عزلته بمدينة Landsberg am lech وكان «هيس» Hesse معه بدون كل ما يمليه عليه، ثم عاد في سنة ١٩٢٦ في Berchtesgaden فأعاد كتابته مشددًا فيه على كل ما يتطلبه الكفاح من قوة وعزم. هذا، ولن يستطيع إنسان أن يفقه النظرية التي يقوم عليها النظام الأوربي الجديد من غير أن يلقي نظرة –ولو عاجلة– على تلك الفقرات الهامة من إنجيل «الشعب الألماني» ذلك الإنجيل الذي يجد فيه القارئ في أكثر من موضع أثر القائد «هوسهوفر» والذي يستبين من بين عباراته آراء «هتلر» في الشئون الدولية. انظر قوله مثلًا:

«ولسوف يأتي الوقت الذي تصبح فيه ألمانيا دولة من الدول الكبرى أو يقضي عليها بالزوال والفناء. والدولة التي تصبو إلى مرتبة الدول العظمى لابد لها –في وقتنا الحاضر– من رقعة تتلاءم وتلك العظمة، يستمد منها أبناؤها حيويتهم. إن الحدود السياسية من عمل الإنسان، والإنسان قادر على تعديلها وتغييرها. وليس لدولة قدر لها أن تنتزع جزءًا من أملاك غيرها أن تنظر من هذا الغير أن يعترف لها بهذا الحق اعترافًا أبديًا، لأن هذا إن دل على شيء، إنما يدل على قوة الفاتح وضعف المغلوب، كما يدل قبل كل شيء على أن القوة وحدها هي

مصدر الحق. وإذا كان الشعب الألماني، وقد قضى عليه أن يعيش سجينًا في رقعة تستحيل فيها الحياة، لا يرى في مستقبل أيامه سوى البؤس والشقاء، فإن هذه حال ليس للقدر فيها شأن وليس في العمل على التخلص منها ما يضير القدر في شيء».

ولم يحاول «هتلر» في جميع كتاباته إخفاء الطرق والوسائل التي ينوي انتهاجها لتحقيق أغراضه. خذ قوله:

«إن الاحتياجات مهما بلغت شدتها لن تنجح في إعادة البلاد المضطهدة إلى أحضان رايخ موحد، ولا سبيل إلى ذلك إلا بحد سيف ماض يكون صهره من عمل الزعامة السياسية الداخلية، على أن تكون حراسة هذا المظهر وجمع الأخوة المحاربين بيد من تعقد له الزعامة الخارجية. وثمة حقيقة أخرى يجب ألا تغيب عن ناظرنا وهي أن استعادة الأقاليم التي اقتطعت من الرايخ لن يتم بالتوسلات والابتهالات إلى العلى القدير، ولن تتم عن طريق الآمال العريضة التي وضعناها في عصبة الأمم، وإنما يتم بقوة السلاح.. وقوة السلاح فقط».

هذا وقد أورد «هتلر» في كتابه «كفاحي» جميع الأسس والمبادئ التي سار عليها لتحقيق الوحدة الألمانية حتى مارس سنة **١٩٣٩**:

» إن مصير هذه الدولة «النمسا» مرتبط كل الارتباط بقيام وتطور القومية الألمانية الشاملة، وإنه لمن المتعذر حقًا أن يتصور الإنسان إمكان تقسيم تاريخ هذه القومية إلى شعبتين إحداهما ألمانية والأخرى

نمساوية... وليس أمام النمسا الألمانية الآن من طريق تسلكه إلا أن تعود إلى الوطن الألماني الكبير، وليس هذا لمجرد الاعتبارات الاقتصادية فحسب، لا، لا، إني أؤكد أنه حتى إذا كان هذا الاتحاد قليل القيمة من الناحية الاقتصادية، بل وضارًا من بعض نواحيه، فإنه يجب أن يتم، لأن الدم الواحد يجب أن يعيش تحت لواء رايخ واحد مشترك»

«وليس لهذه الدولة البائسة «ألمانيا» أن تطمع في الاستيلاء على أراض وممتلكات أجنبية إلا بعد أن تدخل في دائرة حدودها آخر رجل ألماني.. وواجب الرايخ الألماني باعتباره دولة وحكومة أن يعمل على إدخال جميع الألمانيين إلى حظيرته، لا لمجرد الحصول على أحسن السلالات والاحتفاظ بها، وإنما لكي يتزعمهم ويقودهم آمنين رويدًا رويدًا إلى حيث تعقد لهم الزعامة والسيادة.»

كذلك نراه يعلن في صراحة تامة عن عزمه على استعادة ما كان لألمانيا من ممتلكات وما ينويه من فتوحات جديدة فيقول:

«إن الحصول على أراض وممتلكات جديدة لإسكان الزائدين من الأهلين له فوائد التي لا حصر لها، لن ندركها على حقيقتها إلى إذا نحن أشحنا بنظرنا من الحاضر إلى المستقبل... وإني اليوم لعلى بينة من أن الإنسان لن يأتي له أن يستعيد ما فقده من أملاك بمجرد ألفاظ تلوكها ألسنة البرلمانيين مهما كانت حدتها، وإنما عليه أن يجرد في سبيل ذلك سيفًا مسلولًا وبذلك يستعيدها عن طريق الصراع الدموي.... إن العودة بنا إلى حدود سنة ١٩١٤ لا قيمة لها إطلاقًا لمستقبل الأمة الألمانية،

إذ أية فائدة يمكن أن ترجى من حدود قصرت عن حماية هذه الأمة في الماضي وكانت في الوقت نفسه خالية من كل مصدر من مصادر القوة المستقلة؟... إن واجبنا، معشر الاشتراكيين الوطنيين، هو أن نتمسك بالأهداف التي وضعناها لسياستنا وألا نحيد عنها قيد أنملة، وبذلك نضمن للشعب الألماني ما نستهله له من حق طبيعي في رقعة هذا الكون، إذ بغير هذا لن نستطيع أن نبرر أمام الخالق سبحانه وتعالى وأمام الأجيال الألمانية المقبلة ما انفقناه وما استثمرناه من دماء في هذا السبيل... إن لنا اليوم ثمانين مليونًا من أوربا، فإذا ما أمكن بعد مرور قرن واحد أن نجعل منهم مائتين وخمسين مليونًا نكون قد وفقنا في سياستنا الخارجية (سياسة التوسع).»

هكذا ألمح هتلر في تعليقاته على نوع السياسة التي يجب أن تتبع مع كل دولة من الدول الأوربية، إلى بعض النواحي التي يمكن أن نستشف منها نواياه الحقيقية، وتتلخص هذه في هزيمة كل من فرنسا والروسيا عسكريًا ومصادقة إيطاليا وبريطانيا، وفي هذا يقول:

«إن كل تحالف لا يكون من بين أغراضه العمل على تنفيذ خطة حربية معينة، لهو تحالف لا معنى له ولا فائدة منه. إننا لا نحارب الآن من أجل استعادة مركزنا كدولة من الدول الكبرى، وإنما نكافح من أجل المحافظة على كيان دولتنا وسلامة وحدتها، ومن أجل الحصول على قوات أطفالنا اليومي. وإذا ما أردنا أن نختار من بين الدول الأوربية حلفاء لنا يساعدوننا على تحقيق هذه الأهداف فليس أمامنا ما نختاره سوى

«إنكلترا» و«إيطاليا».

«... إن كل تضحية كانت تبذل إذ ذاك (في سنة ١٩١٩) في سبيل الحصول على ود «إنكلترا» ومناصرتها، كانت تبدو صغيرة، لا بل إن الإنسان كان يستهين بالنزول عن المستعمرات نفسها إذا كان في ذلك ما يؤمن صناعاتنا من منافسة «إنكلترا» لها .... وهناك دولة (هي إيطاليا الفاشتية) وصل نظام الحكم فيها اليوم إلى درجة من القوة والاستقرار وأضحى وقفًا خالصًا على خدمة المصالح القومية، حتى أصبح ولا خوف عليه بعد الآن من تدخل الصهيونية الدولية لتعطيل مرافقة السياسية...».

«وثمة أمر آخر ألا يغيب لحظة واحدة عن أذهاننا، وذلك أن عدو الشعب الألماني اللدود، والذي لا أمل لنا في مهادنته، كان وسوف يظل فرنسا... تلك الدولة التي توجه كل نشاطها السياسي إلى اتخاذ نهر الراين حدًا طبيعيًا لها، والتي لا أمل لها في الاحتفاظ به إلا ببقاء ألمانيا دولة ممزقة الأوصال. فكل دولة تناهض الأماني الفرنسية في السيطرة على القارة الأوربية، هي في الواقع حليفة لنا، ويجب أن نستسهل كل صعب في الوصول إلى مصادقتها، وأن نستهين بكل ما يطلب منا التنازل عنه إن كان في هذا أو ذاك، إخضاع لعدونا اللدود...»

«لن تتحقق حرية البقاء لأمة من الأمم ما لم تكن لها رقعة فسيحة من سطح الكرة الأرضية تكفي لسد مطالبها. إننا نبدأ الآن من حيث توقفنا منذ ستمائة سنة مضت. لقد وصلنا إلى النقطة التي يجب أن ينتهي

عندها الزحف الألماني المتواصل في الاتجاهين الجنوبي والغربي، وعلينا الآن أ ن نوجه أنظارنا صوب الشرق.... وإذا ما تحدثنا اليوم عن توسعنا في القارة الأوربية فإن الفكر ينصرف أول ما ينصرف إلى «روسيا» والدول التابعة لها،»

هذا ولم يفت الفوهرر الدور الذي قامت به كل من روسيا وفرنسا في بدء الحرب العالمية الأولى، ففي هذا يقول: –

«يجب ألا نسمح بقيام دولتين كبيرتين في أوروبا القارية، لا بل من واجبنا أن ننظر إلى كل محاولة لتنظيم ظهور أية قوة عسكرية على أحد حدود ألمانيا على أنه عمل يهدد سلامة بلادنا، وفي هذه الحال يصبح من حقنا، لا بل ومن الواجب علينا، مناهضة قيام مثل هذه الدولة، حتى ولو أدى الأمر بنا إلى امتشاق الحسام. أما إذا كانت هذه الدولة قائمة فعلًا، فليس أمامنا إلا إخضاعها والقضاء عليها.»

ولهتلر في السلم العالمي آراؤه الخاصة فيقول:

«على كل من يريد صادقًا انتصار فكرة السلام عالمي، أن يناصر الشعب الألماني، ويساعده بكل ما لديه، على غزو هذا العالم. أما إذا حدث العكس فبشر هؤلاء المسالمين بأن آخر من يموت من أفراد هذا الشعب سوف لا ينزل إلى قبره إلا ومعه آخر الداعين إلى هذا السلام. أنا لا أنكر أن فكرة السلام الإنساني فكرة قد تكونت حسنة في حد ذاتها، ولكن يشترط لقيامها أن يكون أحسن شعوب الأرض وأرقاها

مستوى قد تم له فتح هذا العالم وإخضاعه إلى درجة لا تسمح لغيره بالسيادة فيه... فعلينا إذن أن نحارب أولًا، ثم نتدبر من بعد ذلك ما يمكن عمله.. ولو أن الشعب الألماني كانت قد تهيأت له خلال التطورات التاريخية التي مرت بها الوحدة التي تهيأت لغيره من الشعوب، لكان من المحتمل جدًا أن نعقد الآن للرايخ الألماني سيادة هذا العالم... أجل لو كان هذا تم لقام سلم له أنصاره الحقيقيون، لا من أولئك النائحات المأجورات اللواتي يحملن سعف النخل، ولكن من الأبطال الأفذاذ الذين يحملون في أيديهم سيوفًا مظفرة والذين في استطاعتهم أن يوجهوا سكان هذا العالم إلى خدمة حضارة أرقى وثقافة أعلى من ثقافته الحالية...»

والآن ترى ما هي الفكرة أو الأفكار التي كونها كل من الفوهرر والدوتشى عن نظام الحكم ونوع الحياة التي أرادا أن تحياها أوربا؟ لقد أعلن لناموسوليني عن رأيه في هذه الناحية بقوله:

«إن الأمة ممثلة في الحكومة التي تدبر أمورها، وهي وحدة شعورية حية طالما هي متقدمة إلى الأمام، لأن التوقف معناه الموت، ومن ثم فالدولة ليست مجرد السلطة التي تقوم بالحكم بين الأفراد وتسبغ الصبغة القانونية والروحية على أفعالهم وإرادتهم، وإنما هي السلطة التي تستطيع أن تمد إرادتها إلى خارج حدودها وتجعل الغير يشعرون بها ويحترمونها، مقدمة بذلك الدليل العملي على مسايرة كل ما تصدره من قرارات لقواعد النمو والتقدم المعترف بهما من الجميع.»

أما أدولف هتلر فيقرر:

«وما الدولة إلى وسيلة لتحقيق غاية، وهذه الغاية هي المحافظة على مجتمع بشرى تماثل من الناحيتين الجثمانية والنفسية والعمل على رفعته، وللمحافظة على هذه المجموعة البشرية يجب أن نعنى أول ما نعنى بالسلالة البشرية المنحدرة منها، والعمل على تنمية جميع العوامل الكامنة فيها، وإنه لمن السهل علينا إذن معشر الأوربيين أن تصور الدولة على أنها الخلية الحية التي تولد منها القومية.»

والسيادة المطلقة للدولة ركن من أهم الأركان التي يقوم النظام الفاشتي للحكم، أم الفرد فليس له أدنى وزن، ومن ثم كانت نظرة الدوتشي إلى إيطاليا على أنها فكرة روحية، متمشيًا في ذلك مع الأسطورة التي سارت عليها «روما» في عصر الإمبراطورية يم تم لها الاستيلاء على جميع البلاد المحيطة بالبحر المتوسط وسموه بحر قياصرة التلال السبع. وللفوهرر رأي يخالف ذلك فهو يقيم دولته على أساس السلالة البشرية. ولكنهما مع ذلك يتفقان اتفاقًا على ضرورة إغفال المنازعات الطبقية التي يمكن أن تثيرها الشيوعية وعلى عدم التعرض لإلغاء نظام الرأسمالية، ناظرين إلى الحرب على أنها أسمى مظهر من مظاهر الرجولة، ومن هنا توارت الديمقراطية في كل من إيطاليا وألمانيا وحلت محلها الرياسة المقدسة والسلطة والنظام. فقد كان شعار الإيطاليين: «صدق وأطلع وحارب»، أما الصيحة الألمانية فكانت «شعب واحد واريخ واحد فورهرر واحد.»

والخلاصة أنه من الممكن إجمال النظرية الجماعية التي سارت عليها كل من «روما وبرلين» في كلمتين هما «الرأسمالية الجماعية»

هذا ويقوم الرايخ الذي أسسه أودلف هتلر على عمد ثلاثة: أولها الدولة وثانيها الحزب النازي (N. S. D. A. P.) – الحزب الاشتراكي الوطني للعمال الألمانيين– وثالثها الشعب، والفوهرر بين ثلاثتها بمثابة العروة التي تشد الواحد منها إلى الآخر. والشعب في اعتباره هو مجموعة من الناس تجمع بينهم وحدة الثقافة والتاريخ والروابط الجنسية، وهو تعريف كما يبدو قد يشمل أفردًا ممن يعيشون خارج الحدود السياسية للدولة، كما أنه قد يستثنى أفرادًا من القاطنين داخل الدولة نفسها، وللرعايا الألمان في خارج الرايخ اسم خاص: Auslandeutsche وترجمتها «المجموعة الألمانية في الخارج»، ولهم تنظيم خاص يطلق عليه اسم Gua، وتتولى إدارته الشعبة الأجنبية للحزب النازي (N. S. F. O.) ورئيسها إرنست بوهل Ernest Bohle الذي يشرف إلى جانب ذلك على القسم الأجنبي بوزارة الخارجية وهو الذي يتولى شئون volkodeutsche أي أولئك المنحدرون من سلالات ألمانية ثم اكتسبوا جنسيات أجنبية، ولهؤلاء في ألمانيا منظمة خاصة يطلق عليها اسم Volkobund (V.D.A) Fur das Deutschtum im Ausland وترجمتها الجمعية الأهلية للألمان خارج الحدود. وتعمل هاتان المنظمتان بالتعاون التام مع بعضهما البعض ومع معهد الألمان الأجانب ومقره مدينة اشتتجارت وله مكتبة عامرة بالكتب والمجلات والجرائد لخدمة الألمان الموجودين خارج حدود الرايخ.

ويسير الحزب النازي في قوميته العنصرية Racial Nationalism على مبدأ «الدم والأرض» Blut und Boden وهو يتفق مع ما يذهب إليه النازيون من تمجيدهم للجنس الألماني القديم واحترامهم القدسي للوطن الألماني، ومن ثم كان الاصطلاح الألماني (Weltanschauung) ومعناه «النظرة العالمية». ووحدة القياس هنا هي الاعتبارات السلالية البحتة: فخيرة العناصر البشرية كلها في اعتبارهم النورديون، يليهم في ذلك السلافيون والأمم الشرقية، وهم في مرتبة دون مرتبة البشر sub- human، ثم الزنوج وهم أنصاف تسانيس، أما اليهود فجماعة طفيلية تحتل الدرك الأسفل في السلم الاجتماعي. وهذه النظرة العالمية weltanschauung كما يفهمها النازيون تتعارض مع الفكر وأصحابه، وتناهض اليهود والمركسية وكل ما هو أجنبي؛ ومحبي السلام.

وما إن تولى هتلر مركز الاستشارة في الرايخ الألماني في الثلاثين من شهر يناير سنة **١٩٣٣** حتى عمد إلى إعادة تنظيم ألمانيا على أسس فاشستيه فاتخذ من موسوليني قدوة له واقتبس الكثير من مظاهر الحكم في إيطاليا الواقعة عبر جبال الألب. ولما أن انهارت فرنسا في يونية سنة **١٩٤٠** أخذت الجيوش القائمة تنقل إليها أهم مظاهر الحكم في الرايخ الثالث تحت شعار جديد أسمته «النظام الجديد» The New Order.

كذلك أدخل كثير من التعديلات على التنظيم العام للحكومة الألمانية كان أهمها كلها ما تم بعد موت هندنبرج في سنة **١٩٣٤** إذ أدمجت السلطات المخولة لرئيس الجمهورية وسلطات المستشار في يد

واحدة، كما ألغى مجلس البوندزرات (المجلس الأعلى) وانتقضت كثير من السلطات المخولة لمجلس الريشتاغ حتى أصبح ولا عمل له سوى الهتاف والتصفيق للفوهرر كلما ألقى خطابًا، أو الاستماع لأوبرات رتشارد فاجنر العظيمة. كذلك أصبحت عملية الانتخاب لهذا المجلس قاصرة على مجرد قبول أو رفض قوائم الترشيحات التي يعدها الحزب النازي، وكثرت عمليات الاستفتاء للبت في كبرى المسائل، وكانت النتائج في جميع الحالات مقررة من قبل، أما السلطات المخولة للولايات الداخلة في الاتحاد الألماني فقد اقتصرت على مجرد وظائف إدارية ينفذها حكام نازيون تعيهم برلين. والخلاصة أن جميع الحريات التي كفلها دستور «فايمار» جثم عليها سبات عميق منذ فبراير سنة ١٩٣٣. ومن مظاهر الحكم الجديد تأليف محاكم الشعب peoples Courts وقد عين لها قضاة من رجال القانون ومن العسكريين ومن رجال البوليس وموظفي الحزب النازي؛ وكانت تعقد جلساتها سريًا لمحاكمة المتهمين بالخيانة العظمى، وفي جميع هذه المحاكمات كان رجال الجستابو وموظفو معسكرات الاعتقال على مقربة من دور هذه المحاكم.

ويسير الحزب النازي في تنظيماته وفق الترتيب السلمي، فهو مقسم إلى مراكز ودوائر ومنظمات محلية وخلايا موزعة على الشوارع الرئيسية، وهناك حرس (Schutzstaffel) وهو بمثابة الحرس القنصلي (البريتوري) في عهد الدولة الرومانية، ثم جنود الصاعقة (Stôrm Troops S,A) وكان عددهم سنة ١٩٣٤ ٢,٥٠٠,٠٠٠ جندي، والشباب الهتلري وهو مكون من الصبية الذين تتراوح أعمارهم ما بين العاشرة والثامنة

عشرة ومن الفتيات فيما بين العاشرة والحادية والعشرين. وللنشء الألماني فيما بعد الرابعة عشرة أن ينضم إما إلى الشباب الهتلري أو إلى اتحاد البنات الألمانيات، وإذا ما بلغ الشبان الثامنة عشرة انخرطوا في الخدمة العمالية لمدة ستة أشهر تتبعها سنتان يقضونها في التدريب العسكري، وفي كل سنة يختار ألف من الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والعشرين والثلاثين ليدربوا أربع سنوات على الزعامة ومهامها.

كذلك أقام النازيون سياستهم التعليمية على المبادئ العسكرية وتمجيد الحرب. وفي كتاب «التهجي النازي» Nazy Primer الذي يوزع على الشباب الهتلري ما يرشدنا إلى نوع التعليم الذي يلقن النشء الألماني. وهناك الفرقة القومية للثقافة، التي يرأسها الدكتور «جوزيف جوبلز»، وزير الدعاية والإرشاد، وهو أنسب من يتولى هذه المهمة، وتتكون من سبع غرف: الصحافة والمسرح، والسينما ثم النحت، والتصوير، والموسيقى، والأدب.

ولقد عمد النازيون، لذلك، إلى الإكثار من النسل واعتبروا هذا من أقدس الواجبات المفروضة على كل ألماني بوردي. وتحقيقًا لهذه الغاية فرضوا الضرائب على غير المتزوجين من الرجال ومنحوا الإعانات المالية لأصحاب الأسر الكبيرة، كما اهتموا اهتمامًا خاصًا بتحسين الجنس عن طريق الدراسات التناسلية وأسسوا لهذا الغرض محاكم خاصة وظيفتها العمل على الحد من النسل غير المرغوب فيه في الرايخ الثالث، ويتصل بهذا ما تناقلته أخبار برلين الموثوق بها من وقوع كثير من أنواع القتل

الذي يتوخى فيه الرحمة بصاحبه، كما كان ينظر إلى زواج الرجل الألماني من إحدى بنات أي جنس أجنبي وخاصة من المرأة اليهودية على أنه جريمة ضد الدولة ثم صدرت قوانين «نورنبرج» (سبتمبر سنة ١٩٣٥) وما تبعها من أوامر أخرى وقد قضت بإبعاد اليهود عن الحياة العامة وحرمت عليهم مزاولة المهن الحرة، فسدت في وجههم كل وسيلة من وسائل كسب العيش، وكان غرضها الأول تعريض هذه الفئة للإذلال والقطيعة الاجتماعية. ولكن يقابل هذا من الناحية الأخرى عجز النازيين عن التغلب أو الانتصار التام على الكنائس الألمانية رغم ما قاموا به من مجهودات كبيرة لتحقيق هذا، ومنها ما حاوله «روزنبرج» عن تأسيس دين أوحد لا منافس له قوامه الدم والتربة، وما صرح له بعض المتحمسين للنازية من أن «الله هو ألمانيا، والمسيح هو هتلر، والإنجيل هو كتاب. كفاحي». لابل إن هتلر يرسم لنا الخالق سبحانه وتعالى في صورة المسجل الأعظم غير المتحيز الذي يدون النتائج في كتاب الموت والحياة. وقام رجال الكنيسة اللوثرية يعارضون الأوامر الكنائسية التي أصدرها لهم Reichsbischof Muller النازي، ولا يزال «مارتن نيمولر» Martin Niemoelle يعاني الأمرين في أحد معسكرات الاعتقال بسبب ثبوته على مبدئه: أجل، لقد صمد زعماء الكثلكة في وجه جميع المحاولات التي قام بها النازيون لإفساد منظمات الشباب الكاثوليكي والسيطرة على معاهد التعليم الكنسية وقد كانت علاقة البابا بالفوهرد من أجل ذلك كله أبعد ما تكون عن المودة والصداقة.

أما شئون الصناعة والزراعة والعمل. فقد جمعت كلها في خمس

منظمات تشرف عليها الحكومة وتوجه سياستها: جبهة العمل وتشمل كل ما يتصل بشئون العمال ورؤوس الأموال، ووظيفتها تنظم العلاقة التي تربط بينهما، وتشرف في الوقت نفسه على تلك الحركة التي يطلقون عليها اسم «القوة عن طريق المرح والانشراح» والتي من أهم أغراضها تحديد أوقات فراغ الجماهير وتهيئة وسائل رياضتهم.. ثمن منظمة التجارة والصناعة وتدخل في دائرتها جميع المشروعات الصناعية والتجارية ومختلف أنواع الحرف، وهذا عدا الخاص الذي له حق الإشراف على اتحادات أصحاب الحرف وغرفهم... وهناك منظمة الزراعة ووظيفتها الإشراف على كل ما يتصل بنظام التسويق؛ والأساس فيها يثبت الأسعار وتعيين الأسواق، وتحديد الحصص قبل ظهور المحصول... أما المنظمة الخامسة فهي منظمة الثقافة، وهذه تختلف اختلافًا جوهريًا عما عداها من المنظمات الأخرى.

اعتمدت ألمانيا في سنة **١٩٣٣** أول مشروع للسنوات الأربع وأعلنت أن الغرض منه هو القضاء على البطالة وإعادة توزيع الزراعة الألمانية وتنظيمها، وقد نجحت فعلًا في القضاء على البطالة بفضل ما قامت به الحكومة من أعمال عامة وما شيدته من مساكن وما أنشأته فيما بعد من مصانع لعمل الأسلحة والذخائر. كذلك سنت في نفس الوقت قانون «الحقل الوراثي»، وهو القانون الذي يحمي المزارع من الحجز على أرضه أو انتزاعها منه، ولكن المزارع كان مطالبًا في مقابل ذ لك بتوريثها لوريث واحد. ثم كانت سنة **١٩٣٤** وهي السنة التي قام الحزب خلالها بعملية التطهير الدموية للتخلص من فئة من أعضائه أرادوا تحقيق

بعض المبادئ الاشتراكية في حزب أطلق على نفسه اسم الحزب الاشتراكي القومي.

وأعقب ذلك مشروع السنوات الأربع الثاني وكان من أهم أغراضه التوسع في إنتاج البضائع التركيبية synthetic التي يمكن أن تستغني بها ألمانيا عن المصادر الأجنبية لبعض المواد الأولية الأساسية. وما إن تولى جورنج مركز دكتاتور ألمانيا الاقتصادي حتى شاعت في الرايخ الثالث كله تلك الصيحة التي أخذ الجميع يرددونها وهي «المدفع قبل الزبد»، وليس من ينكر أن التنظيم الاقتصادي الذي اتبعته ألمانيا في الفترة التي سبقت الحرب كانت له فائدته خلال هذه المحنة.

وفي الثلاثين من شهر أغسطس سنة **١٩٣٩** عين جورنج رئيسًا للجنة الوزارية الجديدة التي عهد إليها بتنظيم شئون الدفاع عن الرايخ.

وفي رأى جوفري كروثرز Geoffery Growthers رئيس تحرير مجلة الإيكونومست أن أهم فارق بين النظامين: الألماني والروسي هو محافظة ألمانيا على مبدأ الملكية الفردية لرأس المال الذي ظل قائمًا في هذه البلاد. أما فيما عدا ذلك فإن الرايخ تحت حكم الحزب الاشتراكي القومي كان أقرب إلى البلشفية مما كان عليه في عهد دستور «فيمار».

والخلاصة أن الحزب النازي استطاع خلال السنوات السبع التي تولى فيها حكومة ألمانيا قبل قيام الحرب العالمية الثانية، أن يعد جميع المشروعات والخطط التي كان ينوي تنفيذها في القسم الأكبر من القارة

الأوربية مع تعديلها بما يطابق الظروف الخاصة بكل دولة.

هذا، ولقد تأثرت السياسة الخارجية للرايخ إلى درجة كبيرة بآراء وتعاليم اللواء هوسهوفر، إذا ما كاد أدولف هتلر يتولى الزعامة في سنة ١٩٢٣ حتى عمل على إحياء حلم التوسع الألماني عند أصحاب هذا الرأي. لقد اتبع الفوهرر في سبيل بسط سيادته على القارة الأوربية خطوات خمس، وكان ينتقل من الواحدة منها إلى التي تليها، بطريقة منطقية محكمة.

فعمد أولًا إلى المطالبة بتحقيق مبدأ المساواة في الحقوق بين ألمانيا وما عداها من الدول الكبرى وهو ما يطلق عليه بالألمانية «Gleiehberechtigung» وكان يقصد من وراء هذا تحطيم «معاهدة فرساى الإجرامية». والواقع أن الشعب الألماني كان قد حول كل اهتمامه إلى هذه المعاهدة الممقوتة ونسى أو تناسى النتائج التي انتهت بها الحرب نفسها.

جاهر هتلر بعد ذلك بسياسة الوحدة الألمانية وعمل جاهدًا على تنفيذها، وقد نجح في ذلك إلى درجة كبيرة. وتم له ضم ألمان النمسا وتشيكوسلوفاكيا وممل إلى الرايخ دون أن يلجأ إلى حرب أو قتال.

ثم كانت الخطوة الثالثة حينما تقدم بفكرة المجال الحيوي Lebensraum، تلك النظرية التي أخذت تنمو وتكبر حتى أصبحت حقيقة واقعية اتخذت منها ألمانيا سندًا لبسط حمايتها في سنة ١٩٣٩ على كل من بوهيميا وموارفيا. وجاء من بعد ذلك غزو بولاند ونشوب الحرب العالمية الثانية

والقضاء على الجمهورية البولاندية ومضاعفة الجهد الاقتصادي لتحقيق المجال الحيوي النازي في القارة الأوربية.

أما الخطوة الرابعة التي خطاها هتلر في سبيل تحقيق مشروعاته في أوربا فهي ما يطلق عليها في الألمانية «Drang nang Osten» ومعناها «الاندفاع نحو الشرق»، ويبدو أن مدينة كييف (Kiev) الواقعة في ولاية أوكرانيا الروسية، لا بغداد في منطقة الجزيرة، أصبحت الهدف الذي يرجي تحقيقه من وراء هذه السياسة، وهذا ما حدث فعلًا، إذ استطاعت ألمانيا، بعد أن تم لها غزو كل من المجر ورومانيا وبلغاريا غزوًا اقتصاديًا، وبعد أن فرغت من غزو اليونان ويوغوسلافيا واحتلالها عسكريًا، استطاعت أن تصل في زحفها شرقًا حتى أبواب البوغازين وأن تحتل أوكرانيا.

وقد أمكنها تحقيق المرحلة الخامسة من مراحل توسعها في القارة الأوربية على أثر انهيار فرنسا، وذلك بتحقيق النظرية التي يطلقون عليها اسم الاقتصاد القاري أو Grosraumwirtschaft، وهي النظرية التي ابتكرها أصحاب النظام الأوربي الجديد والعاملون على خلق النظام الجديد لشرق آسيا الكبرى، والتي تقوم على تقسيم العالم إلى أقاليم قارية كبرى تتولى السيادة في كل منها دولة واحدة على اعتبار أنه منطقة نفوذها الخاص.

والخلاصة أن هذه الخطوات الخمس —المساواة في الحقوق، والوحدة الألمانية، والمجال الحيوي، والاندفاع نحو الشرق، والاقتصاد

القاري– رغم وضوح الهدف الذي قصدت إليه جميعها لا يمكن اعتبارها وحدات قائمة بذاتها، كما أنه من السهل على كل دارس للتاريخ الألماني، ألا يرى جديدًا فيما رسمه وحققه الحزب النازي من خطط ومناهج.

هذا ولقد تجلت عبقرية «هتلر» بصفة خاصة في إعداد الخطوات الدبلوماسية التي قضى بها على معاهدة فرساي واختيار أنسب الأوقات لتنفيذ كل خطوة منها: فقد بدأ في الرابع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٣ بالانسحاب من مؤتمر نزع السلاح ومن عصبة الأمم، ثم كان الاستفتاء في منطقة «السار» ونجاح النازيين في التسلط على مجلس إدارة ميناء «دانزج»، مما كان له أعظم الأثر في حب الشعب الألماني له وزيادة تعلقه به. وفي السابع من شهر مارس سنة ١٩٣٥ نجح في إنهاء العمل بالمواد من معاهدة «فرساي» التي تنص على عدم تسليح الجيش الألماني وإن كان الاتفاق الذي عقد بين الرايخ و«بريطانيا» في شهر يونية من السنة نفسها قد حدد الأسطول الألماني بما لا يزيد على ٣٥٪ من الأسطول البريطاني مع التسليم بمبدأ المساواة في عدد الغواصات. وقد تكون أهم هذه الخطوات كلها وأعظمها أثرًا من الناحية السياسية عدم اعترافه باتفاقات «لوكارنو» وما أقدم عليه في ١٦ مارس سنة ١٩٣٦ من إعادة تحصين بلاد الرين (شكل ٩). وقد برهنت الحوادث على أن «هتلر» كان مصيبًا كل الإصابة عندما قدر أن «إيطاليا» لن تتعاون مع «إنكلترا» و«فرنسا» في إعادة هذا التحصين بسبب العقوبات التي كان قد فرضها عليها مجلس عصبة الأمم إبان

حربها مع «الحبشة»، وأن «إنكلترا» لن تقدم على اتخاذ خطوات إيجابية في هذا الشأن، فتصبح «فرنسا» و«بلجيكا» ولا سند لها. ولكن ليس من شك أن أي عمل جازم كانت تقوم به «فرنسا» في هذه اللحظة الحاسمة كان من شأنه أن يحمل النازيين على سحب جيوشهم من منطقة الراين، لأن «ألمانيا» لم تكن قد استعدت لخوض القتال بعد. أما وقد أعيد تشييد الحصون على شواطئ «الراين» فقد قضى على كل معونة عسكرية فعالة يمكن أن تقدمها «فرنسا» أو «إنكلترا» لدول شرق أوربا. ثم جاء شهر يوليه وفيه اندلعت الحرب الأهلية في «أسبانيا»، فوجد فيها النازيون والفاشيستيون الفرصة سانحة لتثبيت حكومة ذات ميول فاشتية في تلك البلاد، وفي الخامس والعشرين من شهر نوفمبر من السنة نفسها (١٩٣٦) عقد اتفاق بين الحكومتين الألمانية واليابانية لمناهضة الشيوعية وقد انضمت إليهما «إيطاليا» في نوفمبر من السنة التالية.

ولما أن فرغ هتلر من إعادة تسليح الرايخ في إقليم الراين عمد إلى تنفيذ النقطة الثانية في برنامجه السياسي وهي تحقيق وحدة الألمان. والمتأمل في تاريخ ألمانيا الحديث يجد أن هذه الوحدة التي تبناها النازيون هي وليدة الفكرة التي كانت سائدة في العهد القيصري، ذلك أنه على أثر إبرام «معاهدة هليبمولند» في سنة ١٨٩٠، وهي المعاهدة التي تنازلت فيها ألمانيا عن بعض حقوقها في القارة الإفريقية،، تأسس اتحاد أطلق عليه اسم الاتحاد الألماني General German League، وقد أعيد تنظيمه في سنة ١٨٩٤ وسمى اتحاد دعاة الوحدة الألمانية Pan Germaun League وجل أعضائه من الأساتذة والمدرسين

ورجال الأعمال والموظفين وأصحاب المهن الحرة، وكانوا يعملون متضامنين مع كل من الجمعية الاستعمارية والاتحاد البحري من أجل تأسيس اتحاد جمركي تشترك فيه هولاندا وسويسرا والنمسا والدول الإسكندناوية على اعتبار أنها وحدات تتكون منها إمبراطورية ألمانية، ومع ذلك ورغم التصريحات التي أدلى بها قادة الرأي من الدعاة للوحدة الألمانية من أنه لا غاية لهم إلا تحقيق المثالية الألمانية بالطرق السليمة، فإن الوحدات غير الألمانية رفضت قبول هذه الفكرة البريئة، إذ اعتقد الكثيرون أن ألمانيا إنما ترمى من وراء دعوتها هذه إلى بسط نفوذها على أوربا أولًا، ثم على العالم كله بعد ذلك، ومن الأدلة التي بني عليها تفسيراتهم هذه ذلك الكتاب الذائع الصيت الذي نشره الفائد فردريك فون برنهاردي Friedrjch von Bernhardi بعنوان «ألمانيا والحرب التالية» Germany & The Next War فقد باعد كثيرًا بين السياسة الألمانية والأغراض السلمية. على أن هذه الدعوة لم تذهب سدى. فقد كان لها أنصارها رغم قلتهم في داخل ألمانيا نفسها.

أما النازيون فقد عمدوا في تنفيذ فكرة الوحدة الألمانية إلى الاهتمام بناحيتين كانتا أيضًا قائمتين أيام الريخ الأول، وهما فكرة السلالة النوردية وفكرة جمع الألمان كلهم في رايخ واحد، ذلك لأن معاهدة فرساي كانت قد أنقصت عدد سكان ألمانيا من ٦٧,٨١٢,٠٠٠ إلى ٦٠ مليون فقط، وأنقصت مساحتها من ٢٠٨,٧٨٠ ميلًا مربعًا إلى ١٨١,٥٠٠ ميل فقط. غير أن هتلر استطاع قبيل نشوب الحرب الثانية إلى زيادة عدد سكان الرايخ إلى ٨٨ مليونًا، والمساحة إلى ٢٥٨,٦٨٣

ميلًا مربعًا. وكانت أهم البلاد التي يستوطنها ألمانيون خارج الرايخ الثاني هي المسار والنمسا والسوديت وممل وغرب بولاند والتيرول الجنوبي. وقد استعان الفوهرر بهذه الأقليات على إثارة القلاقل في جهات عدة من القارة الأوربية. وما إن انتهى من غزو بولاندا حتى كان قد أرجع إلى حظيرة الرايخ جميع أولئك الألمان عدا من كان يعيش منهم في التيرول الجنوبي، وبلغ عدد سكان البلاد التي تم له ضمها وفتحها ٤١,٣١٤,٠٠٠ نسمة. ومعنى ذلك أن عدد سان ألمانيا الكبرى كان قد بلغ قبيل غزو أسكندناوة ١١٠,٠٠٠,٠٠٠ من النفوس.

ولم يدع هتلر فرصة تمر به دون أن يؤكد فيها أن وحدة الدم هي قوام وحدة الرايخ... ذكر هذا في كتاب «كفاحي»، كما عمد إلى ترديده في الخطب التي ألقاها بعد أن أصبح دكتاتور ألمانيا، ومن ذلك ما قاله في ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٨ مخاطبًا الريشتاغ:

«وإلى جانب هذه الأمور التي هي موضع عناية الرايخ الألماني يجب أن نضيف موضوع حماية أولئك الألمانيين النازلين على حدود بلادنا، والذين ليس لهم من يساعدهم على تحقيق فلسفتهم أو نيل حرياتهم السياسية».

وقد بلغت خطبة في هذا الشأن ذروتها في الثاني عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٨ يوم قام في مؤتمر نوريج الشهير مدافعًا عن ألماني السوديت بتلك العبارات التي كان لها دوى الرعد.

«إني أقولها وأكررها أنه إذا لم يقدر لهذه الفئة المعذبة أن تأخذ حقوقها وحرياتها، فإن لها أن تعتمد علينا في الحصول عليها. إن الألمان لا يطلبون سوى تقرير مصيرهم، وهو حق مقدر لكل أمة غيرهم، إن الهر «بينش» Benês لا يقف من ألماني السويت موقف الواهب المانح، لأن لهم كل الحق في المطالبة بتعيين وتحديد نوع الحياة التي يريدون أن يحيوها شأنهم في ذلك شان أي قوم غيرهم».

وكانت النمسا أول هدف وجه إليه أصحاب نظرية التوسع سهمهم، وذلك لأن في هذه البلاد ينزل سبعة من العشرة ملايين ألماني الذين يطالب هتلر بردهم إلى حظيرة الوطن. بدأت الدعاية النازية حملتها سنة ١٩٣٣، ونجحت في إقامة حكومة شبه فاشتية في فيينا برئاسة المستشار «دولفس» Dollfuss وإرشاد موسوليني. وقد نجم عن قتل المستشار النمساوي في الخامس والعشرين من شهر يوليه سنة ١٩٣٤ خلال إحدى الاضطرابات التي نظمها النازيون أن سارعت إيطاليا بإرسال جنودها إلى ممر «برنر»، وظلت الحال على ما هي عليه من توتر حتى ٢١ يوليه سنة ١٩٣٦ حين عقد اتفاق بين النمسا وألمانيا تعهد فيه هتلر باحترام استقلال هذه الدولة —النمسا— وبهذا عادت حركة التجارة والانتقال بين القطرين إلى ما كانتا عليه، ولكن في أبريل من السنة التالية أخذ موسوليني يتحلل من كل عهد كان قد قطعه لمساعدة حكومة المستشار Schuschnigg في فيينا، وهي الحكومة المناهضة للنفوذ النازي في النمسا، لا بل إننا نرى هذا المستشار وقد ذهب بنفسه إلى برشتسجادن Brechtesgaden ليتسلم إنذارًا من الحكومة الألمانية،

يطلب إليه فيه إخلاء سبيل جميع المقبوض عليهم من النازيين في النمسا وتعيين وزيرين من الحزب النازي النمساوي في وزارته، ومنح كامل الحقوق السياسية لأعضاء هذا الحزب، ولم ير Schuschnigg أمام هذه المطالب مندوحة من استفتاء الشعب النمساوي في أمر استقلاله وأصدر قرارًا بذلك يوم ٩ مارس، ولكن قبل أن ينقضي على إصدار هذا القرار يومان، قدمت إليه برلين إنذارين، تطلب منه في أولهما إلغاء قرار الاستفتاء وفي ثانيهما تخليه عن الحكم. وكانت فرنسا في هذه الفترة تعاني أزمة وزارية حادة و» رينتروب» يالعج الأمور بلباقة في لندن، وموسوليني يقضي أجازة قصيرة في التزحلق على الجليد. ورغم استجابة شِشنج للمطالب الألمانية واستقالته من الحكم، فقد زحفت الجنود الألمانية على النمسا متذرعة أمام الجميع بالدعوة التي أرسلها -Seyss Inquart المستشار الجديد، وعمد هؤلاء الجنود إلى مؤازرة مرشحي الهر هتلر الذين لم يكن لهم من سند سوى الحراب النازية، وبهذا زالت من الوجود دولة النمسا التي ظلت قرونًا عديدة وهي تنشر الثقافة الألمانية وتحافظ على الروح الألمانية مما جعلها موضع تقدير وإعجاب العالم كله.

وقف هتلر في مدينة لنز Linz في اليوم التالي لذلك تمامًا، أي في ١٢ مارس سنة ١٩٣٨ يخطب فقال:

«إن تأسيس هذه اللوحة الألمانية الجديدة لم يأت وليد رغبة أبدتها فئة قليلة وإنما هي تحقيق لإرادة الشعب الألماني نفسه»، كما أبرق من

نفس المدينة إلى الدوتشي يقول: «موسوليني.. لن أنسى لك ما قمت به».

سارت عملية الاندماج بين النمسا وألمانيا بخطى سريعة جدًا، وجاءت نتيجة الاستفتاء الذي عمل على العاشر من شهر أبريل مؤيدة كل التأييد لاتحاد الدولتين Ansuchluss الذي عمل في العاشر من شهر أبريل مؤيدة كل التأييد لاتحاد الدولتين Anschluss (إذ أقره ٩٩,٠٨%)، وسرعان ما تغلغلت الروح النازية والتنظيمات النازية في جميع مرافق «الاستمارك» Ostmark كما أدخل نظام الجستابو وخفضت الرسوم الجمركية تخفيضًا تدريجيًا بين البلدين، وحل المارك الألماني محل الشلن النمساوي، ووضعت دور الأوبرا والتمثيل والجرائد والمدارس تحت سلطة النازيين ونفوذهم. وطهرت المكتبات والمتاحف ومعارض الصور من كل ما هو ليس آريًا. ولم يشأ هتلر أن يتمهل حتى تتبلور انتصاراته قبل إحداث مثل هذا الانقلاب العظيم لأنه كان يخشى أن تنقلب مهادنة الدول له إلى مقاومة إذا ما أتمت فرنسا وإنجلترا تسليحهما.

إن انهيار النمسا كان يحمل في ثناياه القضاء المحتوم الذي كان ينتظر تشيكوسلوفاكيا إذ كان يعيش في هذه الجمهورية ٣/٤ ٣ مليون ألماني، وهذا الرقم مستمد من الإحصاء العام الذي أصدرته الحكومة التشيكية نفسها في سنة ١٩٣٠. كان عدد سكان هذه البلاد في تلك السنة ١٤,٧٢٩,٥٣٦ نسمة: ٦٦,٩٢% مهم من التشيك

والسلوفاك، ٢٢,٣٢% من الألمان، ٤,٧٨% مجريون، ٣,٧٩% رؤيثنيون، ٠,٥٦% بولنديون. ومنشأ هذا التباين الكبير هو ما أوجبته العوامل الاقتصادية والاستراتيجية التي سار عليها مؤتمر الصلح في سنة ١٩١٩ من ضرورة الجمع بين بوهيميا وبلاد السوديت في دولة واحدة. ومهما قيل في إمبراطورية النمسا والمجر القديمة، ووجه إلى تكوينها من انتقادات فإننا لا نستطيع أن ننكر أنها كانت وحدة اقتصادية متماسكة يربط حوض الطونة بين شتات أجزائها. فبلاد السوديت كانت منذ القدم خاضعة لبيت «هبسبرج» وليس ليت «هوهنزلرن»، ومع ذلك كان من رأى الكثيرين من الأعضاء الأمريكيين في مؤتمر «فرساي» أن تضم أجزاء من هذه البلاد –بعد استفتاء سكانها– إلى ألمانيا، ولكن الأعضاء الفرنسيين عارضوا في ذلك أشد المعارضة، وكانت حجة العضو الفرنسي في لجنة تشيكوسلوفاكيا أن التوسع في تطبيق مبدأ الاستفتاء في المناطق الألمانية معناه الانتقاص من رقعة هذه الدولة وتقلصها. والواقع أن المسألة كلها كانت شديدة التعقيد جدًا، لان سلخ الولايات التي يغلب فيها العنصر الألماني وضمها إلى حكومة الرايخ معناه في الواقع تسلط هذه الحكومة على جميع أوربا الوسطى.

ومع ما كانت تتمتع به الأقليات الألمانية في تشيكوسلوفاكيا من معاملة ممتازة كفلت لها الحرية التامة في شئون التعليم والتمثيل النيابي، وهو ما لم يتهيأ لغيرهم من الأقليات الأوربية الأخرى، فإنهم كانوا يشكون من قصر الوظائف العامة كلها على التشيك وزاد من تذمرهم سوء الحالة الاقتصادية التي أعقبت الكساد العالمي والتي اشتدت وطأتها بين

طبقة العمال من الألمانيين. وحدث في سنة ١٩٣٥ أن فاز رئيس الحزب السوديتي Konmd Henlein بستين في المائة من الأصوات الألمانية، فما كان منه إلا أن طلب أن يكون للألمانيين كامل الحرية في الإعلان عن ألمانيتهم، كما طالب الحكومة الشبكية بنض تحالفها مع كل من الروسيا وفرنسا.

اضطرب الجو السياسي في مايو سنة ١٩٣٨، وبات الجميع، على أثر ما شوهد من تجمع الجيوش الألمانية والتشيكية على الحدود، يتوقعون نشوب حرب بين البلدين، وأخيرًا اضطر هتلر، إزاء ما أعلنته فرنسا عن عزمها على الوقوف إلى جانب تشيكوسلوفاكيا، وما رآه من معرفة بريطانيا والروسيا لكل توسع ألماني، إلى سحب جيوشه، وقد وافقت الحكومة التشيكية، بناء على اقتراح لورد «رانسمان» Lord Runciman، مندوب إنكلترا الخاص في مدينة براغ، على تقسيم البلاد إلى ولايات (Cantons) تسير في إدارتها وفق النظام المعمول به في سويسرا. ولكن الفوهرر عاد في ١٢ سبتمبر من نفس السنة وطالب في خطاب له بمدينة نورمبرج بضرورة منح ألماني السوديت، «تلك الفئة المعذبة»، حتى تقرير مصيرهم، وقد أدى هذا التصريح إلى وقوع شغب واضطراب بين هذه «الجماعات المعذبة» اضطرت إزاءه الحكومة التشيكية إلى إعلان الأحكام العرفية في اليوم التالي مباشرة، كما أعلن نيفل تشمبرلين رئيس الوزارة البريطانية عزمه على الطيران إلى برشنسجادن لمقابلة الفوهرر والتحدث إليه في الأمر، ولكن الفوهرر أصر على ضرورة الإسراع بضم ألماني السوديت إلى الرايخ الثالث، حتى

ولو أدى هذا إلى نشوب حرب عالمية.

اجتمع المسئولون في إنكلترا وفرنسا للتشاور في الأمر، وأجمعوا فيما بينهم على إصدار نصيحتهم إلى الرئيس بينش –ولم يكن قد سمع له رأى بعد– بضرورة تسليم جميع المناطق التي يغلب فيها ألماني السوديت إلى الريخ، واضطرت تشيكوسلوفاكيا أن ترضخ لهذا القرار، على أن تتعهد كل من إنكلترا وفرنسا بالمحافظة على استقلال ما تبقى من هذه الجمهورية، وألا تحتل الجنود الألمانية الجزء المتنازل عنه قبل أن يتم تحديد التخوم بين الدولتين.

طار تشمبرلن قاصدًا ألمانيا للمرة الثانية، والتقى بالفوهرر في مدينة جودسبرج «Godesberg» وأعلن له تنازل تشيكوسلوفاكيا عن المناطق ذات الأكثرية الألمانية وما اشترطته لهذا التنازل. وما إن سمع هتلر هذا حتى قال عبارته المشئومة «إني آسف حقًا. ولكن هذه حال لا يمكن أن تستمر على هذا الوضع « Es tut mir furchtbar leid aber des geht nicht mehr». وأصر على ضرورة احتلاله للمناطق المتنازل عنها من غير إبطاء، وعلى ضم جميع الولايات المختلفة اللغة أو التي هناك شك في لغتها، لا بل أنه ذهب في خطبته التي ألقاها في برلين في السادس والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٨ إلى أبعد من ذلك إذ قال:

«وعليه –بنبش– أن يسلم إلينا في اليوم الأول من شهر أكتوبر هذه البقعة– لقد أكدت له في السابق، وهأنذا أكرر له هذا التأكيد، أنه إذا ما

تمت تسوية هذه المشكلة فسوف لا تتبقى لألمانيا أية مشكلات إقليمية أخرى في القارة الأوربية. إننا لا نريد أن نضم شخصًا واحدًا من التشيك إلينا».

ورفضت براغ الرضوخ لإنذار جودسبرج، فتحرج الموقف السياسي وعبأت بريطانيا أساطيلها وفرنسا جيوشها وأعلنت الروسيا عن عزمها على تقديم المساعدات التي يتطلبها الموقف، وأصبحت الحرب ولا مناص منها، لو لم يقبل هتلر، بناء على وساطة موسوليني، أن يؤجل التعبئة الألمانية أربعة وعشرين ساعة، ويدعو كلا من دلادييه وتشمبرلين للاجتماع به وبموسوليني في مدينة ميونخ.

وقد تمخض هذا الاجتماع عن اتفاقية ميونخ في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣٨، تلك الاتفاقية التي قطعت فيها أوصال تشيكوسلوفاكيا حسبما أراد صاحب إنذار جودسبرج. فعينت مناطق أربع تقرر أن تحتلها الجنود الألمانية على أربع دفعات بدلًا من دفعة واحدة، ومنطقة خامسة يترك مصيرها معلقًا نتيجة الاستفتاء الذي تقرر أن يجري فيها، وبهذا استولى النازيون على كل ما يبغون الاستيلاء عليه بما فيه من استحكامات وصناعات كبرى. وامتد زحفهم حتى وصلوا إلى أربعين ميلًا من براغ عاصمة البلاد التشيكية وأصبح الرايخ الثالث بعد ذلك يضم ٨٠٠,٠٠٠ من الأقليات التشيكية.

وما إن انقض النمر الألماني على فريسته حتى ظهر الضبع وابن آوى في أعقابه يبحثان عن نصيبهما من الفريسة، فوضعت بولاندا يدها

على منطقة تسنتشن «Teschen» واستولت المجر على مدينة برانسلافا والأراضي المحيطة بها.

وليس هناك أدنى شك في أن هتلر أحرز فوزًا عظيمًا في تشيكوسلوفاكيا مما أظهره خمن مهارة فائقة في المناورات السياسية التي قام بها مستغلًا في ذلك إحجام كل من فرنسا وإنكلترا عن المخاطر بحرب عالمية، وما قدمته له إيطاليا من مساعدة ومعونة وأخيرًا بالموقع الجغرافي في لألمانيا الكبرى. ولم يغب عن الدول المطلة على سواحل الأطلنطي أن اتفاقية ميونخ إن هي إلا هدنة مؤقتة وأنها أبعد ما تكون عن صلح له صفة الدوام والاستمرار.

قامت فيما تختلف من تشكوسلوفاكيا دويلة شبه فاشتية خاضعة في كل شيء لنفوذ الرايخ الثالث، وأصبح الحلف الفرنسي والحلف الروسي والحلف الصغير وكأنها كلها لم تكن، لا بل إن إيطاليا نفسها اضطرت بعد ميونخ، أن تنزوي قليلًا في القارة الأوربية وأن توجه جل نشاطها إلى المجال الإفريقي وإلى سواحل البحر المتوسط حيث كانت تأمل تحقيق بعض الأطماع الإقليمية التي لها هناك. وفي الثلاثين من شهر نوفمبر انتخب الدكتور «إميل هاشا Emil Hacha» رئيسًا لجمهورية تشيكوسلوفاكيا بدلًا من الدكتور بنيش الذي آثر الاستقالة، وطلبت ألمانيا منحها ممرًا عسكريًا عبر هذه البلاد لأنها أصبحت المهيمنة على شئون روثينيا وسلوفاكيا، وحدث من بعد ذلك أن احتدم النزاع بين الدكتور هاشا والدكتور تسو «D. Tiss»، ورئيس وزراء سلوفاكيا مما لم

ير معه «هاشا» بدًا من عزله. ولكنه ما كاد يفعل هذا حتى أمره الفوهرر بالحضور لمقابلته في برلين، وقبل أن يصل رئيس التشيك إلى العاصمة الألمانية، كانت الجيوش النازية في طريقها صوب الجنوب، وما إن وقع الرئيس هاشا صك التنازل عن استقلال بلاده حتى دخلت الجنود الألمانية مدينة براغ وأصبحت كل من «بوهيميا» «ومورافيا» محميتين ألمانيتين، أما سلوفاكيا فنودى بها دولة مستقلة. كما تقرر ضم «روثينيا» إلى المجر. ومن ناحية أخرى من القارة، انتزعت «ممل» من لتواتيا، ورأت إيطاليا الفرصة سانحة فدخلت جيوشها ألبانيا في شهر أبريل من السنة التالية وأعلنت ضمها إليها.

ويعتبر دخول الجيوش الألمانية مدينة براغ في الخامس عشر من شهر سبتمبر نقطة التحول في التوسع الألماني. لا بل وفي السياسة الخارجية للدول الأوربية جملة. ويرى «نيفل هندرسون»، سفير بريطانيا في برلين إذ ذاك، أن ألمانيا بعملها هذا ارتكبت «خطأ جسيما جدًا». أما المستر تشمبرلين رئيس الوزارة البريطانية فيتساءل في إحدى خطبه بمدينة برمنجهام قائلا:

«هل لنا يا ترى أن نعتبر هذا كله نهاية لمحاولة قديمة أم هو بداية لأخرى جديدة؟ وهل لنا أن ننظر إليه على أنه آخر هجوم يمكن أن تتعرض له إحدى الدول الصغيرة، أم أنه هجوم سوف يتلوه ثان وثالث وهكذا؟ أم أن هذا في الواقع خطوة أولى في سبيل التسلط على العالم كله بالقوة والقهر؟».

كذلك أشارت جريدة نيويورك تيمس إلى هذا الحادث في إحدى افتتاحياتها إشارة لها قيمتها ومغزاها، وكان مما قالته:

«لقد دخل هتلر مدينة براغ دخول الفاتح لبلاد أجنبية، وسمع العالم أصوات المدافع وهي تدوي في شوارع هذه المدينة التي تخلى عنها الجميع، وكأنها تقول لهم: «إن ألمانيا تزحف صوب الشرق».. أجل لقد عرف العالم كله، عندما سمع هذا الدوي، قيمة الوعود النازية، ولمس الأهداف الحقيقية التي يصبو إليها الرايخ الثالث».

وقد جاء في المرسوم الذي أصدره الفوهرر إلى بلاد بوهيميا ومورافيا معلنًا الحماية عليهما التصريح الآتي:

«لقد مضى على بوهيميا ومورافيا ألف سنة وهما يكونان جزءًا من المجال الحيوي للشعب الألماني، ولما كانت ألمانيا بحكم ظروفها الجغرافية والتاريخية، وبحكم شدة ارتباطها بهاتين الولايتين، قد قرر لها إن عاجلا أو آجلا، أن تتأثر بالنتائج الخطيرة المترتبة على مجرى الحوادث فيهما، فإن الرايخ –يدفعه في ذلك قانون المحافظة على كيانه وبقائه– مصمم كل التصميم على التدخل مرة أخرى لوضع الأسس اللازمة لإقامة نظام مقبول تسير عليه الأمور في أوربا الوسطى، وسوف تذاع المراسيم المنظمة لذلك».

كذلك يعتبر احتلال الألمانيين لمدينة براغ نقطة تحول ملحوظ في فلسفة الفكر الألماني، فبعد أن كانوا يعملون على تكوين رايخ واحد

يضم شتات الألمانيين، أصبحوا وهم ينادون بفكرة المجال الحيوي الألماني. والمجال الحيوي في نظر النازيين معناه توسيع رقعة الوحدة الألمانية، بعد إدخال جميع الألمانيين في حظيرتها، بحيث تتفق إلى درجة كبيرة مع فكرة أوربا الوسطى «Mittel Europa» التي كانت قائمة قبل الحرب العالمية الأولى، والتي تشمل الجزء من خريطة أوربا الذي ينزل فيه الداعون إلى مبدأ القومية الألمانية. وهذا يطابق تمامًا ما قرره فردريخ نيومان «Friedrick Nawmann» في مؤلفه الشهير –أوربا الوسطى– المنشور في سنة ١٩١٥. فقد ذكر فيه أن عصر الدول الصغرى قد زال وألا سبيل في البقاء لغير الوحدات الكبرى، ولهذا فهو ينصح أن تظل ألمانيا على اتحادها العسكري مع النمسا. ويرى في الوقت نفسه أن تضيف إليه بلاد البلقان، وأن تعقد تحالفًا دائمًا مع تركيا. غير أن الدولتين الثنائيتين –النمسا والمجر– كانتا إذ ذاك أقل تحمسا في ألمانيا لفكرة أوربا الوسطى، وذلك بسبب المعارضة الشديدة التي أثارتها الشعوب غير الألمانية لها. ومع كل، ففكرة «لتيومان» هذه لم تلبث أن طمرتها الأتربة المتخلفة من انهيار ألمانيا وحليفاتها في سنة ١٩١٨.

وإذا نحن عدنا إلى المجال الحيوي ومفهومه عند النازيين لوجدنا أن القائمين على شئون الدعاية الألمانية يرسمون له في أبريل سنة ١٩٤٠، أي قبل انهيار فرنسا، صورة خلابة تبين بكل جلاء ووضوح نواحيه الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية:

«فالمجال الحيوي من الناحية الاقتصادية هو تلك الوحدة الجغرافية التي لها من الاتساع في رقعتها والتنوع في تكوينها الاقتصادي ما يهيئ للنازلين فيها مستوى مقبولاً من الحياة. ولما كان تحقيق مثل هذا الاطمئنان الاقتصادي مرهونًا بقيام التعاون المنظم الذي لا غنى عنه لتحقيق الأهداف المشتركة لساكني هذه الوحدة، وجب أن تكون مساحتها بالقدر الذي يساعد القوميات المتعاونة مع بعضها البعض في سياسة اقتصادية واحدة، على الاستغناء به عن الدول المتحكمة في مصادر المواد الأولية.»

«والمجال الحيوي من الناحية الاستراتيجية هو رقعة من الأرض لها من اتساعها وبما فيها من مصادر الطاقة السريعة المنال، سواء ما يتصل منها بالغذاء أو بالمواد الأولية ما يهيئ لساكنيها وسائل الحماية ضد أي تسلط يمكن أن تعترضه عليهم أية وحدة بحرية متجانسة، وبمعنى آخر هو اتحاد تعاوني يستطيع المشتركون فيه الحصول على مطالبهم الحيوية من غير حاجة إلى المساومة مع أية قوة بحرية كبرى، وبذلك يستطيعون الوقوف مع الغير على قدم المساواة.»

«أما الناحية السياسية فهو إقليم يمكن أن تؤدى سياسة «حسن الجوار» فيه إلى قيام الثقة المتبادلة بين الدول التي ترتبط مع بعضها البعض برباط التعاون والتآخي، فيسود التفاهم بينها وتقدم كل منها إلى الأخرى شتى الضمانات على دوام صداقتها، كما تتعهد كل منها بعدم عقد الاتفاقات أو المعاهدات الضارة بمصالح الآخرين، وخاصة تلك

المحالفات التي تكون فيها هذه الدولة طرفًا ثانيًا مع دولة خارجة عن هذا التعاون أو تكون عدة لها على جاراتها. ذلك لأنه لا سبيل إلى قيام سلم دائم وتبادل حر للتجارة العالمية إلا بتنفيذ المناهج الإنشائية للتكتلات الإقليمية تنفيذًا تدريجيًا. والضمان الإقليمي هو الأساس الوحيد الذي يمكن أن تقوم عليه دعائم السلام العالمي والحرية الكاملة لدول العالم كلها.»(١)

وقد صرح أدولف هتلر في إحدى زياراته لمدينة روما، وكان ذلك في السابع من شهر مايو سنة ١٩٣٨، منوهًا بصلات الصداقة القائمة بين الدولتين فقال:

«وبهذا أمكننا أن نجمع في كتلة واحدة مالا يقل عن مائة وعشرين مليونًا من البشر، صحت عزيمتهم على الدفاع عن جميع حقوقهم الداخلية وعلى الذود عن أنفسهم أمام تلك القوى التي قد تحدثها نفسها بالوقوف في طريق رقيهم الطبيعي ... ولسوف تعمل تلك الحدود على تهيئة أسباب الهناءة المرجوة من وراء هذا التعاون الدائم بين الشعبين، وهو تعاون سلمي مأمون بسبب ما بين مجاليهما الحيويين من حدود، قد تكون فاصلة، ولكنها سوف تصبح قنطرة لإيصال كل ما يحتاجان إليه من عون ومساعدة.»

هذا ولم يخامر الفوهرر أدنى لبس فيما يقصده هو من المجال

---

(١) نقلا عن: «Lebensraum» Facts in Review German Library of Information II (April 15, 1940) P. 196.

الحيوي، فقد قال في ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٠:

«إننا معشر الألمان لا مطمع لنا إطلاقًا في التسلط على هذا العالم، وكل ما نرجوه هو أن تترك لنا الحرية الكاملة في مجالنا الحيوي، ذلك المجال الذي سوف لا نسمح لكائن من كان أن يتدخل فيه.»

والواقع أن الفكرة الأساسية التي يقوم عليها كل بحث في شأن المجال الحيوي هي ذلك الترابط بين فئة من الشكان ودرجة تزايدهم من ناحية وبين سعة الرقعة التي يعيشون فيها وقيمة أرضها من ناحية أخرى، وفي هذا يقول هتلر في إحدى خطبه بمدينة «وليامز هافن»:

«لقد ظلت إنكلترا هذه ثلاثمائة عام وهي تشير في أعمالها مجردة من كل مظهر من مظاهر الفضيلة، والآن وقد استكملت نضجها نراها تحدثنا عن الفضيلة، لقد استطاع الستة والأربعون مليونًا من الإنكليز، في الفترة التي عاشوا فيها مجردين من كل معنى من معاني العادلة، أن يخضعوا لسلطانهم ما يقرب من ربع مساحة العالم كله، على حين أن الثمانين مليونًا من الألمان قد كتب عليهم أن يعيشوا، من أجل فضيلتهم مكدسين، كل مائة وأربعين منهم، في كيلو متر مربع واحد.»

والمجال الحيوي في نظر هتلر ليس مجرد رقعة من الأرض تسمح لساكنيها أن يعيشوا عليها متمتعين بكامل الحرية في تبادل السلع وإنما هي منطقة شاملة يمارس الرايخ فيها كامل الحرية في كل ما يريد.

هذا ويتكون المجال الحيوي في رأي النازيين من مراحل ثلاث:

الأولى وهي ذلك الارتباط العضوي بين الإنسان وبيئته الطبيعية كتلك الرابطة التي تقوم بين فالح الأرض والتربة، ثم تلك القوة الكامنة التي توحد بين سلالة بشرية والأرض التي تعيش عليها كتلك التي تقوم بين الجنس الألماني والتربة الألمانية. وأخيرًا الوحدة الثقافية، وقد تتجاوز الحدود الاقتصادية للمجال الحيوي.

ويقوم المجال الحيوي في نظر النازيين على أسس ثلاثة: أولها الاعتقاد الراسخ بتفوق السلالة الألمانية على كل من عداها باعتبارها حاملة مشعل الحضارة الآرية، وثانيها قوة الجيش الألماني في عالم، الحق فيه للقوة، وثالثها ضيق رقعة الدولة الألمانية إذا ما قورنت بمساحة غيرها من الدول العظمى. والمجال الألماني في الواقع مجال مطاط جدًا ينكمش ويتسع حسب فنون القتال الحديثة، ولا غرو في هذا فالأيدولوجية النازية لها فلسفتها الخاصة التي تقوم على إفساح الطريق أمام كل ما هو واقعي ملموس من الناحية العسكرية، فتراهم مثلا في الكتب التي يقدمونها لأطفالهم يشيرون إلى أوربا الوسطى على أنها مجالهم الحيوي، ولكن هذه الفكرة أخذت تنمو وتتسع مؤخرًا حتى أصبح هذا المجال يشمل شرق وجنوب شرق وشمال شرق القارة الأوربية، أي أن بلاد أوكرانيا والبلقان وولايات بحر البلطيق أصبحت داخلة ضمن حدوده، لا بل سرعان ما أصبح الاندفاع إلى الشرق Drang nach Osten عاملا أساسيًا في الأيدولوجية النازية.

والواقع أن كل ما يتصل بفكرة المجال الحيوي عند الدول

المحورية لا يزال محوطًا بالشك والغموض. لمن هذا المجال؟ إن شعوب أوربا المقهورة تنظر إليه على أنه مجال موتها Todesraum. وفي هذا يقول «أشعيا بومان» الجغرافي الذائع الصيت:

«إن ما نسميه الحدود العضوية (البشرية) أمر لا يمكن التسليم به من الناحية الإقليمية، ولهذا كانت فلسفة المجال الحيوي فلسفة مطعونا فيها كتلك التي ترتكز على الأسانيد التاريخية أو الضرورات الحربية، وإن حدودًا ترسم بقصد تسوية المطالب القومية وإيجاد التوازن في المنافع الاقتصادية لكل دولة، لهي حدود عارضة مقضى عليها بالزوال السريع. إن قوة الأمم، كقوة الأفراد، تتكون، إلى درجة كبيرة، من أشياء غير ملموسة لا يمكن إخضاعها للمعايير الإحصائية».[1]

نجم عن احتلال «ألمانيا» لكل من «بوهيميا» و«مورافيا» أن اتحدت الدول التي كانت تشعر بالخوف من الغزو الألماني في «جبهة سلمية» واحدة. كذلك قطعت كل من «فرنسا» و«إنكلترا» عهدًا بتقديم المساعدة المتبادلة لكل من «بولندا» و«تركيا» مع ضمان المساعدة الفردية «لليونان» و«رومانيا». وكانت علاقة «ألمانيا» «ببولندا» في هذه الأثناء تسير من سيء إلى أسوأ، ذلك لأن «الفوهرر» عمد إثر احتلاله لمدينة «براغ» إلى المطالبة بإرجاع مدينة «دانزج»، وإلى السماح «لألمانيا» بإنشاء خطوط مواصلات منتظمة عبر الدهليز البولندي، لربط «ألمانيا» ببروسيا الشرقية، وكانت هناك مشكلة أخرى هي مشكلة

---

(1) Isaiah Bowman: The New World (New York 1928) P. 226.

الألمان النازلين في «بولاندا» وعددهم الحقيقي حوالي المليون موزعين في الولايات المختلفة وخاصة في «يوزن Posen»، و«بومرز Pomorze»، و«سيليزيا Silesis». ولكن الألمان ادعوا أنهم يبلغون ١,٧٠٠,٠٠٠ على حين قرر البولنديون أنهم ٨٠٠,٠٠٠ فقط. أما «دانزج» وغالبية سكانها من الألمان فكانت قد سلخت من «الرايخ» وأعطيت «لبولاند» لتكون منفذًا بحريًا لها إلى بحر البلطيق.

أعلن «هتلر» في الثامن والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٣٩، إلغاء معاهدة عدم الاعتداء التي كانت بينه وبين «بولاندا»، كما أعلن أيضًا إلغاء المعاهدة البحرية الإنكليزية الألمانية. وفي الثامن والعشرين من شهر مايو من نفس السنة أبرمت في «برلين»، بين «إيطاليا» و«ألمانيا»، معاهدة هجومية دفاعية الغرض منها إعادة بناء الحضارة الأوربية على أسس من «العدالة» وإيجاد «المجال الحيوي» لكل من الحليفتين. وفي الثالث والعشرين من أغسطس أبرمت «ألمانيا» مع «الروسيا» معاهدة عدم الاعتداء، وفيها يتعهد الطرفان المتعاقدان بالامتناع عن القيام بأي عمل عدواني نحو بعضهما وبالتشاور في كل ما يمس مصالحهما المشتركة والعمل على حسم كل نزاع قد ينشأ بينهما بالطرق السلمية.

وكانت المفاوضات الدائرة بين «بريطانيا» و«ألمانيا» بشأن «بولندا» قد قاربت النهاية، ولكن الدلائل كانت تشير كلها إلى أن «هتلر» قد وطد العزم على تحقيق أهدافه في «بولاندا» مهما كانت

الظروف، وحتى لو أدى به الأمر إلى الدخول في حرب عالمية. وفعلا حاول أن يحمل إنكلترا على إقناع بولاندا بقبول ميونخ أخرى؛ وذلك بأن ترسل (بولاندا) مندوبًا عنها إلى برلين لعقد اتفاق مع ألمانيا، وكان «ريبنتروب» قد أكد لهتلر أن إنكلترا سوف لا تحارب مهما كانت الظروف.

وفي الثلاثين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٩ رأينا «ريبنتروب» وزير الخارجية الألمانية يذهب إلى السير «نيفيل هندرسون»، السفير البريطاني، ويقرأ عليه بسرعة فائقة مذكرة باللغة الألمانية تحتوي على ست عشرة نقطة ثم يرفض في نهايتها أن يسلمه نسخة منها بحجة أن الموعد المقرر قد انقضى، وأن الليل قد انتصف ولم يحضر المفاوض البولندي إلى برلين بعد. وأعقبت ألمانيا هذا بأن أذاعت في اليوم التالي -٣١ أغسطس- نص المذكرة ذات الست عشرة نقطة والتي لم يكن لبولاندا علم بها. إن المذكرة في حد ذاتها كانت كريمة في بعض شروطها، فهي وإن كانت قد طلبت إلى بولاندا تسليم ميناء دانزج، فقد سمحت لها بالاحتفاظ بميناء «جدينا Gydnia، واقترحت عمل استفتاء في الممر البولندي على أن تمنح الدولة التي يأتي الاستفتاء في غير مصلحتها جميع التسهيلات التي قد تحتاج إليها مواصلاتها عبر هذا الممر، غير أن الظروف التي أحاطت بعرض ونشر هذه المذكرة تحمل كلها على الشك في إخلاص ألمانيا وحسن نواياها، ذلك لأنه ما كادت دقات الساعة الخامسة من يوم أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ تنتهي، حتى كانت الجيوش الألمانية قد تحركت زاحفة على بولاندا، كما سارعت كل

من إنكلترا وفرنسا في اليوم الثالث منه بإعلان الحرب على ألمانيا.

وكانت بولاندا عند رسم سياستها الخارجية قد عمدت إلى تحقيق هدفين: أولهما المحافظة على إقامة «التوازن»، وذلك بالوقوف سدًا حائلاً بين كل من ألمانيا والروسيا، وثانيهما الحصول على العون الخارجي إذا ما قامت إحدى هاتين الدولتين بمهاجمتها، ولم يغب عنها في أي وقت من الأوقات أن حربًا تنشب بين هاتين الدولتين، أو حلفًا يعقدانه، سوف استقلالها للضياع. وقد حدث ما توقعته، ففي أقل من ثلاثة أسابيع كانت قاذفات القنابل الألمانية قد مهدت الطريق لغزو البلاد غزوًا كاملاً. وكانت الجيوش الروسية قد بدأت تجتاح المناطق الشرقية منذ السابع عشر من شهر سبتمبر. وقبل أن ينتهي هذا الشهر، وفي الثامن والعشرين منه على وجه التحديد، أبرمت المعاهدة الألمانية الروسية التي عين بموجبها الحد الفاصل بين أملاك هاتين الدولتين في الأراضي البولندية، فأصبحت ألمانيا مالكة للقسم الغربي –وغالبية سكانه من البولنديين– على حين أن القسم الشرقي الذي ضمته الروسيا إلى أملاكها كان سواد السكان فيه من الروس البيض والأوكرانيين، وبلغت جملة من ضمتهم ألمانيا إليها ٢١ مليونًا من النفوس، ومن ضمتهم الروسيا ١٤ مليونًا، عدا نصف مليون كان ينزل في المنطقة الواقعة حول مدينة «فلنا» التي استولت عليها «لتوانيا».

هذا ولقد وجدت كل من الروسيا وألمانيا في هذا التقسيم الرابع لبولاندا الفرصة المناسبة لتحقيق سياستهما التقليدية إزاء البولنديين، وهي سياسة

«الضم فالتسلط» من جانب روسيا، وسياسة «التسلط فالإبادة» من جانب ألمانيا، إذ أن هذه الأخيرة ما كادت تتولى على الأراضي البولندية حتى قسمتها قسمين: القسم الغربي وهو الذي كان تابعًا لها قبل الحرب العالمية الأولى، وقد أعادته مع مدينة دانزج الحرة إلى حظيرة الرايخ، ثم القسم الشرقي وقد نظمت له إدارة خاصة أطلق عليها اسم «حكومة بولندا العامة» وأعطيت رئاستها للدكتور «هانز فرانك» Dr. Hans Frank.

انتهت الحرب الخاطفة Blitzrieg في بولاندا وأعقبتها في الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٣٩ فترة الحرب الساكنة Sitzkrieg التي استمرت من هذا التاريخ حتى ٩ أبريل سنة ١٩٤٠، وكانت إنكلترا وفرنسا خلال هذه الفترة مطمئنتين إلى منعه خط «ماجينو»، وإلى الحصار البحري الذي ضربتاه على الرايخ وزادهما اطمئنانًا تلويح هتلر في السادس من شهر أكتوبر بالصلح أمام الريشستاغ كما نراه في الثامن من شهر نوفمبر وهو ينجو بأعجوبة من الانفجار الذي حدث في أحد مشارب البيرة بمدينة ميونخ.واحتلت الروسيا المركز الرئيسي في مسرح الحوادث الأوربية في الفترة من ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٩ حتى ١٢ مارس سنة ١٩٤٠ بسبب حربها مع فلندا. وكان أثر سياسة الضم والتسلط التي سارت عليها الروسيا في بولندا، وما قامت به من ضم ولايات البلطيق وحربها مع فنلدا، أن بدأ الناس يتحدثون عن «الاستعمار السوفيتي».

وفي التاسع من شهر أبريل سنة ١٩٤٠، أنهت ألمانيا هذه الحرب

الساكنة نهاية فجائية، فقد بدأت تتطلع إلى ما في مناجم شمال السويد من حديد خام ممتاز، كان الرايخ في مسيس الحاجة إليه، كما أراد الفوهرز في الوقت نفسه أن يحكم الدائرة على أحد جناحي إنكلترا باحتلاله لشبه جزيرة اسكندناوة، التي إلى جانب ما فيها من مناجم للحديد الخام سوف تحدث بعد احتلاله لها ثغرة في نطاق الحصار الذي ينوى الحلفاء ضربه الرايخ. وكان الحلفاء في الوقت نفسه يعدون عدتهم لإحكام هذا الحصار، وفعلاً بدأت إنكلترا منذ شهر أبريل تثبت الألغام في عدة مواقع على طول الساحل النرويجي لتحول دون كل اتصال بحري بينها (النرويج) وبين ألمانيا. ولكن الحملة العسكرية التي أعدها النازيون لغزو البلاد الإسكندنافية كانت إذ ذاك في طريقها إليها، ففي الساعة الخامسة والربع من صباح ٩ أبريل سنة ١٩٤٠ دخلت الجيوش الألمانية بلاد الدانمرك غازية، واضطر الملك كرستيان –أمام هذه القوات الكاسحة– أن يسلم بلادهن وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر نفس اليوم، سقطت مدينة أوسلو عاصمة النرويج في أيديهم وفر الملك هاكون إلى همار Hamar، وإذ ذاك عبأت السويد جيوشها معلنة في الوقت نفسه عزمها على التزام سياسة الحياد، وسارعت القوات الإنكليزية على أثر هذا إلى احتلال جزائر فارو كما أعلنت كل من أيسلند وجرينلاند قطع كل صلة لهما بالدنمرك –وكانتا تابعتين لها– وأدلى «ونستن تشرشل» وزير البحرية البريطانية إذ ذاك بالتصريح الآتي «في اعتقادي أن هتلر بغزوه بلاد اسكندناوة ارتكب خطأ سياسيًا واستراتيجيًا لا يقل في جسامته هما ارتكبه نابليون في سنة ١٨٠٧

عندما غزا أسبانيا».

ولما كانت ألمانيا قد أنزلت قواتها في نارفيك NarvikK، وترندهيم Trondheim وبرجن Bergen، وستافنجر Stavanger، وكرستيان ساند Kristiansand فقد سارعت إنكلترا هي الأخرى بإنزال جنودها في نامسوس Namsos وأندالسنز ,Aandalsnes وعلى مقربة من «نارفك» نفسها. هذا المناطق الساحلية، أما في الداخل فقد استمرت القوة القادمة من أوسلو في زحفها شمالاً، والقوات المحتلة للموانئ الغربية في زحفها صوب الشرق حتى تلاقت القوتان في الثلاثين من شهر أبريل فاضطر الإنكليز في أول مايو إلى إخلاء كل من ,Aandalsnes Namsos، كما فر الملك هاكون إلى إنكلترا واستسلم الجيش النرويجي عن آخره، وأقام الماجور «كونبرلنج» من نفسه زعيمًا للنرويجيين ومتحدثًا باسمهم.

ويعزى فشل الحلفاء في الحملة النرويجية إلى عوامل عدة: منها التفوق الجوي للألمان، ونشاط الطابور الخامس، وإحجام الحلفاء عن المخاطرة بقواتهم البحرية في مضايق أسكاجواك وفيورد توروندهيم، وأخيرًا إلى الخطة الباهرة التي أعدها الألمان لهذه الحملة. وكانت تشمبرلن إذ ذاك تتأرجح، وعند طرح الثقة بها لم تحصل إلا على ٣١٨صوتًا على حين بلغ عدد الأصوات المعارضة لها ٢٠٠ صوت، ومن ثم أحذفت المحافل السياسية تردد اسم ونستن تشرشل على أنه شخصية ذات صفات تنفيذية وقوة كامنة هائلة.

وكان انتصار النازيين في اسكندناوة فاتحة لسلسلة متوالية من الانتصارات في مختلف الميادين: ففي العاشر من شهر مايو أذاع هتلر على جيوشه أمره اليومي التالي:

(لقد كان هدف الحكومتين الفرنسية والإنكليزية في الثلاثمائة سنة الأخيرة منع كل اتحاد وتماسك بين الوحدات التي تتكون منها القارة الأوربية مع الإبقاء –قبل كل شيء– على حالة الضعف والعقم التي وصلت إليها ألمانيا.. أجل لقد كان كل همها تمزيق أوصال ألمانيا وتحويلها إلى إمارات صغيرة، إذ في هذا وحده يكون القضاء على كل نفوذ سياسي للرايخ.. إن القتال الذي يبدأ اليوم سيقرر وحده أقدار الشعب الألماني في الألف سنة القادمة).

وفي فجر هذا اليوم بالذات دخلت جيوشه غازية في لكسمبرج والأراضي الواطئة وبلجيكا. ولم تبد لكسمبرج أدنى مقاومة واكتفت دوقتها «شارلوت» بالهرب إلى فرنسا. كذلك تمكنت جنود المظلات التي هبطت قبل مطلع الفجر في كل من هولندا وبلجيكا من احتلال جميع المطارات، وتقدمت الفرق المدرعة عبر الحدود تكتسح كل ما في طريقها. وفي الوقت نفسه كانت جماعات الطابور الخامس تعمل على نشر الرعب في نفوس الأهلين، وسارع Van Kleffens وزير خارجية هولاندا فأرسل إلى سفيري بلاده في كل من لندن وباريس بفض أختام التعليمات السرية التي كانا يحتفظان بها لمثل هذه الظروف الحرجة والتي أشير فيها إلى الغز الألماني بلفظة Schreckhchkeit ومعناها المفزع

المخيف وهي أدق ما كان ينعت به. لقد تأخر تسليم مدينة روتردام بعض الوقت ولكن ما أصابها من التدمير والتخريب يفوق كل وصف، فقد استمرت الطائرات تمطرها بقنابلها مدة ساعتين ونصف ساعة، تحول بعدها أكثر من ربع هذه المدينة العظيمة إلى خرائب وأتربة تركت من ورائها عشرين ألفًا من جثث أهليها لتلتهمهم النيران التي اندلعت فيما تبقى من مبانيها.. وقبل أن تغيب شمس ١٤ مايو أصدر الجنرال Winkelman قائد الجيوش الهولندية، أمره إلى جنوده بالتوقف عن القتال، وهربت الأسرة المالكة والوزارة إلى لندن، ومن هذه المدينة أذاعت الملكة بعد أيام قليلة على شعبها بيانًا تدعوهم فيه إلى الولاء لشعار بيت أورانج، وشعار هولندة، بل وشعار تلك الكتلة العظيمة من دول العالم التي امتشقت الحسام لتدافع عما هو أثمن من الحياة نفسها: ألا وهو سأظل محافظًا I Shall maintain (نص الشعار الهولندي).

وفي خلال هذه الأيام القليلة كانت الجيوش الألمانية تتقدم في الأراضي الفرنسية والبلجيكية مكتسحة كل ما يصادفها، فسقطت بروكسل في ١٧ مايو وأنفرس في اليوم التالي، ثم: ارآسن وأمين، واينيل، في الحادي والعشرين وانشطرت قوات الحلفاء شطرين، أحدهما شمال نهر السوم وهو الحملة البريطانية ومعها الجيش البلجيكي وبعض الفرق الفرنسية، والثاني جنوبه ويتكون من بقية جيش فرنسا. وقد اضطررت الوزارة البلجيكية إلى الفرار من البلاد فذهبت أولاً إلى دنكرك ومنها إلى لندن ثم عادت إلى باريس. وأصدر الملك ليوبولد –رغم معارضة الوزارة له– أمره إلى الجيش البلجيكي بالكف عن القتال والتسليم للعدو. وكان

ذلك يوم ٢٨ مايو، وانتهت معركة فلاندرز بانسحاب الإنكليز إلى ميناء دنكرك خلال الفترة من ٢٩ مايو إلى ٣ يونية.

أما في فرنسا فكانت الأحوال تزداد حرجًا من ساعة إلى التي تليها، ذلك لأن الألمان وجهوا إليها أضخم مصفحاتهم قادمة عبر «لكسمبرج» وجنوب بلجيكا وهضبة الأردن، فسقطت سيدان في ١٤ مايو وعين بيتان نائبًا لرئيس الوزارة في ١٨ منه؛ كما عين «فيجان Weygand» في اليوم التالي محل جاميلان قائدًا لجيوش فرنسا فأقام خطًا للدفاع، عرف باسمه في جنوبي نهر السوم. ثم بدأت معركة فرنسا في الخامس من شهر يونية، يدافع فيها أربعون فيلقًا فرنسيًا عن بلادهم ضد مائة فيلق ألماني. وكان طبيعيًا أن تنهار حصون فرنسا ومدنها الواحدة تلو الأخرى أما هذه القوات الهائلة فسقطت روان وسواسون وكمبين؛ وهربت الحكومة الفرنسية إلى تور ومنها بوردو؛ ثم استقر بها في المقام في فيشي. كذلك تمكن الألمان من اختراق خط ماجينو فيما جنوب مدينة ساريروكن جبال الفوج، وأخيرًا سقطت باريس في أيديهم في السادس عشر من شهر يونية، وفي نفس اليوم قررت الوزارة أن تتقدم إلى الألمان طالبة الصلح، وأن يتولى بيتان الرئاسة بدلاً من رينو. وفعلاً تقدمت الوزارة في المساء طالبة الهدنة، واجتمع هتلر وموسوليني من أجل ذلك في مدينة ميونخ في ١٨ يونية. وفي العشرين منه سلمت إلى فرنسا الشروط التي فرضتها ألمانيا لقبول الهدنة، وكان تسليمها في عربة الطعام الموجودة في كمبين وهي نفس العربة التي سلم فيها المارشال فوش الفرنسي شروط الحلفاء لعقد الهدنة مع ألمانيا المهزومة في سنة

١٩١٨. لا بل وعلى بعد خطوات قليلة من هذه العربة كانت تقوم لوحة تذكارية حفرت عليها العبارة الآتية:

«هنا وفي الحادي عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ قضى على ذلك الكبرياء الإجرامي الذي كان للرايخ الألماني وإمبراطورتيه، بعد أن هزمته الشعوب التي حاول استعبادها».

قصدت ألمانيا من وراء الشروط التي فرضتها لعقد الهدنة أن تحول بين فرنسا وبين استئناف القتال، وأن تهيئ للرايخ الضمانات الكافية لمتابعة الحرب ضد الإنكليز، وأخيرًا «وضع الأسس التي تمكنها من عقد صلح يرمي في الدرجة الأولى إلى تعويض ألمانيا عما لحقها من أضرار بسب تعنت الخلفاء معها في الحرب الأولى». وقبلت فرنسا هذه الشروط ووقعت الهدنة في ٢٢ يونية على أن يتوقف القتال بعد مضي ست ساعات من توقيع هدنتها مع إيطاليا، ولما كانت هذه لم توقع إلا في الربع والعشرين، فالسلم لم يعد إليها (أي فرنسا) والحالة هذه إلا في الخامس والعشرين من يونية ١٩٤٠.

حددت الهدنة الأراضي التي يحق لألمانيا احتلالها، كما نصت على تسليم جميع الأسلحة ومهمات القتال التي كانت لا تزال في حوزة فرنسا وعلى تسريح كل القوات المحاربة وتسليم جميع أسرى الحرب الألمانيين؛ وأخيرًا على أن تصدر فرنسا أمرها إلى جميع سفنها الحربية «بالالتجاء إلى الموانئ التي تحدد لها، وأن تظل هناك خاضعة للرقابة الألمانية والإيطالية بعد تجريدها من سلاحها وتعطيل آلاتها، وذلك

باستثناء الوحدات التي قد يسمح للحكومة الفرنسية باستخدامها في حماية مصالحها فيما وراء البحار». وتعهدت ألمانيا في مقابل هذا ألا تستخدم الأسطول الفرنسي في أغراضها الحربية وألا تستولي عليه عند إبرام الصلح.

أما الهدنة التي عقدتها مع إيطاليا، فقد نص فيها على إرجاع خط الحدود بين الدولتين بمقدار خمسين كيلو مترًا داخل رقعة فرنسا في أوربا وفي كل من تونس والجزائر في متاخمة ليبيا وعلى طول ساحل الصومال الفرنسي، وأن تتنازل فرنسا لإيطاليا عن سكة حديد جيبوتي– أديس بابا، وأن تزيل جميع التحصينات القائمة في موانئ طولون وبيزرته وأجاكسيو ووهران.

ويعلل الباحثون انهيار فرنسا بعدة أسباب: فهناك التفكك في داخل الحكومة الفرنسية نفسها مما بدا واضحًا في مناواة ديلادييه رئيس الوزارة لرينو (رئيس الجمهورية)، وقد ظهر هذا الانحلال عند التصويت على قبول الهدنة أو رفضها، فقد وافق على القبول ثلاثة عشر من بينهم بيتان، وأصر أحد عشر عضوًا بما فيهم رينو على الرفض. هذا إلى أن الطبقات التي يمثلها لافال كانت خائفة وجلة من الشيوعية أكثر من خوفها من الفاشستية. وثمة عامل ثالث، وهو ما أدخله قواد فرنسا في نفوس الشعب من منعة خط ماجينو الذي لم يلبث أن انهار حتى انهارت معه جميع الضمانات، وأخيرًا كانت هناك الدعاية التي ظلت ألمانيا تنشرها بين طبقات الشعب حتى كان لها في النهاية ما أرادت من خوار في

الأعصاب وبلبلة في الأفكار أو ما يسميه بعض الكتاب حرب الأعصاب، ويسميه الحربيون «إستراتيجية الهلع والفزع» Strategy of Terror. فما كادت تغير الطائرات الألمانية على مدن فرنسا حتى خرج سكانها هلعين يحاولون الفرار، وتكدست جموعهم في الطرق والمسالك فاعترضوا حرية تنقل الجنود ومهمات القتال، وإلى جانب هذه العوامل كلها كانت براعة الألمان في فنون القتال وأساليبه، فمن تجمعات هائلة للطائرات المغيرة؛ إلى إنزال جنود المظلات وراء خطوط القتال، ومن فيالق خاصة مجهزة بالمصفحات الضخمة إلى فرق للمشاة مزودة بالسيارات وكافة مهمات القتال الميكانيكية ومن وراء هذه كلها تنظيمات صناعية بلغت حد الكمال، وتنسيقات عسكرية دقيقة تقوم بها حكومة مركزية قوية في مدينة برلين.

انتهزتن إيطاليا فرصة الهزائم المتوالية التي منيت بها كل من إنكلترا وفرنسا فدخلت الحرب في ١٠ يونية سنة ١٩٤٠ إلى جانب ألمانيا، تبغي تحقيق ما طالما تاقت إليه تحقيقه من مصالح لها في تونس وفي قنال السويس والمضايق، وكان النواب الإيطاليون قد أظهروا، من قبل، في إحدى جلسات مجلسهم النيابي (٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٩) حماسًا شديدًا في المطالبة بتونس، وكورسيكا، ونيس، وسافوى، وذلك على مسمع من المسيو أندريه فرانسو بونسيه André François Poincet السفير الفرنسي الذي كان حاضرًا تلك الجلسة.

ومع أن إيطاليا أبرمت اتفاقها مع ألمانيا في الثاني والعشرين من

شهر مايو سنة ١٩٣٩، فقد ظل مسلكها في الفترة التي سبقت دخولها الحرب محاطًا بالشيء الكثير من الغموض، وإن كان مما لا شك فيه أن روما وبرلين استفادتا كثيرًا في الفترة التي تخلفت فيها إيطاليا عن دخول الحرب. ولقد نشب إذ ذاك خلاف بين إنكلترا وإيطاليا بسبب ما قامت به الأولى من حجز ثلاث عشرة سفينة إيطالية كانت تحمل ١٠٠,٠٠٠ طن من الفحم في طريقها إلى ألمانيا، ومع أن هذا الخلاف سوى في حينه فإن إيطاليا لم تستطع إخفاء ميولها طويلاً، ففي شهر أبريل قوبلت أخبار الانتصارات الألمانية في شبه جزيرة إسكندوناة بفرح عظيم في مدينة روما. ورأت إنكلترا قبل نهاية هذا الشهر أن تغير طريق سير أكبر عدد من سفنها التي اعتادت الملاحة في البحر الأبيض المتوسط متخذة لها مسالك أخرى ولقد بذل الرئيس روزفلت نفسه مسعاه في إقناع الدوتشي بعدم دخول الحرب، ولوحت له كل من إنكلترا وفرنسا ببعض العروض على سبيل الرشوة، ولكنه، وقد رأى أن هزيمة الحلفاء أصبحت محققة، أصر على النزول إلى حلبة النزاع.

اتجهت أنظار العالم كله حينذاك إلى إنكلترا، وفي الثامن عشر من شهر يونية وجه تشرشل نداءه إلى جميع شعوب الإمبراطورية، وفيه يقول:

«إن المعركة التي سماها الجنرال فيجان معركة فرنسا قد انتهت، وعما قريب تبدأ معركة بريطانيا، وهي المعركة التي تتوقف عليها حياتنا نحن البريطانيين إذا كان من الممكن الاحتفاظ بأنظمتنا وإمبراطوريتنا طويلاً. إن العدو سوف يوجه إلينا كل ما أوتي من قوة وسوف يمطرنا

بجام غضبه، وليس أمامنا الآن إلا أن نعد أنفسنا لأداء واجبنا بكل ما أوتينا من شجاعة وأن نظهر بالمظهر الجديد بنا، حتى إذا ما قدر لمجموعة الأمم البريطانية وإمبراطوريتها أن تظل قائمة ألف سنة أخرى فسوف يذكر أبناؤها هذه الساعة على أنها أعظم ساعة في سجل تاريخهم.»

وكان للإنكليز عندما بدأت معركة بريطانيا أكبر أسطول بحري في العالم كله، وكان هذا الأسطول قد هزم الأسطول الألماني في بحر الشمال كما ضيق الخناق على الطراد «جراف سبا» حتى اضطره إلى إغراق نفسه في مياه مونت فيديو، كذلك أمكنه إضعاف الأسطول الفرنسي بما أسره أو انضم إليه من وحداته وخاصة ما كان منها في ميناء وهران، وكان قد أنزل بعض الضربات القاصمة بالأسطول الإيطالي في خليج تورنتو وفي القسم الشرقي من البحر المتوسط. هذا ولم تنج البحرية البريطانية من بعض الخسائر فقد خسرت حاملة الطائرات Courageous في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٩ن والمدرعة رويال أوك Royal Oak في ١٤ أكتوبر من نفس السنة؛ ومع ذلك ظلت فرق بريطانيا البحرية سليمة وزادها قوة تنازل الولايات المتحدة لها عن خمسين مدمرة في مقابل القواعد التي كانت للإنكليز في المياه الأمريكية، كما استفاد أسطولها التجاري بما انضم إليه من سفن النرويج وهولندا وبلجيكا. والواقع أن البحرية الإنكليزية أمكنها حتى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٠ أن توازن خسائرها بما حصلت عليه من وحدات عن طريق الشراء أو الاستيلاء أو البناء.

بدأ هتلر هجومه على بريطانيا بما وجهه إليها من غارات جوية عنيفة، كان أولها في التاسع والعشرين من شهر يوليه، ثم تعاقبت هذه الغارات حتى كان السابع من شهر سبتمبر فأخذ يغير على لندن من غير تفرقة بين الأهداف العسكرية وغير العسكرية، وما إن وافى شهر نوفمبر حتى بلغ الضحايا من المدنيين وحدهم ١٥,٠٠٠ قتيل، ٢٠,٠٠٠ جريح أكثرهم من مدينة لندن وما جاورها، ورغم هذا كله عجز النازيون عن إضعاف روح المقاومة الإنكليزية. والراجح أن فشل الألمان في غزو إنكلترا بعد انهيار فرنسا مباشرة كان السبب في هزيمتهم في هذه الحرب.

وعلى حين كانت معركة بريطانيا في الميدان الغربي الشغل الشاغل لقوات ألمانيا البحرية والجوية، كان الاندفاع نحو الشرق Drang nach Osten أهم ما يوجه إليه ساسة الألمان واقتصاديوهم نشاطهم في الميدان الشرقي. والباحث في السياسة الألمانية لا يستطيع أن يعين على وجه التحديد المدى الإقليمي للمجال الحيوي كما تصوره النازيون ولا النقطة التي ينتهي عندها اندفاعهم صوب الشرق، لأن هذه الأفكار ظلت مطاطة تنبسط حينًا وتنكمش أخرى وفقًا للظروف السياسية والعسكرية التي تكون قائمة عند التحدث عنها. فإذا نحن أخذنا المجال الحيوي نجد أن الفكرة التي يدور حولها كانت ترتكز في بادئ الأمر حول احتلال مدينة «براغ» على اعتبار أنها الإسفين الأول في أوربا الوسطى. أما سياسة الاندفاع صوب الشرق فكانت ترمى في جميع أشكالها إلى التوسع الإقليمي في هذا الاتجاه، سواء أكانت مدينة «بغداد» –كما

كانت سياسة القيصر– هب الهدف، أم مدينة «كييف» –كما كان الحال أيام الفوهرر– والراجح أن النازيين في سنة ١٩٤٢ كانوا يودون لو أن «كييف وبغداد» أصبحتا نقطتي الارتكاز في هذه السياسة الشرقية، وهذا يطابق –إلى حد ما– التقرير الذي أرسله كولاندر Coulandre السفير الفرنسي في برلين إلى حكومته في ١٥ سبتمبر ١٩٣٨؛ ففيه يقول:

«يبدو لي أن الفكرة التي أجمع عليها زعماء النازي، وعلى رأسهم من غير شك «هتلر» نفسه، هي بسط سيادة ألمانيا على أوربا الوسطى وذلك عن طريق إخضاع كل من تشيكوسلوفا كيا والمجر وجعلهما تابعتين لها، ثم خلق «أوكرانيا» كبرى تحت الرقابة الألمانية.»

وفكرة الاندفاع النازي نحو الشرق Drang nach Osten ليست من النظريات المستحدثة وإن كانوا في تنفيذهم لها قد اتبعوا قواعد منظمة لاهوادة فيها. ففي عهد القيصر ولهلم الثاني كان هذا الاندفاع معناه خط حديد «برلين–بغداد» (شكل ١٠) ذلك الخط الذي بدأ على أنه مشروع اقتصادي بحت تموله جماعة من الرأسماليين، ولكن سرعان ما ألبسته الدول العظمى صبغة دولية ورتبت عليه من النتائج السياسية ما كان لها بعض الأثر في تهيئة جو القارة الأوربية لقيام الحرب العالمية الأولى. أجل لقد حاول «جورج فون سيمنس» مدير البنك الألماني جاهدًا ألا يثير عداء الدول الكبرى لمشروعه، بل إنه كان يأمل في الحصول على معاونة بريطانيا له، ولكن الإقبال العظيم الذي أظهره

أصحاب رءوس الأموال الألمانيون على هذا المشروع أثار شيئًا من القلق لدى بعض الدول العظمى فكشفت عن رغبتها واهتمامها بالمحافظة على سلامة الدولة العثمانية وكانت سياسة «بسمارك» في ذلك الحين قائمة على مناصرة كل مشروع ألماني في تركيا يكون قد تبناه وأيده القيصر ولهلم الثاني تأييدًا فعليًا، ومن ثم أصبحت قلوب الألمانيين والنمساويين مفعمة بصيحة واحدة محببة إليهم جميعًا وهي Unser Baghdad ومعناها «إلى بغداد».

ومع أن الدول العظمى استطاعت فيما قبيل الحرب العالمية الأولى أن تسوي ما قام بينهما من خلاف في هذا الشأن، فقد ظل موضوع هذا الخلط حلقة الاتصال بين الرايخ الأول والإمبراطورية العثمانية، ذلك الاتصال الذي انتهى بانهيار تلك الإمبراطورية.

والآن هاجم جماعة النازي يرددون نفس الصيحة في سياسة الاندفاع نحو الشرق، تلك السياسة التي أصبحت جزءًا من العقلية الألمانية وكأنها قوانين الجاذبية لا تقبل تعديلاً ولا تحويرًا. وكانت الخطوة الأولى التي خطوها في هذا السبيل هي التغلغل الاقتصادي في شبه جزيرة البلقان، ثم أتبعوها بخطوة ثانية وهي سياسة «فرق تسحد» منتهزين فرصة النزاعين السياسي والإقليمي اللذين انتشرا هناك خلال تلك الفترة واللذين انتهيا إلى ضم هذه الدول ضمًا فعليًا، إما عن طريق الاحتلال السلمي كما كان الحال في المجر ورومانيا وبلغاريا، وإما عن طريق الغزو العسكري كما حدث في كل من يوغوسلافيا وبلاد اليونان.

ولم يكن في منتصف سنة ١٩٤١ من بين هذه البقعة ما هو خارج عن الفلك الألماني سوى تركيا، ولتركيا في نظر القائد هوسهوفر قيمتها الإستراتيجية الفذة لأنها تتحكم في كل من أوربا وإفريقية وآسيا؛ وكل ضربة توجه إلى إنكلترا في شخص تركيا هي في الواقع ضربة موجهة إليها في العراق ومصر وبلاد الهند. ولم يفت الأتراك خطورة مركزهم هذا، يوم أعلنوا في سنة ١٩٤٣ أنهم حلفاء لبريطانيا، ولكنهم حلفاء غير محاربين.

والبلقان بلاد تقرب في مساحتها من ولاية تكساس الأمريكية؛ يعيش فيها ستون مليونًا من النفوس يدينون بست ديانات وينتمون إلى خمس عشرة سلالة بشرية وقومية، وتضم البلاد داخل حدودها سبع وحدات سياسية: رومانيا، وبلغاريا، ويوغوسلافيا، وألبانيا، واليونان، والقسم الأوربي من تركيا، ثم المجر. والمجر وإن كانت جغرافيًا خارج حدود البلقان، إلا أن الأقدار السياسة رمتها في أحضانها فاعتبرت جزءًا منها. وهذا وتحول دون اتحاد هذه البلاد عقبات كثيرة منها: مشكلة الحدود السياسة، والأقليات ذات الأعداد الكبيرة، والقومية الاقتصادية، وتشبع الدول الناشئة بالآراء السياسية، ثم الدور السياسي الذي تقوم به الدول الكبرى في هذا الإقليم... فالصناعة الألمانية مثلاً تنظر دائمًا إلى هذه البلاد على أنها جزء من مجالها الحيوي.

والبلقان من حيث توجيهها الاقتصادي، بلاد زراعية. وغالبية سكانها يحترفون هذه المهنة؛ وقليلون جدًا منهم هم الذين يشتغلون بالصناعة

فيما خارج بلاد المجر. والبلاد في جملتها غنية بمواردها الاقتصادية: ففيها الحبوب وتوجد في يوغوسلافيا وبلغاريا ورومانيا والمجر، وهناك الأخشاب النامية على سفوح جبال الكربات والبلقان، ثم الخنازير والماشية والأغنام في مراعى رومانيا ويوغوسلافيا والمجر. وذلك بالإضافة إلى مقادير قليلة من النحاس والرصاص والزنك والأنثومتي (التوتيا) والنيكل في كل من بلغاريا واليونان ويوغوسلافيا. وبالمجر مستودعات كبيرة لمعدن البوكسيت (لصناعة الألومنيوم) وهناك بترول رومانيا. وهذه كلها من المواد التي تسيل لعاب النازيين وتدفعهم إلى الحصول عليها في مقابل ما يمكن أن يصدروه إلى تلك الأقطار من عدد وآلات وقاطرات وسيارات وطائرات وأجهزة كهربائية ومواد كيماوية ومنسوجات. ومن ثم كان الترابط الاقتصادي الحقيقي بين الرايخ وجنوب شرق أوربا. ولكن هذا القسم من القارة الأوربية بما فيه آسيا الصغرى لا يستطيع، كما كان يقول الدكتور فنك «Dr. Funk»، أن يمد ألمانيا بكل ما تحتاج إليه.

نشطت حركة التجارة النازية مع بلاد البلقان وزاد حجمها زيادة كبيرة، وقامت بينهما صلات تشبه إلى حد ما تلك التي تقوم بين الدول الكبرى ومستعمراتها فأصبحت البلقان تعتمد اعتمادًا يكاد يكون كليًا على ألمانيا. أما اعتماد ألمانيا على البلقان فلم يكن بهذا القدر: ففي سنة ١٩٣٨ استمدت كل من ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفا كيا ١٢,٣٪ من واردتها من جنوب شرقي أوربا، وبعثت بـ ١١,٧٪ من صادراتها إلى هذا الإقليم، أما البلقان فقد أرسلت ٤٦,٦٪ من

صادراتها إلى هذه الدول الثلاث واشترت منها ٤٥,٩٪ من وارداتها.

وكانت ألمانيا تصر في جميع الحالات على دفع ثمن ما تشتريه من البلقان في شكل بضائع عينية، وقد أمكنها بإتباع طريقة المقايضة في تصفية حساباتها مع تلك البلاد، أن تشتري هذه السلع بما يزيد في غالبية الأحيان بنسبة ٢٠-٦٠٪ من الأثمان المعروضة في الأسواق العالمية، وأصبحت ألمانيا مدينة مزمنة للبلقان؛ مما كان يضطر هذه البلاد أحيانًا إلى شراء سلع يتعذر على ألمانيا تصريفها في الأسواق الأخرى: منها آلات التصوير والأسبرين وأجهزة الراديو وشفرات الحلاقة وأدوات الزينة وبعض الآلات الموسيقية. وكان طبيعيًا أن يكون معظم اعتماد البلقان على ألمانيا، بعد قيام الحرب في سنة ١٩٣٩ وانهيار فرنسا واشتراك إيطاليا في القتال.

وثمة عاملان كان لهما أثرهما الفعال فيما قام به النازيون من تغلغل سياسي في بلاد البلقان: أولهما وجود أقليات ألمانية في مناطق متعددة، وثانيهما النزاع المستمر بين دول البلقان نفسها. وكانت المجر أولى البلاد التي وجه إليها النازيون نشاطهم وخاصة بعد إتمام الاتحاد النمساوي الألماني، ففي هذه الملكة التي بغير ملك، ينزل نصف مليون ألماني، على حين أن الحرب العالمية الأولى تركت أقليات مجرية خاضعة لكل من يوغوسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا، وكان الألمان قد استغلوا امتداد نفوذهم الاقتصادي في داخل البلقان فأدخلوا المجر في دائرة مجالهم الحيوي وأصبحت معتمدة عليهم كل الاعتماد، وأعلنت

انضمامها إلى الحلف الثلاثي المعقود في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٠، وإلى حلف مناهضة الشيوعية المعقود في ٢٥نوفمبر سنة ١٩٣٦، وكان نصيب المجر فيينا Vienna Award أن وافق الكونت تشيانو وزير خارجية إيطاليا وفون رينتروب وزير خارجة ألمانيا على اقتطاع جزء من ولاية ترانسلفانيا الرومانية وإعطائه لها. كذلك كان للمجر نصيبها من الغنيمة عند فرض التقسيم الأول على تشيكوسلوفا كيا ونصيب آخر عندما قرر هتلر القضاء على يوغوسلافيا. وما كان للمجر بعد هذه المغانم الكثيرة إلا أن تعلن الحرب على الروس في يونية سنة ١٩٤١ وعلى الولايات المتحدة في ديسمبر من السنة نفسها.

كذلك كان من الطبيعي أن يستهوي بترول رومانيا النازيين، ولهذا شعرت هذه البلاد، رغم هذه الضمانات التي كانت قد قطعتها لها كل من إنجلترا وفرنسا منفردتين، بالخطر يهددها وخاصة بعد سقوط براغ. فكيف لها أن تطمئن والأقليات الألمانية مبعثرة في شتى بقاعها، والمجربون والبلغار يتطلعون إلى تملك أجزاء من أراضيها في ولايتي ترانسلفانيا ودبروجا؟ وهناك في داخل بلادها حزب فاشستي يزداد قوة من يوم إلى يليه. ثم جاء من بعد انهيار فرنسا وغزو الألمان للبلقان كلها اقتصاديًا. وإزاء هذا كله، لم تجد رومانيا لها من مخرج سوى الانضواء تحت جناحي ألمانيا والدخول في معسكرها؛ وفعلاً أعلن الملك كارول في الحادي والعشرين من شهر يونيه سنة ١٩٤٠ أنه حاكم مطلق – جماعي– Totalitarian ولكن لم تمض على هذا الإعلان سوى أيام قليلة حتى كانت عملية التقسيم قد بدأت، فأعلنت الروسيا في ٢٦ يونيه

ضم ولاية بساربيا والقسم الشمالي من ولاية سلوفينيا، وتنازلت رومانيا مختارة في ٣٠ أغسطس عن جزء من ولاية ترانسلفانيا تقرر ضمه إلى المجر واستولى البلغار في ٧ سبتمبر على القسم الجنوبي من ولاية دبروجا وأوصلوا حدودهم إلى ما كانت عليه في سنة ١٩١٢، وكان أن ولى رئاسة الوزارة في الخامس من شهر سبتمبر الجنرال أنطو نيسكو، الصديق الحميم للحرس الحديدي الفاستشي فسارع الملك كارول إلى التنازل عن العرش لابنه ميشيل، ودخلت الجيوش الألمانية البلاد بحجة المحتفظة على سلامة آبار الزيت وأعلنت رومانيا في ٢٣ نوفمبر انضمامها للحلف الثلاثي، وقابلت إنجلترا هذا بإعلان الحرب على رومانيا في ديسمبر سنة ١٩٤١، وكانت حكومة الملك ميشيل قد أعلنت من قبل ذلك –وفي شهر يونيه من نفس السنة الحرب على الروسيا وأتبعته في شهر سبتمبر بإعلانها على الولايات المتحدة.

أما بلغاريا فقد قدر لها أن تدخل الحرب العالمية الثانية مع الطرف الخاسر كما فعلت في الحرب الأولى، وكأنها قد كتب عليها مناصرة المنهزم، ولهذا أصبحت ولها مطالب إقليمية لدى من رومانيا ويوغوسلافيا واليونان، وكان النفوذ الاقتصادي للنازيين في بلاد البلغار بالغًا أقصاه فيما قبل قيام الحرب، بدليل أنها باعت في سنة ١٩٣٨: ٨٠% من صادراتها إلى ألمانيا، ورغم إعلان الملك بوريس (Boris) انضمامه للحلف الثلاثي فقد غزت الجيوش الألمانية بلاده ورابطت على ٦٥ ميلاً من مدينة سالونيكا و٤٥ ميلاً من الحدود التركية في ولاية تراقيا. وقد كافأت ألمانيا بلغاريا على تعاونها هذا بتعديل حدودها

المتاخمة ليوغوسلافيا وذلك على أثر انهيار هذه الدولة في أبريل سنة ١٩٤١، كما كانت قد أعادت إليها القسم الجنوبي من ولاية دبروجا الرومانية في سبتمبر من السنة السابقة.

وهكذا تم للألمان احتلال كل من المجر ورومانيا وبلغاريا من غير أن تراق قطرة دم واحدة. أما اليونان ويوغوسلافيا فكانت لهما قصة أخرى. فاليونان اعتمادًا منها على ما كانت قد قطعته لها إنكلترا في ١٣ أبريل سنة ١٩٣٩ من تعهد بضمان استقلالها، رفضت الإنذار الذي وجهته إليها إيطاليا في ٢٨ أكتوبر طالبة فيه احتلال بعض المراكز الإستراتيجية «وإلا اضطرت إلى القضاء على كل مقاومة تعترضها». وكان الرد الطبيعي لرفض هذا الإنذار هو غزو الجيوش الإيطالية لبلاد اليونان، ولقد بدأ هذا الغزو في الساعة الخامسة والنصف صباحًا. واستبسل اليونانيون في الدفاع عن بلادهم، ولكنهم اضطروا أمام ضغط حلفاء روما إلى التقهقر داخل الأراضي الألبانية.

أما يوغوسلافيا، أو مملكة الصرب والكروات والسلوفين، وهي واحدة من الدول الأوربية الجديدة التي قامت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، فكانت تحوي إلى جانب هذه العناصر الثلاثة، خليطًا لا مثيل له من الأقليات، فكان فيها ألمان ورومانيون ومقدونيون، وبلغار، وألبانيون، ومجريون. ولم يفتأ الكروات منذ تأسيس هذه الدولة يطالبون بالحكم الذاتي والاستقلال عن الصرب مع بقائهم خاضعين لحكومة يوغوسلافيا المركزية. أما الإيطاليون والهنغاريون والبلغار فكانوا يفكرون دائمًا في

اليوم الذي سوف تصبح فيه يوغوسلافيا غنيمة باردة لهم. ولكن الاتحاد النمساوي الألماني قضى على هذه الأحلام كلها إذ أصبحت هذه البلاد كلها خاضعة لسلطان هتلر. وتتابعت الحوادث سراعًا: ففي **٢٥** مارس سنة **١٩٤١** أعلن الأمير بول الوصي على العرش ورئيس وزرائه (Cvetkovitch) انضمام البلاد إلى الحلف الثلاثي، على أن تتعهد «دول المحور طوال فترة الحرب بعدم المطالبة بالسماح لجيوشها بالزحف في داخل أراضيها أو التنقل عبرها».

ولكن حدث بعد ذلك بيومين أن سقطت الحكومة اليوغوسلافية وانتقلت حقوق الملك إلى بطرس الثاني، يعاونه في رئاسة الوزارة دوسان سيموفتش Dusan Simovitch.

وفي السادس من شهر أبريل سنة **١٩٤١** غزا هتلر كلا من يوغوسلافيا واليونان. وكان «الدافع الأول» للنازيين في عملهم هذا هو المحافظة على هيبتهم وسمعتهم في هذا القسم من القارة كما أعلن ذلك وزير خارجيتهم رينتروب: «ليس لنا من مأرب في هذه البلاد (يوغوسلافيا) غير ما نأمله من ولائها في التعاون مع دول المحور على تنفيذ النظام الجديد للقارة الأوربية؛ وغاية ما تسعى إليه ألمانيا إنما هو إعداد المكان اللائق الذي يجب أن تشغله يوغوسلافيا في هذا النظام بما يتفق وخير مصالحها». كذلك جاء في المذكرة الموجهة إلى الحكومة اليونانية:

«إن حكومة الريح تعود فتؤكد أن الجيوش الألمانية إذ تدخل

الأراضي اليونانية لا تضمر عداء للشعب اليوناني، وليس في نية الشعب الألماني أن يحارب اليونانيين أو يقضى عليهم بأي حال، وأن كل ضربة قد تضطر ألمانيا إلى توجيهها إليهم، هي في الواقع ضربة مصوبة نحو إنكلترا».

استطاع النازيون –بفضل غاراتهم الجوية التي وجهوها على بلاد البلقان– القضاء بسرعة فائقة على كل مقاومة للحلفاء في تلك البلاد وأنزلوا خسائر فادحة بالقوات التي كانت لهم فيها. وفي العاشر من شهر أبريل سنة ١٩٤١ تم تنصيب أنتي بافيلتش Ante Pavelitch رئيسًا لدولة الكروات التي وافق هتلر على قيامها، وفي الثاني عشر من نفس الشهر دخلت الجيوش المجرية يوغوسلافيا فاتحة وتبعتها الجيوش البلغارية بعد ذلك بأيام ثلاثة، وفي التاسع عشر من شهر أبريل تمكنت القوات الألمانية والإيطالية من القضاء على كل مقاومة منظمة في هذا الميدان، ولم يبق هناك من أثر للقتال إلا ما كانت تقوم به العصابات التي أخذت تعيد ذكرى غاراتها المخيفة في القرنين التاسع والعشرين، ولكنها في هذه المرة كانت تنازل القوات الألمانية.

وكان أن بدئ على الفور بتقسيم يوغوسلافيا وتوزيع الأنصبة على (الفاتحين) وفي ٢٣ أبريل سنة ١٩٤١ استسلم الجيش اليوناني في أبيروس«Epirus» ومقدونيا، وكان ذلك بعد انتقال العاصمة إلى كريت، وفي السابع والعشرين من نفس الشهر دخلت القوات الألمانية مدينة أثينا، وأقام الجنرال (Tsolakogion)، بعد أيام قليلة، أقام من نفسه

رئيسًا لحكومة كانت ألعوبة في أيدي الغزاة. وبسقوطها جزيرة كريت في الثاني من شهر يونية انتقلت الحكومة اليونانية الشرعية إلى مدينة القاهرة عاصمة الديار المصرية.

وقف هتلر مرة أخرى في مجلس الريشستاغ يوم ٤ مايو وقفة الفاتح المنتصر يشرح وجهة النظر النازية إزاء بلاد البلقان فقال:

«إن الرياخ، جريًا على سياسته الماضية، لم تكن له أطماع إقليمية أو مطامع سياسية يسعى إلى تحقيقها في بلاد البلقان.. لا بل إنه على العكس من ذلك لم يدخر جهدًا في إنماء ما بينه وبين هذه الدول بصفة خاصة، من علاقات اقتصادية والعمل على تقويتها، لأنه إذا كان هناك نظامان اقتصاديان يكملان بعضهما البعض تكملة حقيقية فهما النظامان البلقاني والألماني، ذلك لأن ألمانيا، وهي دولة صناعية، محتاجة إلى ما تنتجه البلقان من أغذية ومواد أولية، أما دول البلقان فبلاد زراعية ولا تعوزها هذه المواد الأولية ولكنها في نفس الوقت تحتاج إلى منتجات صناعية».

بهذا انتهى فتح النازيين لشبه جزيرة البلقان ولم يفت برلين أن تقدم بعض فتات هذه المائدة الدسمة إلى روما وبودابست وصوفيا، ولكن الصليب المعقوف كان من الناحية الفعلية هو الذي يرفرف على إيطاليا والمجر وبلغاريا، لا فارق بينه هناك وبينه في يوغوسلافيا أو اليونان. وكانت الخطة الألمانية في جميع الحالات سهلة بسيطة، فهي تبدأ بالتغلغل الاقتصادي ثم التآمر السياسي فالاحتلال العسكري سواء أكان

سلميًا أم حربيًا. وقد كان من حسن طالع جمهوريات أمريكا الجنوبية حقًا أن فصلت بينها وبين الرايخ آلاف من أميال مياه المحيط.

بدأت ألمانيا غزوها للاتحاد السوفيتي في الثاني والعشرين من شهر يونية سنة ١٩٤١، وكان النزاع قد استحكم بين جماعة النازي من أعضاء الرايخ الهتلري وبين شيوعي روسيا الموالين لستالين، وكان أدولف هتلر حتى غزوه لروسيا يسترشد في سياسته الخارجية جملة بالخطوط التي رسمتها له مدرسة ميونخ للجيوبولتيكا. فهوسهوفر هو القائل في سنة ١٩٣٨ –إبان أزمة تشيكوسلوفا كيا– إن فرنسا سوف لا تستطيع بل ولن ترضى أن تحرك ساكنًا إذا ما غزت ألمانيا تشكوسلوفاكيا، وهو أيضًا الذي أوصى بأن يكون غزو ألمانيا للجمهورية الفرنسية من الداخل لا من الخارج أو ما أسماه بالحرب التجويفية «Bore War» وتنبأ كذلك بأن فتح بلاد النرويج لن تقوم في وجهه أدنى عقبة أو تعترضه أية صعوبة، وظل زمنًا طويلاً وهو يشيد باتحاد ألمانيا مع اليابان، ولكنه –على ما يبدو– كان في شك كبير من أمر غزو الروسيان وكان من رأيه أن تعمل ألمانيا على التغلغل في تلك البلاد عن طريق الغزو الاقتصادي لا العسكري، لأن ماحل بنابليون في أثناء حملته الروسية كان على الدوام ماثلاً أمام عينيه، ومع ذلك نشرت له مجلة Zetischrift fur Geopolitik مقالاً في سبتمبر سنة ١٩٤١ يشيد فيه بالغزو النازي لبلاد الروسيا، مما يدل إما على أنه يرى الموافقة على الخطوة التي خطتها السياسة الألمانية إذ ذاك، وإما على أنه كان يمالئ الفوهرر. وقد وضح الآن أن غزو الروسيا كان من أكبر الأخطاء التي وقع فيها أدولف هتلر.

وهتلر عندما يتحدث عن «النظام الجديد» في أوربا، إنما يستعمل نفس المصطلحات التي ابتكرها اليابانيون وأطلقوها على «النظام الجديد» في شرق آسيا. والفكرة في جوهرها ألمانية، أخذت تتبلور وتظهر إلى عالم الوجود فيما بعد شهر يونية سنة ١٩٤٠؛ عندما شعر النازيون المنتصرون أن التحدث عن مناهضة معاهدة فرساي، وعن جمع شمل الألمان كلهم تحت راية واحدة، وعن المجال الحيوي والاندفاع إلى الشرق، أصبحت كلها وليس لها في نفوس الغزاة من النازيين ذلك التأثير العظيم الذي كان لها من قبل. وكان انهيار فرنسا هو الذي دعا إلى طرح النظام الأوربي الجديد، على هذه القارة إلى عالم الوجود. والناحية الاقتصادية التي يدور حولها، هي الاعتقاد الألماني في وحدة القارة الأوربية من الناحية الاقتصادية أو ما يطلقون عليه في اللغة الألمانية Grossraumwirtschaft ولكن النازيين لم يحاولوا أن يعينوا لنا بصفة رسمية مدلول هذا النظام، جريًا في ذلك على عادة التعميم عندهم بقولهم قبول الأمور الواقعية في أوربا، و «العصر الذهبي» و «تضافر الجهود» من أجل تبادل الخير والرفاهية. لا بل إن كل ما يمكن أن نستشفه من خطب هتلر نفسه وخاصة في أواخر سنة ١٩٤٠، ومن تصريحات معاونيه والمجندين لهذا النظام، أمثال الدكتور جوبلز، والدكتور Dr. Ley، وهانس فرانك، وآرتر جريزر Arthur Greiser لا يعدو صورة عامة خالية من كل تفصيل أو تحديد، فالفوهرر يشير مثلاً في رسالته التي وجهها على الشعب الألماني بمناسبة حلول العام الجديد في سنة ١٩٤٠ إلى أن بناء «أوربا جديدة» يجب أن يعهد به إلى شعب فتي

منتج، ويصرح في مناسبة أخرى:

«إنها لحرب بين عالمين متناقضين... وإني أعترف بأن أحدهما سوف يخور ويهوى». ثم عاد في شهر نوفمبر سنة ١٩٤٠، بعد أن وثق من قوته في القارة، فقال: «لقد أصبحنا اليوم في مركز يمكننا من تجنيد كل ما في أوربا كلها تقريبًا من قوى، وأرجو ألا يخالجكم أدنى شك في أني فاعل هذا في المجال الصناعي».

وإذا نحن عدنا إلى الحلف الثلاثي الذي عقدته دول المحور الأوربية والآسيوية في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٠ نجد هناك اتفاقًا تامًا فيما بينهما على استعمال نفس المصطلحات اللفظية، فقد جاء فيه:

«تعترف اليابان وتتعهد باحترام الزعامة التي لكل من ألمانيا وإيطاليا في إقامة نظام جديد في القارة الأوربية، وهما من جانبهما يعترفان ويتعهدان باحترام الزعامة التي لليابان في إقامة نظام جديد في شرق آسيا الأكبر».

وقد أعرب الكثير من النازيين عما يجب أن تكون عليه أوربا بعد إتباع النظام الجديد، فمن هذا ما ذكره جوزيف هارش Joseph Harsch؛ وهو مراسل حديث الجريدة Ghristian Science Monitor في برلين، بعد اطلاعه على الكثير من الخرائط التي عملت خصيصًا لهذا الغرض؛ فهو يقول إن تنظيم «أوربا الجديدة» يقوم حول نواة كبيرة تتكون من الرايخ بعد توسيع حدوده الحالية، تحيط بها مستعمرات ألمانية في

كل من أوربا وإفريقية والشرق الأدنى، وإلى جانبها دول خاضعة لولاية ألمانيا عليها. ومن المقرر أن يضم هذا الرايخ الأكبر ولايتي الإلزاس واللورين ثم النمسا، وبوهيميا، ومورافيا، والقسم الغربي من بولندا وجبل طارق والسويس. أما المستعمرات الألمانية في أوربا، فسوف تمتد من الدانوب حتى البحر الأسود، ومن منطقة البلطيق حتى لينجراد، على أن يستمر الاندفاع الألماني جهة الشرق حتى ينتهي بإدخال كل من أوكرانيا والشرق الأدنى ضمن نطاق هذا الاستعمار، وأن تصبح كل إفريقية –فيما عدا الممتلكات الإيطالية والإسبانية والشقة الفرنسية الممتدة على ساحا البحر المتوسط– مستعمرة ألمانية واحدة كبيرة. أما الدول التي لألمانيا عليها حق الولاية فسوف لا تكون كلها في مرتبة واحدة، فدول اسكندناوة، وسكانها من الآريين، تكون لها منزلتها الخاصة، أما فنلاندة فيستفاد منها –بعد توسيع رقعتها– في صد الهجوم الروسي. ومن المقرر أن تحتفظ كل من إيطاليا وإسبانيا باستقلالهما، على أن تكون السويس وجبل طارق نازيتين، وأن تضم الأجزاء من بلجيكا وسويسرا التي يتكلم سكانها الفرنسية إلى فرنسا تسهيلاً لإدارتهما. أما المصير النهائي لفرنسا والبرتغال وتركيا وبريطانيا، فيظل معلقًا تقرره أحداث المستقبل. هذا ويكون الحد الغربي الجديد لروسيا في هذا النظام متفقًا والخط الحديدي فيما بين لينجراد وموسكو؛ ومن هذه المدينة الأخيرة ينحرف جنوبًا بشرق حتى بحر قزوين؛ على أن تنشأ في روسيا البيضاء وأوكرانيا دويلات صورية، وأن يخضع القسم الباقي من روسيا –شأنه في ذلك شأن فرنسا– للنفوذ الألماني. والواقع أن معاهدة كهذه سوف تهون أمامها معاهدة

برستلينوفسك، تلك المعاهدة التي سلبت روسيا **٣٤٪** من مجموع سكانها، و**٣٢٪** من أراضيها الزراعية، **٨٥٪** من مناطق البنجر فيها، و**٥٤٪** من منظماتها الصناعية، و**٨٩٪** من مناجم فحمها».

ويروى لنا الكاتب Hermann Rauschning ما ذكره له هتلر في محادثة جرت بينهما في سنة **١٩٣٤**ن فهو يقول:

«إننا في حاجة إلى توسيع رقعتنا حتى نصبح مستقلين عن كل تكتل وتحالف سياسي. فسيادتنا شرقًا يجب أن تمتد حتى جبال القوقاز وإيران، وغربًا حتى الساحل الفرنسي. ولا غنى لنا عن كل الفلاندرز وهولندة، كما أننا في حاجة ماسة إلى بلاد السويد، ومن الضروري أن تصبح ألمانيا دولة لها مستعمراتها، ولها من القوة البحرية ما يعادل تلك التي لبريطانيا...

«وسأجعل لهذه الرقعة قواتها الصلبة القوية المكونة من ألمانيا الكبرى ذات الأوصال الملتحمة التحامًا لا انفصام فيه، وبإضافة النمسا وبوهيميا ومورافيا وغرب بولندا، سوف تصبح كتلة متراصة مكونة من مائة مليون نسمة، خالية من كل شائبة، غير قابلة للتدمير، وليس بها عنصر واحد غريب عنها وهكذا يكون الأساس المتين الذي نقيم عليه صرح قوتنا. ثم هناك الاتحاد الشرقي المكون من بولاندا وولايات البلطيق والمجر ودول البلقان وأوكرانيا وحوض الفولجا وجيورجيا.

وهو إن كان اتحادًا غير متكافئ الأعضاء، إلا أن دولة ستكون

خاضعة لوصاية ألمانيا عليها، فلن يكون لها جيش ولن يسمح لها بانتهاج سياسة مستقلة أو الانفراد بتدبير شئون اقتصادياتها. وسأعمل على تأسيس حلف غربي يضم فلاندرز وهولندا وشمال فرنسا ومعها الاتحاد الشمالي لدول الدانمرك والسويد والنرويج.»[١]

وهناك أيضًا «ألفرد روز نبرج» وله رأيه الخاص في مستقبل أوربا، وتتلخص خطته في ضم جميع العناصر الألمانية تحت زعامة واحدة، ومعنى هذا القضاء على النمسا وتصفية سويسرا تصفية نهائية وتفتيت تشيكوسلوفاكيا والاستيلاء على الأجزاء الألمانية الخاضعة لبولندا وإزالة بلجيكا من خريطة أوربا وإدخال هولندا في حظيرة هذه الإمبراطورية العنصرية مع فرض ولايتها على بلاد اسكندناوة وضم ولايات البلطيق حتى ينتهي الأمر أخيرًا بغزو روسيا فتصبح «أوربا الجديدة» هذه مكونة من قسم ألماني مركزي يقوم فيما حول مدينة برلين، ومن قسم ألماني جنوبي، ومقره المنطقة التي كانت تشغلها قديمًا إمبراطورية هابسبورج، ومن اتحاد شمالي يضم الدول الاسكندناوية ومن منطقة نفوذ وسيادة في كل من أوكرانيا الكبرى وولايات البلطيق مع فرض الحماية على البلقان. و «ألفرد روزنبرج» هو القائل على أثر الانتصارات التي أحرزتها ألمانيا في سنة ١٩٤٠: «لقد أصبحت الثورة الاشتراكية القومية وما يترتب عليها من نتائج سياسية قانونًا تخضع له القارة الأوربية.»

[1] Hermanh Rauschning: Voice of Destruction (New York 1940) p.p 122. 124.

هذا، وقد لاحظ مراسلو الصحف الأمريكية في ألمانيا في الفترة من ١٩٣٨ إلى ١٩٤١ زيادة مضطردة فيما تكتبه الصحافة الألمانية عن المطالب النازية، فكانت في فبراير سنة ١٩٣٨ تنادى بضرورة تطبيق «مبدأ منرو» على أوربا الوسطى وخاصة في بلاد النمسا؛ فلما أن تم الاتحاد الألماني النمساوي أخذت أبواق الدعابة النازية توسع مجال مطالبها حتى أصبحت تتناول السيادة التامة على أوربا الوسطى بأكملها، والتحكم الاقتصادي في جنوب شرقي القارة وإعادة المستعمرات الألمانية وأخيرًا إطلاق يدهم في ولاية أوكرانيا. وما إن حل شهر سبتمبر حتى كانت فكرة الاندفاع صوب الشرق قد أصبحت على ألسنة الجميع، مع تعديل في الهدف وجعله كييف Kiev بدلاً من بغداد. هذا ولقد مهد تقسيم تشيكوسلوفاكيا الأول إلى وضع بوهيميا تحت سلطة النازيين، وهنا بدأ الخبراء يتذكرون عبارة بسمارك المشهورة. «إن من يتحكم في بوهيميا يتحكم في القارة كلها».

وكانت الدعاية الألمانية قد أعلنت في مستهل صيف سنة ١٩٣٩ تطبيق «مبدأ منرو» على المنطقة من بحر الشمال حتى البحر الأسود، فما إن انتصف الصيف حتى أخذ دعاتها يطلبون مجالاً حيويًا يتراوح عدد سكانه بين المائتين والمائتين وخمسين مليونًا ويمتد من الراين وبحر الشمال غربًا حتى الاتحاد السوفيتي والبحر الأسود شرقًا مع احتمال إضافة تركيا وأوكرانيا إليه. ولما أن حل شهر فبراير سنة ١٩٤٠ بدءوا يتحدثون عن «عصر أدولف هتلر» وما امتاز به من قيام «اشتراكية الأمم» وذلك على أساس ما بدا من احتمال خضوع القارة كلها للفوهرر.

لا بل إنهم كانوا يأملون أن يتجاوز سلطانهم أوربا إلى إفريقية. وفي شهر يوليه من نفس السنة أخذوا يقيمون نظامهم على أساس جديد وهو قيام قارة «متحدة» في وجه البريطانيين. فلما أن جاء الشتاء أعلنوا في صراحة عن عزمهم على تقسيم العالم إلى أربعة أقاليم كبرى: أوربا وإفريقيا –اتحاد الجمهوريات السوفيتية– ثم أمريكا فشرق آسيا الأكبر، غير أن حدود هذه الأقاليم لم تكن واضحة معينة ولا حتى لدى النازيين والفاشستيين أنفسهم.

هذا والمتتبع لتطور أهداف النازيين وما طرأ عليها من توسع مستمر حسبما بدا من الدعاية التي قامت بها صحفهم فيما بين ١٩٣٨– ١٩٤١ يرى ارتباطًا وثيقًا بين القائمين بأمر هذه الدعاية وبين العسكريين في العاصمة الألمانية.

اتبعت ألمانيا في حكمها لأوربا في سنة ١٩٤٢، وهي السنة التي بلغت فيه هذه الدولة أوج عظمتها؛ أربعة أنظمة:

(١) نظام الضم المباشر إلى الرايخ، وهو ما حدث مع النمسا وبلاد السوديت وغرب بولندا ولكسمبرج والأزاس واللورين وملميدي (Malmédy)، ويوبن (Eupen) أو الاندماج فقط كما حدث في بوهيميا ومورافيا وبولندا الوسطى وولايات البلطيق.

(٢) قيام احتلال عسكري غير واضح، كما كانت الحال في الأراضي الواطئة وبلاد النرويج والصرب واليونان وغالبية بلجيكا قبل

الحرب ودانمارك والجزء المحتل من فرنسا والأجزاء التي تم فتحها في روسيا.

(٣) بلاد لها استقلالها ولكن للرايخ فيها بعض النقود بسبب «الصداقة» القائمة بين البلدين وهو ما حدث في إيطاليا وفي حكومة فيشي الفرنسية وفي أسبانيا والمجر ورومانيا وبلغاريا وسلوفاكيا وكرواتيا وفنلنده.

(٤) مناطق نفوذ، ومثلها السويد وسويسرا والبرتغال.

أما الطريقة التي سارت عليها ألمانيا في حكمها للمناطق التي خضعت لسلطانها فكانت تختلف من جهة إلى أخرى تبعًا لدرجة قرابتها من النازيين ووفقًا لمدى تعاونها أو مقاومتها للنظام الجديد: فأرسل الرايخ —مثلاً— مفوضين إلى كل من بلاد النرويج والأراضي الوطيئة ولكنه أرسل حكامًا عسكريين إلى بلجيكا وفرنسا المحتلة ومورافيا، وبعث بحاكم عام إلى بولندا. وكانت بولندا هي الدولة الوحيدة التي حكمها الألمان حكمًا مباشرًا أي أن الحاكم الألماني كان يصدر أوامر مباشرة إلى الشعب البولندي. والحكم غير المباشر له من غير شك فائدته لأن في استخدام جماعة «الكوزلنج» ما يساعد على تطبيق المبدأ الروماني القديم، «فرق تسد».

هذا وقد سار الألمان في علاقاتهم بالبلاد التي فتحوها على تقسيمها إلى أربع مجموعات كبرى هي:

الألمان، ثم سكان شمال وغرب أوربا، فكان حوض البحر المتوسط، ثم السلافيون. وكانوا قفي معاملتهم للنورديين –سكان اسكندناوة– ألين جانبًا مما كانوا مع السلافيين؛ وذلك لما بين أهل الشمال والألمان من تشابه وصلة في الدم. أما السلافيون فلهم عند الألمان مرتبة اجتماعية دنيا، وذلك كما يبدو لسرعة تزايدهم، ويرى النازيون أن اليهود غير أهل لحمل السلاح دفاعًا عن الرايخ. ويطلقون على أنفسهم اسم «Herrenvolk» ومعناها شعب السادة؛ أما الشعوب غير الألمانية فيطلقون عليها اسم «Hilfenvolk» ومعناها: الفعلة. فالنظام الجديد إذن هو نظام طبقي أساسه ترتيب الشعوب الأوربية حسب درجة نقاوة دمها في نظر الألمان. وبذلك أصبحت أوربا مكونة من مجموعة من الشعوب مرتبة ترتيبًا طبقيًا يدين كل بالاحترام لمن يعلوه، ويدين الجميع بالطاعة لحكومة برلين.

وكان الألمان عند تقسيمهم لتشيكوسلوفاكيا كانوا يفتنون ذرة إلى عناصرها المختلفة، فنراهم يحررون الكروات ويثيرونهم على التشيك، ثم يناصرون المجريين على ضم مجموعة الروثينيين النازلين في تلك الجمهورية (تشيكوسلوفاكيا) ويقيمون في سلوفاكيا دولة مستقلة برئاسة الأب تسو Tiso، ولكنها متعاونة مع الهر هتلر في حربه ضد الروس. أما ولايتا بوهيميا ومورافيا فقد وضعتا تحت الحماية الألمانية وأزيل كل ما كان بينهما وبين الرايخ من فواصل جمركية، وأنشئت فيهما محاكم نازية إلى جانب المحاكم التشيكية، وكان للأولى حق نقض أي حكم تصدره الثانية حتى ولو كان فقي صميم المسائل القومية. ثم عمدت ألمانيا إلى

الجامعات التشيكية فأغلقتها كلها، كما أغلقت غالبية المدارس العالية. ولما أن بدأ عصر الإرهاب رأت الحكومة الألمانية في خريف سنة ١٩٤١ أن تقيم «رينهاد هيدرخ»، (Reinhard Heydrich) وهو جستابو إرهابي، حاكمًا على هاتين الولايتين بدلاً من حاكمهما «Baron von Neurath»، كما أعلنت حالة الطوارئ في البلاد المحمية وأدانت «ألواس إلياس» (Alois Elias)، رئيس الوزارة بتهمة «الإعداد للخيانة العظمى».

نال بولندا من صنوف القسوة والوحشية ما لم تنله بلاد أخرى، فقد بدأ الألماني حكمهم بأن تعمدوا ترحيل البولنديين واليهود إلى ما أطلقوا عليه اسم «حكومة بولندا العامة» وهي المنطقة القائمة بين بولندا الروسية وبومورزي (pomorze)، ثم أخذوا من بعد ذلك ينزلون الألمان من سكان ولايات البلطيق في المناطق البولندية التي تقرر ضمها إلى الرايخ وملكوهم الأراضي التي أجلوا البولانديين عنها. وما إن انتهت سنة ١٩٤٠ حتى كان قد أجلى ١,٥٠٠,٠٠٠ بولندي عن بلادهم ونزح إليها ٥٠٠,٠٠٠ ألماني للإقامة والاستقرار فيها. ومن الظريف أن نلحظ هنا الاختلاف البين بين سياسة الدعوة الألمانية التي سارت عليها الحكومة القيصرية وتلك التي اتبعتها حكومة هتلر، فالأولى كانت تعمد على وسائل القسر والقهر، أما الثانية فكانت تسير على مبدأ الوراثة. ووضعت السلطات الألمانية البولنديين فيما بين الرابعة عشرة والستين من عمرهم تحت طلبها للعمل إجباريًا في بولندا أو في ألمانيا. كذلك أمرت بإغلاق الجامعات والمدارس العالية في مختلف أنحاء البلاد. ويقدرون

أنه منذ ذلك اليوم المشئوم، يوم أول سبتمبر سنة ١٩٣٩، حتى الآن قد هلك فيما بين معسكرات الاعتقال الألمانية والنفي السيبيري، أو بسبب التشريعات النازية، ما لا يقل عن ٣,٠٠٠,٠٠٠ بولاندي، وهذا عدا مليونين آخرين هلكوا أو أسروا أو فروا عبر الجبال خلال فترة الغزوين للروسي والألماني، وقد كشف الكردينال «هلند Hlond» في حديث جرى معه في روما في ٢٩ يناير سنة ١٩٤٠ عما كان يجري في بولندا فقال:

«إن هتلر يقوم الآن بتنفيذ كل ما كتبه في «كفاحي» عن بولندا تنفيذًا حرفيًا. وتقوم سياسته هناك على إبادة الشعب إبادة تامة وذلك بإجلاء ٧٠٠,٠٠٠ بولندي عن أراضيهم في بولندا الغربية وإحلال ألمانيين محلهم. لقد جاء في كتابه هذا أن البولنديين قوم لا يمكن تحويلهم إلى ألمانيين ولا سبيل إلى التخلص منهم إلا باقتلاعهم من جذورهم من هذه الأصقاع، وهذا ما يفعله الآن».

اتبع الألمان في حكمهم لبلاد الاسكندناوية طرقًا متعددة: ففي الدانمرك حيث يتولى الملك «كرستيان» الحكم بالاشتراك مع وزارة ذات رئيس، اكتفوا بإرسال مفوض، يقوم من وراء الستار بالرقابة على أعمال الحكومة، ولم يغب عنهم أن ينبهوا هذه البلاد إلى أن الحياة المثالية التي يمكن أن تحياها، هي تلك التي تكون داخل المجال الحيوي الألماني. ومع ذلك فالثورة التي قامت هناك مؤخرًا لابد أن تكون قد أحدثت تعديلاً في هذا الوضع. أما في النرويج فيقوم المفوض

الألماني «Josef Terboven» بحكم البلاد حكمًا فعليًا وذلك لأن ملكها «هاكون Haakon» قد فر إلى انكلتران وليس هنا من الأحزاب السياسية إلا حزب واحد يرأسه «Vidkun Quisling» (الموالي لهم) وليس له من المناصرين سوى ٥% من مجموع السكان. هذا وقد ألغى البرلمان النرويجي واستغنى عن المجلس الإداري وأعضائه، وعهد بالحكومة إلى ١٣ وزيرًا كلهم من حزب كوزلنج ولكل سلطات واسعة في دائرة عمله، كذلك حرم على العمال الانتقال من جهة إلى أخرى، وعينت لهم السلطات الألمانية الأعمال التي يمكن أن يزاولوها وحددت لهم الأجور. أما الوضع السياسي الحقيقي لبلاد النرويج في هذا النظام الأوربي فغير معروف على وجه التحديد، وإن كان بقاء الجنود الألمانية في أراضيها أمرًا لا مفر منه، وعلى كل فالرقابة وتوزيع الحاجات بالبطاقات ونظام الجستابو، كلها شواهد قائمة على استقرار هذا النظام في بلاد النرويج.

وتدل جميع الدلائل في السويد على أن هذه البلاد قد عقدت عزمها على مقاومة كل تدخل سياسي من جانب النازيين في شئونها، ويظهر السويديون في النزاع القائم بين الألمان والنرويج عطفًا على إخوانهم وجيرانهم، ولكنهم على العكس من ذلك يظهرون استعدادهم لمناصرة الألمان في أي نزاع قد ينشأ بينهم وبين الروس. هذا وقد فعل الملك «جوستاف» ورئيس وزرائه «هانس» ووزير خارجيته «جنتر» كل ما في وسعهم للمحافظة على استقلال بلادهم والإبقاء على حيادهم، وتعاونهم تعاونًا محدودًا مع النازيين، فنراهم في بادئ الأمر قد سمحوا

للجنود الألمانية باجتياز بلادهم في طريقها إلى النرويج جيئة وذهابًا ثم نراهم لا يمانعون في إرسال كل ما تنتجه بلادهم من حديد خام وخشب وعجينة للورق ومواد غذائية إلى الرايخ أو إلى البلاد التي يحتلها. والواقع أن السويد تكون من الناحية الاقتصادية جزءًا مكملاً للمجال الحيوي الألماني.

وفي الأراضي الواطئة، يقوم الهر «سيس إنكوارت Seyss-Inquart» بوظيفة قومسيبر الرايخ. أما الملكة «ولهلمينا» فتعيش في منفاها بمدينة لندن، ويعاون هذا القومسيبر في إدارته للبلاد مجلس استشاري كل أعضائه من الأخصائيين الألمان، ويقوم إلى جانب هاتين الهيئتين ويعاونهما في الحكم مجلس إداري هولندي مكون من السكرتاريين العامين لمختلف المصالح الحكومية. هذا ولقد عمدت السلطات الألمانية هناك إلى الانتقام لأسرى الحرب الألمانيين في الممتلكات الهولندية الأسيوية عمل لحقهم هناك من معاملة «غير كريمة»، كما عمدت إلى إقصاء كل من رئيس بلدية لاهاي والحاكم العسكري لمدينة أمستردام عن وظيفتها بسبب المظاهرات المناهضة للفاشستية التي قامت في منطقة نفوذهما. أما التغلغل الاقتصادي الألماني فيسير في هولندا وفق خطوط وتنظيمات أدق، في جملتها، مما اتبع في أية جهة من الجهات التي فتحها الألمان في أوربا.

وليس للألمان في بلجيكا حكومة وطنية من أي نوع كان، فقد حاولوا أن يجعلوا من «الملك ليوبولد» حاكمًا صوريًا، ولكنه أبى ذلك،

فعمدوا بالأمر فيها إلى حاكم عسكري ألماني. والحكومة الشرعية مقرها الآن لندن، وتشرف من هذه المدينة على الحكم في مستعمرة الكنغو. ولما كانت بلجيكا من البلاد التي تشكو من زيادة عمالها الصناعيين عن حاجة مصانعها، فقد اشتدت فيها مؤخرًا مشكلة البطالة لتعذر الحصول على المواد الأولية، إذ أن ما يصل إليها من هذه المواد لا يكفي لتشغيل إلا ثلث المصانع التي تملكها في الظروف العادية. وتخضع الإدارة في جامعة بروكل الآن إلى الدكتور جراب (Dr.Grab) البلجيكي وإلى ضابط من الحربية الألمانية، ويقوم بوظيفة الكوزلنج البلجيكي (Staf De Clereg) وهو مدرس فلمنكي، و (Léon Degrelle) وهو رجل والوني، وإن كان النازيون لم يعهدوا إليهما بأية سلطة سياسية.

ولفرنسا مركزها الخاص في النظام الأوربي الجديد، ذلك لما تملكه من مستعمرات ولما فيها من قواعد حربية ولما لها من أسطول حربي كبير. كانت هذه الدولة في الواقع قسمين: أحدهما محتل يحكم من برلين، والآخر غير محتل يشرف على إدارته المارشال «بيتان» الذي كان يستمد النصح والإرشاد من لجنة الهدنة الألمانية أو من «الفون أوتوأبتز Von Otto Abetz»، المندوب الألماني في باريس. ولقد منحت الجمعية الوطنية في العاشر من شهر يوليه سنة ١٩٤٠ بيتان سلطة وضع دستور جديد للبلاد مع الاحتفاظ بحق عرضه فيما بعد للاستفتاء العام، وعلى هذا أصدر المارشال بعد أيام قليلة ما يعرف باسم «القوانين الدستورية» وصدرها بالعبارة الآتية: «نحن فيلب بيتان مارشال فرنسا..» وهي قوانين الغرض منها منح المارشال سلطات دكتاتورية واسعة،

استعيض فيها عن الألفاظ الثلاثة المشهورة: «الحرية والمساواة والإخاء» بألفاظ ثلاثة جديدة هي:

«العمل والأسرة والوطن»، وقد سار في تنظيماته الاقتصادية على تشجيع الحركة التعاونية، وأمر بإلغاء الاتحادات العمالية ومنظمات أصحاب العمل جاعلاً من كل صناعة منظمة موحدة تخضع لوزارة من الوزارات. أما من الناحية السياسية فقد عمد بيتان إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع إنكلترا بعد قيامها بمهاجمة الأسطول الفرنسي، وانتقلت الهند الصينية الفرنسية من الناحية الفعلية إلى أيدي اليابانيين، واستولت قوات فرنسا الحرة والقوات البريطانية بعد قتال مرير على سوريا. كذلك أمر «بيتان» بتشكيل محكمة عليا لمحاكمة المسئولين عن إعلان الحرب وإدارتها أمثال (Daladier-Mandel-Gamelin-Reynaud-Blum).

كانت ألمانيا خلال هذا كله في مركز يمكنها من الضغط على بيتان وحكومته ذلك لأنه كان لفرنسا في الأراضي الألمانية ما لا يقل عن مليونين ونصف مليون من الأسرى، عدا ملايين أخرى من المدنيين يعيشون في ظلال الاحتلال الألماني في القسم المحتل من البلاد فضلاً عن أن الهدنة التي وقعتها فرنسا نصت على تجريدها من كل سلاح وما إن أنزل الحلفاء قواتهم في شمال إفريقية حتى تغلغل النازيون في البقية الباقية من فرنسا، وقد قابل الفرنسيون هذا بإغراق أسطولهم في ميناء طولون.

عمد النازيون في أثناء احتلالهم ليوغوسلافيا إلى السير على طريقتهم المعهودة في معاملة السلالات السلافية، كما عمدوا أيضًا إلى إتباع سياسة «التفتيت الذري» التي ساروا عليها في تشيكوسلوفا كيا. وقد بدءوا حكمهم بإثارة نار البغضاء بين الكروات والصرب، كما اختصت ألمانيا نفسها بنصف ولاية سلوفاكيا وأقامت على يلاد الصرب حاكمًا عسكريًا ألمانيا اتخذ بلغراد مقرًا له، وأرسلت الحاميات العسكرية إلى كرواتيا الحرة وولايتي بوسنه وهرسوكوفنيا، وسمح للهنغاريين باحتلال الأجزاء المتاخمة لهم كما سمح للبلغاريين باحتلال القسم اليوغوسلافي من ولاية مقدونيا. أما كرواتيا وهي تلك الدولة المستقلة التي أقاموها، فقد عقدوا رئاستها على Ante Pavelitch ذلك الزعيم الكرواتي الذي كانت قد وجهت إلى منطقة التهمة بتدبير مؤامرة لاغتيال الملك ألكسندر اليوغوسلافي.

وتعهدت إيطاليا بضمان استقلال هذه الدولة الجديدة ورشحت دوق سبوليتو Duke of Soleto ملكًا لها، وقامت بتنفيذ ما أمرت به، فأعلنت في سنة ١٩٤١ الحرب على كل من روسيا والولايات المتحدة، أما ما تشيك Matchek الزعيم الكرواتي فقد ظل على ولائه لبلاده ورفض التعاون مع حكومتها الجديدة.

وكان نصيب إيطاليا من الممتلكات اليوغوسلافية، بالإضافة إلى نفوذها في ملكة الكروات، النصف الجنوبي من «سلوفينيا» و «دكاشيا» وغالبية جزائر بحر الأدرياتيك، واحتلت جنودها الجبل الأسود حتى

الحدود الألبانية، ولكن سرعان ما تأسست هناك جمعية وطنية أعلنت استقلال هذه البلاد وفقًا للأسس التي أعلن بموجبها استقلال ألبانيا من قبل.

هذا وقد كان لغزو ألمانيا لروسيا صداه في يوغوسلافيا، إذ سرعان ما قامت جماعتا Shetnikو Partisa بتنظيم العصابات، التي تعمل في البلاد سلبًا ونهبًا، وتشن الغارات على المحتلين آونة، وعلى بعضها البعض آونة أخرى حتى تعذر على كل من الألمان والإيطاليين المحافظة على الأمن والنظام في بلاد الصرب والكروات والسلوفيين التي عمتها الفوضى والاضطراب.

ورضخ السكان في بلاد اليونان للسيطرة الألمانية على مضض وكره شديدين، ونشب القتال بينهم وبين البلغاريين الذين كانوا يحتلون مقدونيا، وقد عهد الألمان إلى القوات الإيطالية باحتلال أجزاء كبيرة من هذه البلاد التي أصبحت الحالة الغذائية فيها تنذر بخطر شديد، وكان كويزلنج اليونان رجلاً يدعى M. Tsolakoglov ورأى بليتاس Plitas عمدة أثينا أن يغير اسم طريق فرنكلين روزفلت إلى طريق أدولف هتلر، وأكبر النازيون في اليونانيين شجاعتهم واستماتتهم في الذود عن بلادهم فأعادوا إليهم جميع أسراهم اعترافًا منهم بتلك الصفات.

وجد الألمان عناء كبيرًا في إعادة تعمير وتنظيم الأجزاء الروسية التي تم لهم غزوها، وذلك بسبب سياسة «حرق الأراضي» التي سار عليها السوفييت. فعلى حين كانوا يتركون الأحياء السكنية في المدن التي

يتخلون عنها قائمة لا تمتد إليها يد التدمير بأي شكل من الأشكال، نراهم يعمدون إلى دك المناطق الصناعية فيها دكا تامًا قبل إخلائها. ويسير الألمان في معاملاتهم التجارية مع الأهالي على نظام المبادلة لأن الروس يترددون كثيرًا، بل وقد يحجمون في بعض الحالات عن قبول العملة الألمانية، كذلك فشل الألمان في إيجاد الرجل الروسي الذي يمكن أن يقيموه حاكمًا صوريا على البلاد التي فتحوها، ذلك لأن الشعب الروسي ظل على ولائه لستالين.

هذا وقد شمل الاحتلال الألماني في اليوم الأول من شهر يناير سنة ١٩٤٢ كلا من أوكرانيا، وحوض نهر دونتس وبهما ٦٠% من جملة فحم الروسيا، و٤٨% من فولاذها، و٦١% من الحديد الزهر فيها، و٧٢% من الألومنيوم الذي بها.

لم يبق في سنة ١٩٤٣ من الدول الأوربية ما هو خارج نطاق الحرب سوى خمس هي: السويد، وسويسرا، وإسبانيا، والبرتغال، وتركيا، وهذه إن ظلت كلها محايدة فإن الأربع الأولى منها كانت طوال سنة ١٩٤٢ داخلة في دائرة النفوذ الألماني:

فهناك سويسرا، وقسم كبير من سكانها من الألمان والإيطاليين، تحيط بها الدول المتحاربة من كل جانب إلا حيث تتاخم حكومة فيشى الفرنسية؛ ولها الآن جيش كبير قوامه ٣٠٠ ألف مقاتل، وهو قوة لا يستهان بها إذا ما أضيفت إليها الحماية الطبيعية التي توليها إياها جبال الألب. وتأثر الاقتصاد السويسري كثيرًا خلال فترة الحرب بسبب

حرمانها من الأسواق الأجنبية، وأصبحت تجارتها قاصرة في قسمها الأكبر على ما يمكن أن تتبادله مع دول المحور. فكانت من الناحية الاقتصادية إذن داخلة في دائرة النفوذ الألماني. هذا ولقد عهدت إليها حكومة واشنجطون بعد دخولها الحرب بالإشراف على المصالح الأمريكية في مختلف العواصم المحورية، واختيار سويسرا لهذه المهمة بدلاً من السويد أو البرتغال أو أسبانيا أو تركيا، دليل كاف على أن «برن» كانت تتمتع في سنة ١٩٤١ بقسط من الاستقلال السياسي يفوق ما كانت تتمتع به غيرها من العواصم المحايدة.

كذلك أصبحت بلاد البرتغال بسبب موقعها الجغرافي داخلة في دائرة النفوذ النازي. ومن العوامل التي كان لها أثرها في تحرج الموقف السياسي في العاصمة البرتغالية، تلك الميول النازية التي اتسمت بها السياسة الإسبانية، وإن كان لا يفوتنا في الوقت نفسه أن نشير إلى التحالف القائم بين البرتغال وإنكلترا منذ سنة ١٣٧٢. لقد نظرت البرتغال صوب الشمال فرأت جيوش هتلر ترقبها من وراء جبال البرانس، ثم حانت منها التفاتة نحو المحيط الأطلسي، وإذا الأسطول البريطاني يرابط على حدود مياهها الإقليمية، فلا غرو إذن أن رأيناها تتخذ لنفسها موقف الحذر والتيقظ طول السنوات الأربع الأولى للحرب، ولكنها عادت في الثاني عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٣ ونفضت عنها هذا الرداء. وأجرت للبريطانيين القواعد والمحطات البحرية والجوية التي لها في جزائر «آزور». وكانت سياسة البرتغال فيما قبل ١٨ يوليه سنة ١٩٣٦ —وهو بدء الحرب الأهلية الإسبانية– تهدف دائمًا إلى

المحافظة على سلامة مستعمراتها، أما فيما بعد ذلك التاريخ فقد صار همها الأكبر العمل على صيانة استقلالها في القارة الأوربية نفسها، ثم عادت في نهاية سنة ١٧٤٣ فأيقنت أن هتلر فاشل ولا محالة.

وليس من شك في أن الجنرال فرانكو مدين بالسلطة التي له في أسبانيا الآن إلى كل من هتلر وموسوليني، وما قدماه له من مساعدات إبان الحرب الأهلية. وكان لألمانيا من وراء ذلك هدفان: أولهما إضعاف فرنسا من الخلف، وثانيهما الوصول إلى ما في أسبانيا من حديد ونحاس وكبريت وزئبق. أما إيطاليا، فكانت تتطلع من وراء هذه المساعدات إلى ما يمكن أن يعود عليها من نفع في جزائر «البليار» الإسبانية وفي النهاية الشمالية لبلاد مراكش. خرجت أسبانيا من حربها الأهلية وهي في حالة اضطراب شديد من الناحيتين السياسية والاقتصادية، وكان ما يرب من ٥% من حملة سكانها قد هلك خلال هذا الكفاح المرير، ولهاذ نرى فرانكو، عندما بدأ هتلر غزوه لبولندا، يعلن حياد بلاده، ولكنه يعود عندما دخلت إيطاليا الحرب، فيعلن أن أسبانيا «دولة غير محاربة». كذلك قامت أسبانيا في الرابع عشر من شهر يونية باحتلال مدينة طنجة وبدأت الصحافة الإسبانية تطالب بجبل طارق، و «أندورا» Andora ومراكش الفرنسية وذهب فرانكو إلى أبعد من ذلك فأرسل «فيلقًا أزرق» ليحارب في الروسيا معلنًا في الوقت نفسه «عدم اشتراك دولته في حرب الباسيفيك». ورغم ما أظهرته أسبانيا من ولاء لهتلر في كفاحه ضد مجموعة الدول الشيوعية، فقد أحجم فرانكو عن الانضمام إلى دول الحلف الثلاثي أو الدخول في الحرب إلى جانبها، وذلك لما كانت عليه

بلاده من اضطراب اقتصادي ولما كان يعوزها من غذاء ووقود ما كانت لتحصل عليهما لولا ترفق الأسطول البريطاني بحالها، يضاف إلى هذا ما كانت عليه البلاد من انقسام سياسي وما كان يخشى أن تقوم به إنكلترا من استخدام الموانئ الإسبانية في عملية إنزال الجنود لغزو القارة الأوربية.

وفي تركيا والبرتغال كان التنافس بين دول الحلفاء والمحور على أشده، كل يسعى للاستحواذ على أسواقها ومنتجاتها. أما دول الشرق الأدنى بما فيها الدول العربية فكانت موالية للحلفاء رغم ما كانت تصبو إليه من تحقيق استقلالها كاملاً وما كانت تخشاه في الوقت نفسه من ضياع الحقوق التي كانت قد كتبتها. ومن ثم كانت المعاهدة التي عقدتها تركيا في ١٩١ أكتوبر سنة **١٩٣٩** مع كل من إنكلترا وفرنسا والتي تعهدت فيها هذه الدول الثلاث بتبادل المساعدة في حالة قيام أي من الدول الأوربية باعتداء قد يؤدي إلى نشوب الحرب في حوض البحر المتوسط. كذلك تعهدت تركيا بتقديم المساعدة للحلفاء في حالة دخول إيطاليا الحرب ولكنها شرطت هذه المساعدة بضمان الحلفاء لاستقلال كل من اليونان ورومانيا وبالا تجرها إلى الدخول في نزاع مع الروسيا. غير أنه لما كان دخول إيطاليا الحرب قد جاء متفقًا وانهيار فرنسا ومتفقًا أيضًا مع الوقت الذي أعلنت فيه رومانيا رفضها لكل الضمانات التي قطعتها لها إنكلترا بشأن استقلالها، فإن تركيا لم تر ما يحملها على الخروج عن حيادها، بل إنها أخذت في التباعد خطوة بعد خطوة من المشكلات البلقانية، اللهم إلا ما قدمته من مساعدات اليونان عند غزو

إيطاليا لها وهي مساعدات كادت تنزلق بسببها إلى الدخول في الحرب. كذلك قامت بعقد معاهدة عدم الاعتداء مع بلغاريا ومثلها مع ألمانيا قبيل قيامها بغزو لأراضي السوفيتية، تاركة يوغوسلافيا واليونان تواجهان ما خبأه لهما القدر في أثناء الغارات الجوية الألمانية. وحرصت تركيا على عدم الاشتراك في شئون الدول القائمة على حدودها الأسيوية، فلم تتدخل بأي شكل من الأشكال في الثورة التي قامت في العراق ولا في القتال الذي كان دائرًا في سوريا ولا في الاحتلال الروسي البريطاني لإيران، وكما أنها ظلت على ولائها لبريطانيا بموجب المعاهدة التي بينهما فإنها بقيت على احترامها لمعاهدة عدم الاعتداء التي بينها وبين ألمانيا، ومن ثم رأيناها في سنة ١٩٤٣ واقفة ترقب الحوادث وتشاهد عن كثب معاول الهدم والتخريب تدك البلاد المحيطة بها من غير أن تصيبها بسوء. أما الآن وعلى أثر المؤتمر الذي عقد في مدينة القاهرة في ديسمبر سنة ١٩٤٣ والذي اجتمع فيه الرئيس إينونو بكل من روزفلت وتشرشل فقد أصبح واضحًا أن تركيا سوف تعدل عن موقفها السابق وتمد يد المعونة إلى الدول المتحدة[١].

وهكذا أخذت برلين تصدر في هوادة التصميمات النهائية لهذا النظام الأوربي الجديد في شتى مظاهره السياسية والاقتصادية والثقافية وألبسته الكثير من زخرف القرن العشرين، فبدا براقًا خلابًا ولكنه كان

---

[١] الواقع أن تركيا لم تعدل عن موقف الحياد الذي وقفته منذ بدء الحرب وظلت محافظة عليها حتى نهايتها. المترجمان

لدى الشعوب التي خضعت للحكم النازي مرادفًا لكل معنى من معاني السخط ومستوجبًا لجميع اللعنات.

والخلاصة أن مدرسة ميونخ للجيوبولتيكا قد رأت الشيء الكثير من المبادئ التي أوحت إلى الرايخ الثالث بإتباعها –في كل سياسته الداخلية والخارجية– بوضع موضع التنفيذ.

الفصل الخامس

الولايات المتحدة وقوتها الجيوبولتيكية

عندما تعقد الهدنة الثانية(١) ستكون الولايات المتحدة قد بلغت من القوة ما لم تبلغه دولة أخرى من قبلها، وسيكون لها نفوذها الذي لا يداني وخاصة في جمهوريات أمريكا اللاتينية وفي المحيط الهادي وفي القسم الشمالي من المحيط الأطلسي؛ وستكون الوحدة بين الدول العظمى التي لم تتأثر أرضها بغزوات العدو ولا بغاراته الجوية المدمرة، وسيصبح أسطولها البحري أقوى أسطول عرفه التاريخ، فتتولى سفنه الحربية حراسة مياه الباسفيك والقسم الغربي من المحيط الأطلسي، وتأمين سواحلها، تاركة المحيط الهندي وسواحل المحيط الأطلنطي الشرقية في حراسة السفن البريطانية؛ كذلك سوف تصبح لها الزعامة الفنية الجوية، وإن كانت ستظل إذا ما بقيت الحال على ما كانت عليه قبل الحرب، وهي مفتقرة إلى القواعد الجوية التي تتناسب وحاجتها. وإذا كانت هذه الجمهورية قد سارت على تقليدها في مناهضة فكرة الاحتفاظ بجيش قائم كبير، فقد ترى نفسها مضطرة إلى فرض الخدمة العسكرية على فتيانها إذا ما بلغوا الثامنة عشرة من عمرهم.

---

(١) كانت ألمانيا عند كتابة هذا الفصل لا تزال في الميدان. والإشارة هنا إلى الهدنة الأولى التي عقدها الخلفاء مع إيطاليا في سنة ١٩٤٣، وكان من المتوقع أن تتقدم ألمانيا من بعدها طالبة عقد الهدنة ووقف القتال. المترجمان

قد تستطيع الولايات المتحدة أن تحتفظ بهذه المنزلة الهامة التي ستكون لها وقد لا تستطيع ذلك، لأن هذا وذاك مرهونان بالقوة الكامنة في هذه الدولة، وبالسياسة التي سوف تنتهجها في علاقاتها بالدول الكبرى.

وإذا نحن ألقينا نظرة شاملة على التوسع الإقليمي الذي أحرزته هذه البلاد فيما بين ١٧٨٣، ١٨٥٣ لوجدنا أنه كان نتيجة طبيعية لتفاعل العوامل الجغرافية مع بعضها البعض بدأ هذا بالكفاح من أجل اتخاذ إما المسيسبي وإما جبال الليجاني حدًا طبيعيًا لهذه الدولة الجديدة، وانتهى الأمر بأن أصبح المسيسبي ذلك الحد، وكان الإسبان والفرنسيون يتوقون إلى قصر رقعة هذه الجمهورية الجديدة على المساحة التي كانت تشغلها المستعمرات القديمة التي انحدرت منها، أي فيما بين المحيط وجبال الليجاني.

وكان شراء الولايات المتحدة لمستعمرة لويزيانا الفرنسية بمثابة مضاعفة لمساحة البلاد، ثم امتدت حدودها الغربية فيما وراء المسيسبي حتى جبال روكي، وأصبحت الولايات المتحدة تمتد من كندا شمالاً حتى سواحل خليج المكسيك جنوبًا، وبذلك تحرر مصب المسيسبي من كل نفوذ أو سيطرة أوربية عليه. وقد تأسست على رقعة هذه الصفقة الجديدة ثلاث عشرة ولاية، بعضها ولايات كاملة وبعضها أجزاء من ولايات. وتقوم كل منها الآن بإدارة شئونها وفق أحسن التجارب التي تجريها في نظام الحكم. وكان عدد سكان هذه المستعمرة الكبيرة في سنة ١٨٠٤

خمسين ألفاً فحسب فأصبحوا في سنة ١٩٤٠، حوالي ٢٢ مليونًا، وهي الآن مصدر ثروة ورخاء عظيمين للبلاد: فهناك الرصاص والزنك اللذان تحويهما ولايات ميسوري وأركنساس، والماشية والأخشاب في مونتانا، والقمح في كنساس وداكوتا، والذرة في أيوا ومنيسوتا، والبكسيت في أركنساس، وقصب السكر والقطن في لويزيانا، وزيت البترول في أوكلاهوما.

ثم كانت الخطوة الثانية والأوسع في سنة ١٨١٩ عندما تم الاستيلاء على فلوريدًا، ورسخت أقدام الجمهورية الأمريكية على سواحل خليج المكسيك.

وخليج المكسيك هو منتهى الأنهر الأمريكية، ولهذا فهو «الحد الطبيعي» لهذه البلاد جنوب الجنوب، كما أنه المنفذ الذي كان يصدر منه قطن ولايتي مسيسبي وألباما، ولم يكن قد تم تكوينهما بعد. وكان الإنكليز قد استخدموا هذه الشقة من الساحل الأمريكي قاعدة لعملياتهم الحربية التي قاموا بها لمناهضة التجارة الأمريكية في حربهم ضد هذه البلاد في سنة ١٨١٢.

وفي سنة ١٨٤٥ تمت الخطوة الثالثة من خطوات التوسع الإقليمي، وذلك بضم ولاية تكساس، وقد نجم عن إضافة ٢٦٧,٠٠٠ ميل مربع جديد إلى مساحة البلاد. وكان عدد الأمريكيين في هذه الولاية المكسيكية في سنة ١٨٣٠ عشرين ألفًا، على حين أن عدد المستعمرين البيض الذين استطاعوا أسبانيا اجتذابهم إليها لم يرد في المائة سنة التي

ظلت تحت حكمها، على ٣٠٠٠ مستعمر. وهذه الولاية وإن ظلت حتى ذلك الحين إسبانية أو بالأحرى مكسيكية من حيث تبعيتها السياسية، إلا أن السيادة الفعلية فيها كانت للأمريكيين، وهو ما قرره الكاتب الفرنسي الشهير Alexis de Tocoqueville الذي زار الولايات المتحدة بعد سنة ١٨٣٠، إذ كتب يقول:

«لقد استطاع العنصر الأمريكي الإنكليزي أن يتغلغل في هذه الولاية (تكساس) التي لا تزال قليلة السكان... ومن السهل على الإنسان أن يرى أنه إذا لم تتدارك المكسيك الأمر وتعمل على تغيير الوضع القائم هنا فسوف تئول ملكية هذه الولاية إلى أيد غير أيديها».

وهذا ما حدث فعلاً. ففي شهر فبراير سنة ١٨٤٥ أصدر مجلس الكونجرس قرار بضم «جمهورية النجم الأوحد» Lone Star Republic (تكساس) إلى الاتحاد.

وفي سنة ١٨٤٦ استطاعت كل من لندن وواشنجطون تسوية ما كان بينهما من خلاف على تعيين خط الحدود في ولاية «أرجون» كما استطاعتا أيضًا تهدئة الخواطر الثائرة والتي كانت تطالب باتخاذ خط

عرض ٤٠ ٥٤° حدًا فاصلاً بين الدولتين أو امتشاق الحسام «Fifty Four Forty. Orfisht» وذلك بالاتفاق فيما بينهما على أن يكون الحد الفاصل بين الممتلكات البريطانية والأمريكية من جبال روكي حتى

ساحل المحيط الهادي هو خط عرض ٤٩ ° شمالاً —وكان استقرار ألف من المستعمرين الأمريكيين الأشداء في هذه الولاية، من أقوى الأسباب التي اعتمدت عليها الولايات المتحدة في المطالبة بها.

ثم كانت سنة ١٨٤٨، وفيها عقدت معاهدة Guadaluoe Hidalego التي انتهت بها الحرب المكسيكية، والتي تنازلت المكسيك بموجبها عن كليفورنيا العليا ونيومكسيكو. كما اعترفت بحق تملك الولايات المتحدة لولاية تكساس، وبهذا اتصلت الجمهورية الأمريكية إلى نهاية حدودها المنطقية صوب الغرب أي إلى سواحل المحيط الهادي. والواقع أن ولاية كليفورنيا كانت، من الناحية العملية، ولاية أمريكية قبل قيام الحرب المكسيكية، وذلك لكثرة من تسرب إليها من المستعمرين الأمريكيين، ففي سنة ١٨٤٤–١٨٤٥ وحدها دخلها بضع مئين ممن عبروا القارة متتبعين طريق أيجون حتى نقطة قريبة من فورت هل Fort Hill في القسم الجنوبي من ولاية إيداهو، وكانت التعليمات قد صدرت من واشنجطون إلى القنصل الأمريكي في مدينة مونتري Monterey بالعمل على إيقاظ روح «حب الحرية والاستقلال، هاتين الصفتين اللتين اختصت بهما القارة الأمريكية»، في نفوس الكاليفورنيين.

وصلت الولايات المتحدة إلى حدودها الجنوبية عن طريق الفتح، فقد ظلت العلاقات السياسية بينهما وبين المكسيك مضطربة غير مستقرة حتى الربع الثاني من القرن العشرين حينما تغيرت الحال تغيرًا

كليًا ورأينا المكسيك، لأول مرة في التاريخ، تقف إلى جانب الولايات المتحدة صفًا واحدًا في الحرب.

وفي سنة ١٨٥٣ أنجزت الولايات المتحدة أخر خطوة من الخطوات التي قامت بها لتوسيع رقعتها بشراء منطقة Gadsden من المكسيك، وتبلغ مساحتها ٣٦,٢١١ ميلاً مربعًا، وهي واقعة جنوبي نهر Gila وتصلح لأن يمد فيها خط حديدي من جنوب جبال روكي حتى ساحل المحيط الهادي.

بهذا بلغت مساحة الولايات المتحدة ٣,٠٢٢,٣٨٧ ميلاً مربعًا، ولم تمكن في أول تكوينها سوى ٨٦٨,٠٠٠ ميل مربع فقط. وبهذا التوسع المكاني العظيم تمكنت هذه الدولة من إقامة صرح عظمتها الإقليمية.

ولا شك في أن بعضًا من زعماء أمريكا وقادتها كانوا –بالغريزة– بعيدي النظر ويعملون وكأنهم على بينة من الأسس التي يقوم عليها علم الجيوبولتيكا، بل يمكن اعتبارهم من المنقذين لمبادئ هذا العلم. ومن بين هؤلاء توماس جفرسون الذي قام بشراء لويزيانا، ولم يدر بخلده إذ ذاك أن الولايات المتحدة سوف تستطيع الانتفاع بجميع هذه المنطقة: فقد كتب في سنة ١٨٠٤ يقول: «وسواء ظلت هذه البلاد اتحادًا واحدًا. أو انقسمت إل اتحادين أحدهما أطلنطي والآخر مسيسبي، فإن هذا لن يؤثر في سعادة ورخاء أي من هذين القسمين»، أما الآن فإن علمًا واحدًا –رسم عليه ثلاثة عشر شريطًا وثمانية وأربعون نجمًا– هو

الذي يرفرف من فوق دار الحكومة في أوجستا عاصمة ولاية مين Maineليشرف منها على مياه المحيط الأطلنطي؛ ومن فوق دار الحكومة في «جفرسون ستي» عاصمة ولاية ميسوري ليشرف منها على أمواج هذا النهر.

ويرى أساتذة معهد ميونخ في جيمس منرو، صاحب «مبدأ منرو» الشهير، علمًا من أعلام الجيوبولتيكا، والواقع أن الرئيس «منرو» إنما عمل باقتراح «جون كونسي آدمس John Quincy Adams، ولم يقصد من وراء هذا المبدأ سوى الحيلولة بين دول العالم القديم العظمى وتقسيم العالم الجديد فيما بينها. وقد جاء النازيون واليابانيون الآن يدعون أنهم لا يهدفون من وراء تنفيذ نظاميهما الجديدين سوى تطبيق مبدأ منرو على كل من أوربا وشرق آسيا الأكبر. ولكن تاريخ هذه القارات الثلاث –إفريقيا وآسيا وأوربا– فيما بين العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين، فيهما الدليل القاطع على كذب الدعاية المحورية في هذه الناحية.

تقدم الرئيس «منرو» في الثاني من شهر ديسمبر سنة ١٨٢٣ إلى مجلس الكونجرس برسالته المكتوبة الشهيرة معربًا فيها عن أن قارتي نصف الكرة الغربي «سوف لا تسمحان منذ اليوم لأي من الدول الأوربية العظمى أن تتخذ منهما مجالاً لنشاطها الاستعماري في المستقبل»، وأن حكومة الولايات المتحدة سوف تعتبر «أية محاولة من جانب هذه الدول لتطبيق منهجها (الحلف المقدس) على أي قسم من أقسام هذا النصف

من الكرة عملاً خطيرًا يهدد أمن وسلامة بلادها، كما قررت من جانبها ألا تتدخل في الأنظمة التي تسير عليها الحكومات الأوربية، وألا تعمل شيئًا قد يؤدي إلى زعزعة الحالة الراهنة في الممتلكات التي للدول الأوربية في العالم الجديد.»

وكان وليام سيوارد Wiliam Seward قد أوصى بضرورة الاستيلاء على ألاسكاوجرينلاند وآيسلاندا استعدادًا لمستقبل تكون السيادة فيه للملاحة الجوية. ولهذه التوصيات أهميتها الحقيقية من الناحية الجيوبولتيكية، وقد جاءت الحرب فبرهنت لأول مرة على مالألسكا من قيمة كبيرة، لا بل إن الجنرال بيلي ميتشل Billy Mitchel ذهب في أحد تصريحاته إلى حد القول بأن ألاسكا «أهم نقطة إستراتيجية على سطح الكرة الأرضية».

ويعتبر كل من الأميرال (الفريدت. ماهان Alfred T.Mahan) والرئيس روزفلت في فترة تولية رئاسة الجمهورية الأمريكية، يرجع الفضل في تنفيذ الكثير من آراء الأميرال ماهان... والفريد ماهان أعظم من يستشهد به الجيوبولتيون في كل ماله مساس بالقوة البحرية. وكان أستاذًا لتاريخ البحرية بالكلية البحرية الأمريكية بمدينة نيوبورت في «رود أيلند» وقد عنى في جميع مؤلفاته وخاصة في كتابه: «أثر القوة البحرية في التاريخ من ١٦٦٠-١٧٦٣» «The Influence of Sea power » on History; 1660-1763» والمنشور في سنة ١٨٩٠ بالأسس والمبادئ البحرية التي سارت عليها الإمبرالية البريطانية منذ عهد بعيد،

وخلص من دراساته إلى أن رخاء أي قوم ومصيرهم مرهونان بما يعدونه من خطط لبسط سيادتهم البحرية التجارية، وأن أسطولاً تجاريًا ترفرف عليه الأشرطة والنجوم سوف لا تقتصر فائدته على تنشيط تجارة البلاد فحسب، بل إنه يكون بمثابة الدرع لقوتها البحرية، والسفن التجارية، حينما سارت، لا غنى لها عن الشعور بالطمأنينة في الموانئ التي تقصدها وبالحماية في الطرق التي تسلكها، وكلاهما يتطلب قيام إمبراطورية فيما وراء البحار وبناء أسطول قوي. ولماهان آراؤه في الإستراتيجية البحرية س ووسائل الدفاع القومي وهي أراء معروفة مدروسة في الولايات المتحدة والعالم كله. فمن رأيه مثلاً أن الدفاع عن الولايات المتحدة لا يكون بمحاولة منع وصول سفن العدو إلى سواحلها وإنما يكون بإعداد أسطول من الوحدات البحرية الضخمة التي تحول دون ضرب أي حصار على البلاد، والتي تعمل على بقاء الموانئ الأمريكية مفتوحة ومستعدة لاستقبال السفن المحايدة التي قد تأتيها خلال فترة الحرب. والطرادات في نظر ماهان لا تكون الأسطول لأنها لا تقوى على منع الحصار، وإنما الأسطول هو المدرعات والقطع البحرية الضخمة التي يمكنها أن تحكم في المياه المحيطة بالولايات المتحدة وإلى مسافة كبيرة من سواحلها.

هذا وقد جاءت الحوادث العالمية مؤيدة لما نادى به ماهان من ضرورة الاعتماد على السفن الكبرى عند بناء الأساطيل، فقد خرجت شيلي من حرب الباسفيك ولها أسطول قوى منيع، على حين أغرقت عواصف التيفون التي هبت على Apia في جزائر ساموا في سنة ١٨٨٩، القسم الأكبر من الأسطولين الأمريكي والألماني. ولهذا وافق مجلس

الكونجرس للبحرية الأمريكية في سنة ١٨٩٠ على الاعتمادات اللازمة لبناء ثلاث مدرعات (تزيد حمولتها قليلاً على عشرة آلاف طن) وكانت إحداهما المدرعة أوريجن الشهيرة. وظل ماهان طوال العقد الأخير من القرن التاسع عشر وهو يلح على ضرورة بناء السفن الكبرى وتوسع أمريكا فيما وراء البحار، فكان من رأيه أن جزائر هاواي قد تصبح يومًا ما «موقعًا أماميًا» له قيمته الإستراتيجية الخطيرة، إذا ما هبت على البلاد (موجة زاحفة من الغزو) من الشرق الأقصى. كما أكد أيضًا ضرورة شق قناة بين الأمريكتين، منبهًا في الوقت نفسه إلى أنه لن يتأتى للولايات المتحدة المحافظة على سلامة هذه القناة من غير أن يكون لها التفوق التام في البحر الكاريبي وفي القسم الشرقي من المحيط الهادي. وجاءت من بعد ذلك الحرب الأمريكية الإسبانية فأينت الشيء الكثير مما ذهب إليه ماهان، ولمس الجميع الحاجة إلى تلك الفتاة وعرفوا قيمتها عندما اضطرت المدرعة أريجون إلى قطع المسافة من سان فرانسيسكو إلى كي وست، فقد قضت ثلاثة وستين يومًا اجتازت فيها ١٣٠٠٠ ميل يجرى في رحلتها عن طريق مضيق ماجلان، وكان أسطول المحيط الأطلنطي يسوده القلق إذ ذاك بسبب جهله بموقع الأسطول الإسباني، وبلغ هذا القلق حدًا دفع الحكومة الأمريكية إلى نقل رصيدها من الذهب من مدينة بوسطون القائمة على الساحل إلى مدينة وستر الواقعة في الداخل.

كذلك أيدت هذه الحرب حاجة الولايات المتحدة إلى الاستيلاء على قواعد بحرية في مختلف البحار، وقد رأت فيها فرصة سانحة

لتحقيق ما أوصى به ماهان، ذلك أن الأميرال ديوي —وكان راسيًا بأسطوله في ميناء هنج كنج— اضطر بسبب حياد بريطانيا إلى الرحيل عن مياه هذه المستعمرة الإنكليزية. ولما كان تيودوز روزفلت، في أثناء توليه وكالة البحرية الأمريكية، قد عقد لديوي لواء أسطول أعد إعدادًا تامًا لينقض به على جزائر الفيليبين إذا ما أعلنت الحرب على أسبانيا، فقد خرج أسطول ديوى من فوره من هنج كنج في السابع والعشرين من شهر أبريل سنة ١٨٩٨ قاصدًا خليج مانيلا واشتبك هناك في أول مايو مع الأسطول الإسباني الضعيف في معركة بحرية كانت هي القاضية عليه. وقد برهنت هذه الحرب أيضًا على أن المدافع الطافية والمثبتة على ظهور السفن ليست شيئًا مذكورًا إذا ما قورنت بتلك التي ترتكز على البر وكانت هذه آخر عهد الولايات المتحدة باستخدام سفن الدفاع أمثال مونيتور Monitor وغيرها في الذود عن مرافئها.

خرجت الولايات المتحدة من هذه الحرب وهي مالكة لجزائر جوام والفيلبين. وبورتوريكو. كما أعلنت حمايتها على جزيرة كوبا، وأصدر مجلس الكونجرس قرارًا منفصلاً بضم جزائر هاواي. والخلاصة أنه لم تنقض رياسة تيودور روزفلت حتى كان الشيء الكثير من آراء الأميرال ماهان قد أصبح حقائق ملموسة. ومن أبرز هذه كلها منطقة قناة بما وعرضها عشرة أميال عبر البرزخ، فقد تم الاستيلاء عليها وتم حفر القناة نفسها وفتحت للملاحة في سنة ١٩١٤، كما أمكن بفضل روزفلت تنفيذ السياسة التي نادى بها ماهان وهي بناء أسطول من السفن الكبرى وأرسل هذا الأسطول في رحلة حول العالم في سنة (١٩٠٧-١٩٠٩)

ليكون رمزًا على هذه القوة الجديدة التي أصبحت للولايات المتحدة. وقد جاءت هذه الرحلة بمناسبة إنذار وجهة روزفلت إلى اليابان بسبب ما كان قد قام مؤخرًا من خلاف بين واشنجطون وطوكيو على أثر القرار الذي أصدره –وقتئذ– مجلس التعليم في ولاية كليفورنيا من ضرورة تخصيص مدارس لتعليم أبناء الصينيين واليابانيين والكوريين غير تلك التي يتعلم فيها الأطفال الأمريكيون. وأقل ما يمكن أن يقال عن نتائج هذه الرحلة أن ضباط الأسطول الأمريكي وبحارته قوبلوا بكل حفاوة حتى في طوكيو ويوكوهوما.

وليس من شك أن القوة الحقيقية للولايات المتحدة هي نتيجة مباشرة للعوامل الطبيعية التي ترتكز عليها جيوبولتيكتها، والتي أخذت تظهر آثارها الآن فيما أحرزته هذه البلاد من منزلة رفيعة في الميدانين الحربي والسياسي: فهي ذات موقع جغرافي يفضل ما لغيرها من الدول العظمى، لأن المحيط الأطلنطي وعرضه ثلاثة آلاف ميل يفصل بينها وبين القارة الأوربية، ويفصل بينها وبين آسيا خمسة آلاف ميل من مياه المحيط الهادي (شكل ١٢) وتقوم على حدودها الشمالية مستعمرة كندا المستقلة، وعلى حدودها الجنوبية المكسيك، وهما دولتان صديقتان، كما أنهما في الوقت نفسه، إذا ما قيستا بالولايات المتحدة أضعف منها بكثير. وبلاد لها مثل هذا الموقع، إذا ما تعرضت لحرب في جبهتين مختلفتين، لابد أن يأتيها الهجوم في إحداهما من البحر، وهو عكس الحال تمامًا لما يحدث في بلاد كالروسيا، إذا ما اضطرت لمنازلة عدوها في جبهتين. غير أن التحسينات المتوالية التي أدخلت على سبل

المواصلات البرية والبحرية والجوية، قد قللت كثيرًا –إن لم تكن قد قضت تمامًا– على ما كانت تتمتع به هذه البلاد من عزلة جغرافية، لن أقصى ما يفصل بين بقعة وأخرى على سطح الكرة الأرضية –مهما بعدتا عن بعضهما البعض– لا يزيد على ستين ساعة جوية، لا بل إن التحول الذي ينتظر أن يطرأ على المحيط المتجمد الشمالي حتى يصبح بمثابة بحر متوسط للملاحة الجوية سوف يقضى على العزلة التي تتمتع بها أمريكا من الناحية العسكرية، كذلك يلاحظ أن قناة بما –ولها مالها من أهمية في تأمين سلامة الولايات المتحدة– هي أيضًا من المواقع الحربية التي يمكن النيل منها بسهولة، طالما أن سياسة تخصيص أسطول للمحيط الهادي وآخر للمحيط الأطلسي، لا تزال قيد التنفيذ، (شكل ١٣). والواقع أن هذه البلاد كانت على شفا هاوية لو قدر للعدو في سنة ١٩٤٠ تدمير الأسطول البريطاني الذي كان قائمًا إذ ذاك على حراسة اتصالاتنا مع موانئ المحيط الأطلنطي. هذا وسوف تظل لقناة بما قيمتها في تقصير المسافات حتى بعد إتمام بناء أسطول لكل من المحيطين (سنة ١٩٤٦) لأن الدور الذي تقوم به الولايات المتحدة كدولة من دول المحيط الهادي لا يمكن أداؤه على الوجه الأكمل من غير الاعتماد على هذه القناة، ذلك لأن قلب الصناعة الأمريكية قائم في قسمها الشرقي الذي تفصل السهول الأمريكية الشاسعة وجبال روكي الشاهقة بينه وبين سواحل المحيط الهادي ولن يتأتى للسكك الحديدية الممتدة عبر هذه القارة الفسيحة أن تنقل ما تنقله السفن الآن من المواد الضخمة عبر القناة.

ولموقع الولايات المتحدة من البحر الكاريبي أهميته الكبرى، فهذا البحر إلى جانب قيمته الدفاعية باعتباره منتهى قناة بما، ذلك الشريان الحيوي الذي يربط بين المحيطين الأطلنطي والهادي، له مركزه الخاص في تجارة البلاد، إذ يتم فيه تبادل منتجات المناطق الحارة بالصناعات الأمريكية -وهي تجارة لها قيمتها- كما يبدو من المركز البارز الممتاز الذي تتبوأه الولايات المتحدة الآن في كل من بلاد المكسيك وأمريكا الوسطى والجمهوريات الشمالية لأمريكا الجنوبية وجزائر الهند الغربية، وقد وقفت كلها كتلة واحدة إلى جانب الولايات المتحدة فيما بعد «بيرل هاربر» وأعلنت الجمهوريات التسع التي تتكون منها أمريكا الوسطى والهند الغربية الحرب على دول المحور، وقطعت كل من كولومبيا وفنزويلا علاقتهما السياسية بها. كذلك قطعت المكسيك علاقتها بتلك الدول وأعقبت ذلك بإعلان الحرب عليها عندما أغرقت الغواصات الألمانية بعض ناقلات البترول المكسيكية. وقبل أن تنتهي سنة ١٩٤٣ كانت كولومبيا قد اعترفت بقيام حالة الحرب بينها وبين ألمانيا.

هذا وتعتمد الولايات المتحدة في تجارتها مع عرب أمريكا الجنوبية على طريق بنما، كما تعتمد في تجارتها مع شرق هذه القارة على جزيرة ترنداد التي ترسو فيها السفن الأمريكية لتتزود فيها بما تحتاج إليه. وقد كانت لمنتجات أمريكا الجنوبية ومواردها الاقتصادية فائدتها العظيمة في تمكين كل من الولايات المتحدة والدول المتحالفة من مواصلة مجهوداتها الحربية، وخاصة بعد أن حرمت من المنتجات الاستوائية أمثال المطاط والصفيح والكينا وغيرها مما كان يأتيها من الشرق الأقصى.

وفي النهاية يطل القسم الشمالي الشرقي للولايات المتحدة على طريق المحيط الأطلنطي الشمالي وهو أهم طريق تجاري في العالم كما يصل قسمها الشمالي الغربي على طريق شمال المحيط الهادي، ولو أن أهميته التجارية تقل عن سابقه.

ومن المظاهر التي لها أهميتها في جيوبولتيكا الولايات المتحدة عظم اتساع رقعتها وشكلها الجغرافي العام، إذ من الثابت أن جميع الدول الكبرى يجب أن تكون مستقبلاً –على درجة من الاتساع تستطيع معها تنظيم دفاعها وفقًا للقاعدة التي أطلقنا عليها اسم الدفاع في العمق Defance in Depth، وهي قاعدة قام الدليل على صحتها في الحرب الأوربية الثانية خلال الغزو النازي للأراضي الروسية وغزو اليابان لبلاد الصين. والولايات المتحدة، وإن كانت من البلاد التي لم تحطأها أقدام الغزاة منذ سنة ١٨١٣، صالحة من كافة نواحيها لتطبيق هذا المبدأ، فمساحتها التي تزيد قليلاً على ثلاثة ملايين ميل مربع تجعلها متقاربة من أوربا، ومن السهل جدًا أن تنسحب بعدوها حتى جبال الأبلاش إذا ما جاءها الغزو من الشرق، وحتى جبال روكي إذا ما جاءها من الغرب. أما إذا جاءها الغزاة من المناطق القطبية فسوف تجد في كندا محالاً صالحًا لتطبيق هذا المبدأ، على حين تقوم بلاد المكسيك بدور الدفاع عنها إذا جاءها الغزو من الجنوب.

ويتركز قلب الصناعات الأمريكية والكندية في القطاع الشرقي من الإقليم الأوسط، وتقوم قناة «صو»– التي تصل بين بحيرتي سوبيرير

ومتشجان– بنقل الحديد الخام من مناجمه في شمال غربي ولاية منيسوتا إلى المراكز الصناعية جنوبي هذا الإقليم، وهذه القناة من الأهداف العسكرية الخطرة الشأن التي قد تقصدها الطائرات المغيرة، وقد أشار أبراهام لنكولن في إحدى رسائله إلى الكونجرس سنة ١٨٦٢ إلى المنطقة الممتدة بين جبال الليجاني وجبال روكي وبين حدود كندا من الشمال حتى الخط الذي يفصل بين منطقتي الذرة والقطن جنوبًا فسماها «مصر أمريكا»، ولهذا فقد يصبح من الضروري إذا ما تعرضت البلاد مستقبلاً لحرب أن تعمل الحكومة على نقل المراكز الصناعية من مناطقها الحالية، متشبهة في ذلك بما فعلته روسيا قبيل الغزو النازي لبلادها، حينما نقلت صناعاتها إلى منطقة الأورال.

وللولايات المتحدة ميزة أخرى، وتقصد بذلك تماسك أجزائها واندماج شكلها العام. فقد نجم عن عظم اتساع رقعتها أن طالت حدودها البحرية والبرية، فخط الحدود فيما بينها وبين كندا، عدا القسم المار بألاسكا يبلغ نحو ٣٩٨٧ ميلاً ويبلغ خط الحدود بينها وبين المكسيك ٢٠١٣ ميلاً، ولا تقوم على أيهما حصون من أي نوع كان، وهو مثال حبذا لو أخذت به غيرها من الأمم. ونظرًا لما بين هاتين الجارتين والولايات المتحدة من تفاوت عظيم في القوة، ولما قطعته الدول الثلاث من عهود للدفاع عن هذا النصف من الكرة الأرضية، فالحكومة الأمريكية لا ترى في أيهما ما يمكن أن يهدد سلامتها.

ومقاطعة سمث Smith في ولاية كنساس هي القلب الجغرافي

للبلاد، عند نقطة تقاطع ٣٩,٥٠° من درجات العرض الشمالية بخط طول ٩٨,٣٥° غربًا. أما قيام العاصمة في مركز كولومبيا على ساحل المحيط الأطلنطي فكان حدثًا تاريخيًا، والغرض منه التوفيق بين الشماليين والجنوبيين.

ولمناخ الولايات المتحدة أثره فيما أحرزته هذه البلاد من مكانة بين دول العالم العظمى، ذلك لأن قيامها في خطوط عرض متوسطة تمتاز بكثرة التغيرات الجوية الناشئة عن الأعاصير التي تسود منطقة الرياح العسكرية، أكسب سكانها صحة ونشاطًا عظيمين، فتعاقب الشتاء الذي تتدرج فيه الحرارة من البرودة الشديدة إلى الاعتدال، والصيف الذي يتدرج من الدفء إلى الحار، من شأنه أن يمنح السكان نشاطًا يستعينون به في مجهوداتهم الصناعية والعقلية. ولهذا المناخ، فوق ذلك، فائدة أخرى، فهو من العوامل المهيئة لإنتاج المحصولات التي تساعد على بناء الجسم. وقوة أية أمة، وخاصة في زمن الحرب، مرهونة إلى حد كبير، بمقدرتها على إنتاج القدر الكافي من الأغذية التي يمكن أن يتكون منها الطعام المتكامل وإنتاج الأغذية التي يطلقون عليها اسم «أغذية المقاومة»، وهي مما لا غنى عنها لكل من المحاربين والعاملين وراء خطوط القتال.

ظلت الولايات المتحدة طوال القرن التاسع عشر، دولة زراعية من الدرجة الأولى، أما الآن فإن عدد الذين يتعيشون من فلح الأرض. لا يزيد

على ٢٥٪ من مجموع السكان. ومع أن ثلث مساحة البلاد أو ما يقرب من الثلث، صالح لإنتاج المحصولات الزراعية، فإن المستغل، منها استغلالاً فعليًا، لا يزيد في أيام السلم، على ١٨٪ من جملة المساحة. هذا وتنتج الولايات المتحدة حاجتها من المواد الغذائية، فيما عدا الحاصلات المدارية. وهي ما يمكن الحصول عليها من بلاد البحر الكاريبي، فهي تغل مقادير كبيرة جدًا من القمح والذرة، ومن اللحوم والفاكهة؛ غير أن نسبة المصدر منها إلى جملة الصادرات قد قل كثيرًا عن ذي قبل، ففي سنة ١٨٩٠ بلغت قيمة المنتجات الزراعية ٧٥٪ من مجموع الصادرات، ولكن هذه النسبة انخفضت عند بدء الحرب العالمية الثانية إلى ما يقرب من ٢٠٪ فقط، ومع ذلك فلا تزال للولايات المتحدة منزلتها التي لا تباري في إنتاج بعض المواد الأولية الزراعية كالقطن مثلاً الذي تنتج منه نحو ٥٠٪ من المحصول العالمي. أما الصوف فعلى الرغم من أنها لا تنتج كل حاجتها منه فإنه يسهل عليها استكمال ما ينقصها منه بما تستورده من الأرجنتين وأوراجواي. ثم هناك المطاط، وهو من غير نزاع، أهم المواد الأولية الزراعية التي تعوزها، ويزيد هذا النقص خطورة أن الولايات المتحدة تستهلك في أيام السلم ما يقرب من ٤٥٪ من الإنتاج العالمي كله من المطاط.

هذا وتتنوع حرف السكان في هذه البلاد تبعًا لتنوع الأحوال المناخية فهناك منطقة القطن مثلاً، التي تعتبر أكبر مراكز هذه الزراعة في العالم كله، فإن الأحوال المناخية فيها تلائم زراعة هذا المحصول العظيم القيمة كل الملاءمة، كذلك للمناخ السائد في منطقة الذرة أثره في العمل

على خلق أكبر منطقة في العالم كله لتربية الماشية. وقد أصبحت ولايات فلوريدا وتكساس، وكليفورنيا بفضل مناخها شبه المداري حقولاً طبيعية لإنتاج الثمار الحمضية الغنية بالفيتامينات، وهناك منطقة إنتاج الألبان في القسم الوسط الشمالي، وقد أكسبتها أمطارها الوفيرة وصيفها المائل إلى البرودة، مقدرة فائقة في إنتاج مقادير كبيرة من اللبن والزبد والجبن وما إليها من أغذية المقاومة. وفي هذه البلاد عدا ما ذكر مساحات كبيرة تساعد ظروفها المناخية على إنتاج المواد الغنية بالعناصر البروتينية كالفاصوليا وفول الصويا أما السكر فالاعتماد فيع بالدرجة الأولى على ما تنتجه جزيرة كوبا، ومع ذلك فليس من العسير على الولايات المتحدة، إذا ما أعوزتها الحاجة، أن تنتج كميات من البنجر تزيد كثيرًا على ما تنتجه في الوقت الحاضر. هذا ويقدر استهلاك الفرد الأمريكي من السكر، تلك المادة المحددة للنشاط البشري، بمائة رطل تقريبًا في السنة.

وعلى حين تكاد تتبادل الزراعة والصناعة في الولايات الوسطى – فيما بين أوهايو والسهول الغربية– نجد أن خمسة في المائة فقط من سكان السهول الوسطى، تلك المنطقة الفسيحة التي تشغل ربع مساحة البلاد كلها، يعيشون على إنتاج الحبوب وتربية الماشية والتعدين. والحرفتان الشائعتان في القسم الجنوبي الغربي هما الرعي والتعدين؛ ويقابلهما في الشمال الغربي قطع الأخشاب وزراعة القمح والتفاح.

هذا والعامل المكاني في حد ذاته لا قيمة له من الناحية السياسية إذا لم يكن آهلاً بالسكان، لأن الدولة إذا خاضت غمار حرب، لا غنى

لها من عدتها من الرجال تبعث بهم إلى ميدان القتال، وعن عدتها من الرجال والنساء. تجهز بهم جبهاتها المختلفة في داخلية البلاد. وشتان بين سكان الولايات المتحدة الذين يقربون الآن من ١٣٢ مليون نسمة[١]، وبين تلك الحفنة الصغيرة التي كانت تسكن الولايات الثلاث عشرة والتي لم يزد عددها في أيام جورج واشنجطون على ٣,٨٠٠,٠٠٠ من النفوس. ومن السهل على بلاد لها مثل ذلك العدد الغفير من السكان أن تعد جيشًا قوامه ١٢ مليون جندي أو أكثر، مع الاحتفاظ بقدرتها على إنتاج كل ما يتطلبه الجهاز الحربي.

وتبلغ كثافة السكان في الولايات المتحدة ٤٣,٦ نسمة للميل المربع الواحد. ويميل البعض إلى الاعتقاد بأنه إذا استمرت الأحوال السائدة الآن فإن سكان هذه البلاد سيطلون بعد ثلاثين أو أربعين سنة إلى مرحلة يتوقفون عندها عن النمو أو قد يأخذون بعدها في التناقض، كما أنهم يقدرون في الوقت نفسه أن عددهم سيبلغ في سنة ١٩٥٠[٢] مائة وخمسين مليونًا. والمشاهد أن مركز الدائرة السكانية آخذ في التراجع صوب الغرب في نفس اتجاه التوسع الأمريكي، وقد بلغ هذا التراجع منذ سنة ١٧٩٠ حتى الآن ٥٠٢ ميل: ففي تلك السنة كانت

---

[١]كان ذلك سنة ١٩٤٢، أما الآن فإن عدد السكان الأمريكيين حوالي ١٧٠ مليون نسمة

[٢]نعود فنذكر للقارئ أن هذا الكتاب كتب حلال الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٤٢. وقد صح تقدير المؤلفين، فكان عدد سكان الولايات المتحدة في سنة ١٩٥٠: ١٥٠,٦٩٨,٣٦١ نسمة.

هذه النقطة على مسافة ٢٣ ميلاً إلى الغرب من مدينة بلتيمور، فأصبحت في سنة ١٧٨٠ على مسافة ٤٨ ميلاً إلى الشمال بشرق من مدينة سنسناتي، ثم تراجعت حتى وصلت في سنة ١٩١٠ إلى مدينة Bloomington في ولاية إنديانا، وبلغت في سنة ١٩٤٠ نقطة تقع على بعد ميلين إلى الشرق من جنوب شرقي مدينة كاريل بمقاطعة Sulliavan من أعمال ولاية إنديانا أيضًا.

وإذا نحن نظرنا إلى سكان الولايات المتحدة على ضوء الظروف السائدة فيها الآن، نجد أنهم وصلوا من حيث كثرتهم العددية إلى حالة مرضية للغاية، كما أنهم بتكوينهم الحالي يدفعون بلادهم قدمًا في ميادين التقدم والرقي؛ ذلك لأن نسبة كبيرة من الأمريكيين ينحدرون من سلالات أنجلوسكسونية، وإن ما عرف عن هذه البلاد من أنها بوتقة صهرت فيها مختلف السلالات البشرية لهو أيضًا عامل له قيمته في تكوين الحياة الأمريكية. على أن هناك عنصرًا آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند الكلام عند التكوين الجنسي للبلاد؛ وهو وجود عدد كبير من الزنوج الذين يكثرون بصفة خاصة في الولايات الجنوبية.

وثمة ظاهرة لها قيمتها عند البحث في موضوع سكان الولايات المتحدة، وذلك من حيث توزيعهم بين الحضر والريف، وقصة التاريخ الأمريكي ليست في الواقع سوى الانتقال بهذه البلاد من مجتمع ريفي بحت إلى أمة صناعية عظيمة: ففي سنة ١٧٩٠ لم يكن هناك من سكان الحضر سوى ٥,١% من مجموع السكان وكانت البعثة الباقية من

السكان تنزل في المواطن الريفية، غير أن نتائج الإحصاء الذي عمل في سنة ١٩٤٠ دلت على أن ٥٦,٥% من مجموع السكان حضريون، و ٢٢,٩% منهم ريفيون يعيشون في الضياع والمزارع الكبرى؛ و ٢٠,٥% ريفيون من غير أهل الضياع؛ فالعلاقة بين الحضر والريف ليس فيها إذن أي مظهر من مظاهر عدم التكافؤ، كما أنه ليس هناك ليس أي خطر من تغلب الحضر، ذلك التغلب الذي نبه إليه اللواء «هوسهوفر» وحذر منه على اعتبار أنه المقياس الذي تستعين به الجيوبولتيكا عند تقديرها لمدى الضعف في دولة من الدول.

والناظر في خريطة توزيع السكان في الولايات المتحدة يشاهد تباينًا ملحوظًا بين جزء وآخر: ففي المناطق السهلية لغالبية الولايات الوسطى ينتشر السكان انتشارًا منتظمًا، على حين أنهم يتركزون في بقاع معينة في المنطقة الممتدة إلى الشمال من نهر «أوهايو» وكذلك إلى الشرق من نهر المسيسبي وكلاهما من المناطق الصناعية الكبرى التي يكثر فيها سكان الحضر. أما إلى الغرب من جبال الأبلاش فتبلغ كثافة السكان أعلاها في المنطقة الصناعية القائمة جنوبي بحيرة إيرى وفي أعالي نهر أوهايو (أكبر مركز لها هنا هو مدينة بتسبوره)، وكذلك على السواحل الجنوبية، والجنوبية الغربية لبحيرة متشجان، وعلى خافتي وادي موهوك وحول شواطئ بحيرة أونتاريو. ويلاحظ أن نسبة الكثافة تأخذ في القلة في وادي المسيسبي الرطب، فهي في المتوسط ما بين الخمسين والخمسة والعشرين نسمة للميل المربع الواحد، ولكن السكان هناك موزعون توزيعًا منتظمًا، على عكس الحال إلى الغرب من خط

١٠٠ °غربًا حيث تقل الكثافة وينزل السكان مبعثرين هنا وهناك على غير قاعدة منتظمة. ويمتاز السكان في الولايات المطلة على سواحل المحيط الهادي بتركزهم في بقاع معينة: أهمها وادي كاليفورنيا العظيم ومنطقة الخليج سان فرانيسكو والمراكز الأخرى الواقعة إلى الجنوب من هذه المدينة، كوديان لوس أنجلوس وسان ديجو أو في منطقة بيوجت سوند–ويلامت Puget Sound Williamette إلى الشمال منها. والخلاصة أن الوضع الحالي لسكان الولايات المتحدة حسن في جملته من حيث عدده وتوزيعه وتركيبه.

ومن المسلم به أنه لن يتأتى لدولة ما أن تصل إلى مرتبة الدول العظمى ما لم تكن مالكة لأهم أنواع المواد الأولية أو متسلطة على ما يمكنها من الوصول إليها، فالصناعات الحديدية والفولاذية، وهي الأساس الذي تقوم عليه عظمة الدول الكبرى في عصر الحديد الذي نعيش فيه، لا سبيل إلى قيامها إلا إذا توفرت للدولة مقادير كبيرة من الفحم والحديد الخام، وهناك البترول وله الآن أهميته القصوى في الحروب الحديثة لأنه الطاقة المحركة التي تدفع بالطائرات والسفن والدبابات في ميادين الحرب والقتال.

وفي الولايات المتحدة الشيء الكثير من مصادر القوى المحركة – الفحم والبترول والطاقة الكهربائية المولدة من قوة انحدار المياه– مما تحسدها عليها غيرها من الدول، فيها من الفحم ما يزيد قليلاً على

٥٠% من مجموع رصيد العالم كله من هذه المادة، وإذا نحن أضفنا إلى هذه موارد باقي دول أمريكا الشمالية لارتفعت النسبة إلى ٦٩% وفي شمال شرقي ولاية بنسلفانيا توجد أكبر مناجم العالم كله في فحم الانثراسيت، كما تحتوي المنطقة الممتدة من غرب بنسلفانيا حتى شمال ألباما على أكبر مناجم الفحم الحجري في الولايات المتحدة. وتتزعم هذه البلاد الآن جميع دول العالم في استغلال الكهرباء المولدة من قوى انحدار المياه، ولا تزال بها مقادير هائلة من هذه القوى مدخرة لم تستغل بعد. والولايات المتحدة أكبر منتج وفي الوقت نفسه أعظم مستهلك لزيت البترول، وأكبر حقوله الحقل الأوسط الممتد في تكساس وأوكلاهوما وكنساس. وهناك آبار ولاية كاليفورنيا التي تنتج ٢٠% من جملة إنتاج الجمهورية الأمريكية كلها.. ومع ذلك فمركز البترول في الولايات المتحدة يثير الآن قلقًا شديدًا، ذلك لأن الخبراء في جيولوجيا البترول يقدرون أنه إذا استمرت هذه البلاد في سحب عشرين بيلون برميل من احتياطيها دون الكشف عن موارد جديدة فإنه لن يمضى اثنتا عشرة إلى عشرين سنة حتى ينضب هذا المعين[1]. وقد حدث فعلاً في سنة ١٩٤٢ أن نقصت كمية البترول المكتشف، عن البترول المستخرج من الحقول القائمة بأكثر من خمسمائة مليون برميل. على أن هناك ما يبعث على الأمل في إمكان استخراج البترول من التكوينات الطفيلية، كما يحاول العلماء في الوقت نفسه إنتاج أنواع من الوقود التركيبي رغم

[1] أصبحت الطاقة الذرية بديلاً عظيم القدر للبترول، كذلك أمكن استخلاص بترول "صناعي" المترجمان

قلة جودتها وهم يعللون النفس باستخدام الطاقة الذرية، ولكن البترول لا تزال له الصدارة عليها كلها. وعلى العكس من هذه الصورة القاتمة التي للبترول الأمريكي؛ نرى البترول السوفيتي يعرض لنا صورة باسمة مشرقة من حيث إنتاجه واحتياطيه. ولربما كانت أخطر النتائج التي يمكن أن تنتهي بها الحرب الحالية نضوب موارد البترول الأمريكي مما لا يمكن تعويضه.

والولايات المتحدة من أهم البلاد المنتجة لغالبية المعادن الصناعية؛ فهي تتزعم دول العالم كله في إنتاج واستهلاك السلع الحديدية والفولاذية؛ و٨٠٪ من تلك الكميات الهائلة من الحديد الخام الذي يدخل في تلك الصناعات مستمد من المناجم الواقعة في أعالي إقليم البحيرات العظمى —وروسيا السوفيتية هي الوحيدة بين دول العالم التي لها من موارد الحديد ما يمكن أن يقارن بثروة الولايات المتحدة من هذا المعدن— وتنتج الولايات المتحدة أيضًا ٨٢٪ من معدن موليبدنم molybdenum (من أجود أنواع الكروم)، كما أنها تنتج من النحاس أكثر مما تنتجه أية دولة أخرى منفردة. وأكثر ما يوجد ها المعدن الأخير في ولايات أريزونا ويوتا ومونتانا. وتنتج أمريكا ٨٥٪ من الكبريت الطبيعي، وأغنى الولايات به تكساس ولويزنا. وهناك في جنوب شرقي ولاية ميسوري توجد أغنى بقعى لاستخراج الرصاص الذي يوجد أيضًا في أوكلاهوما وكنساس وجنوب غربي ميسوري حيث يوجد كذلك معدن الزنك. والولايات المتحدة على اتصال سهل بالمواطن الكندية الغنية بمعدني النيكل والبلاتين. ولكن يلاحظ من الناحية الأخرى أن هناك

نقصًا واضحًا في المعادن التي تدخل في عمل السبائك الحديدية كالمنجنيز والكروم والتنجستن، وكذلك الحال في معدن البكسيت الذي لا غنى عنه في صناعة الألومنيوم، وقد يصل النقص في هذه المادة الأخيرة إلى درجة الحرج. وتعتبر أركنساس أغنى الولايات الأمريكية بهذا المعدن. ولكن لابد من استكمال حاجة البلاد بما يستورد من جيانا الهولندية وجيانا البريطانية (Surinam). ولما كانت اليابان تتحكم حاليًا[١] في ٦٧% من مادة القصدير، أي تلك المستودعات الكبيرة التي توجد في جنوب شرقي آسيا، فقد اضطرت الولايات المتحدة أن تولى وجهها شطر بوليفيا– وقد أصبح من الضروري لكل من أمريكا واليابان أن تقيم المصاهر الخاصة للصفيح... ومن المواد المعدنية الأخرى التي تعاني الولايات المتحدة نقصًا ملموسًا فيها مادتا الزئبق والتوتيا (الأنثومي)، وتنتج المكسيك ٦% مما ينتجه العالم من المعدن الأول، كما تنتج الصين الحرة نصف إنتاج العالم من المعدن الثاني. وهي تستمد من كندا «الميكا» الخام كما تمدها البرازيل ببلورات الكوارتز اللازمة لضبط الذبذبات اللاسلكية.

ولقد كان من أثر الحرب الحالية أن فقدت الولايات المتحدة بعض المصادر التي كانت تعتمد عليها في تموينها بأنواع خاصة من الألياف،

---

[١] نعود فنذكر القارئ أن هذا الكتاب وضع خلال السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية يوم أن كانت اليابان تحتل القسم الشرقي والجنوبي الشرقي من قارة آسيا، وكذا جزار المحيط الهادي باستثناء استراليا ونيوزيلندا.

المترجمان

فقدت في جزائر الفيلبين «قنب منيلا» وفي جزائر الهند الهولندية مادة الكابوك -القطن الشجري- وفي اليابان والصين خيوط الحرير. أما من ناحية المواد الخشبية وعجينة الورق فإن الحال لا تزال -ولو على الأقل في الوقت الحاضر- تدعو إلى الاطمئنان، وإن كان قد أصبح لزامًا على الولايات المتحدة إذا ما أرادت الاحتفاظ بالوضع القائم أن تعمل جاهدة على حماية غاباتها والمحافظة عليها. كذلك فقدت أمريكا من جراء استيلاء اليابان على جزائر الهند الهولندية وشبه جزيرة الملايو، فحم جوز الهند كما فقدت ٩٠-٩٥% من مادة «الشنكونا» التي تدخل في صناعة الكينا الطبية، وكانت تحصل عليها من الجزائر الهولندية، ولنفس السبب تحرج مركزها بالنسبة للمطاط، لأن جنوب شرقي آسيا كان ينتج ٩٨% من المطاط التجاري، وقد انتقل كله الآن إلى السلطات اليابانية، وإن كان التقدم الذي حدث في صناعة المطاط التركيبي (الصناعي)، وما يرجى من نجاح لمزارع المطاط في البرازيل قد خففا كثيرًا من حدة هذه الأزمة.

أما عن الأثر الفعلي الذي تحدثه الموارد الطبيعية في قوة الدولة، فأمره مرهون بمدى استغلال هذه الدولة لتلك الموارد وبدرجة تقدمها جملة، فالروسيا مثلاً لم تتوسع في استغلال مواردها إلا منذ ١٥ أو ١٦ سنة فقط[١]، على حين ظلت الولايات المتحدة طوال القرنين التاسع عشر والعشرين دائبة على استغلال مواردها والعمل على تحسينها سنة

---

[١] كان في ذلك سنة ١٩٤٢.

بعد أخرى، ومن العوامل التي كان لها أثرها في تقدم الصناعات الأمريكية ورواجها وجود سوق محلية كبيرة قوامها مائة وثلاثون مليونًا من النفوس يرفرف عليهم جميعًا علم واحد هو العلم الأمريكي، مع سهولة تامة في الحصول على رءوس الأموال الضخمة التي كانت تتدفق بانتظام سعيًا وراء المشروعات التي يمكن أن تستثمر فيها، ثم هناك المؤسسات الأمريكية الكبرى التي لها من الموارد ما يمكنها من رصد مبالغ طائلة على أعمال البحث والتنقيب.

كذلك لن يتأتى للموارد الطبيعية أن يكون لها أثرها في قوة الدولة ما لم تقم إلى جانبها الوسائل الكفيلة بسهولة نقلها من جهة إلى أخرى. وللولايات المتحدة السبق على غيرها في هذه الناحية، فقد بدأ فيها عصر بناء السكك الحديدية وانتهى قبل مستهل القرن الحالي، وتم ربط خط الاتحاد الباسيفيكي بخط الوسط الباسيفيكي عند مدينة أوجدن Ogden بولاية يوتاه، فاتصل شرق الولايات المتحدة بغربها بالخطوط الحديدية منذ سنة ١٨٦٩. هذا وتعظم حركة نقل المسافرين وتبلغ ذروتها في المنطقة الممتدة على طوال ساحل المحيط الأطلسي بين مدينة بوسطون والعاصمة واشنجطون، على حين تبلغ حركة نقل البضائع غايتها بين الوسط الغربي وموانئ الأطلنطي. وهناك شبكة الطرق المعدة للسيارات والتي تمثل عصر البترول بأجلى صوره، ذلك العصر الذي هيأ لكل ٤,٣ نسمة من الأمريكيين أن تكون لهم في أيام السلم سيارتهم الخاصة. وقد جاء وقت كانت فيه الملاحة النهرية الداخلية وسيلة من أهم وسائل النقل في البلاد. ولكن هذه فقدت الآن قيمتها إلا في منطقة

البحيرات العظمى، أما النقل الجوي فسوف تعظم أهميته كثيرًا بعد التحسينات العديدة التي أدخلت علي في الآونة الأخيرة سواء في ذلك ما يتصل منه بنقل المسافرين أو بنقل البضائع.

ومن العوامل التي كان لها أثرها فيما وصلت إليه هذه البلاد من منزلة عالية بين الدول العظمى، ذلك النظام السياسي والاجتماعي الذي تسير عليه. وإذا نحن استعرضنا تاريخ الولايات المتحدة نجد أنه قد تخللته فترات بلغ فيها التوتر حدًا كبيرًا، فقد كان الاتفاق، الذي عقد بموجبه الاتحاد بين الولايات الثائرة، في سنة ١٧٨١، على درجة من التفكك كادت تنتهي بهم إلى الفوضى والاضطراب، ولم تستقر أمورهم ويسودهم النظام إلا بعد وضع دستور سنة ١٧٨٧، وهو من أقدم الدساتير القائمة الآن، وبلاد كالولايات المتحدة عظيمة الاتساع، مترامية الأطراف، لابد لها من دستور يفرق بين السلطات التي تمنح للحكومة الفيدرالية المركزية القائمة على تصريف الشئون العامة للدولة وتلك التي يجب أن تترك الحكومات الولايات منفردة لتنصرف بواسطتها إلى الاضطلاع بالمسائل ذات الصبغة المحلية. وفي ظل هذا الدستور الفيدرالي أخذت نجوم العلم الأمريكي (الولايات) تتزايد سنة بعد أخرى حتى بلغت ٤٨ نجمًا[١]، أما الأشرطة الثلاثة عشر فقد ظلت ثابتة تحتل الولايات الأصلية (التي ثارت في وجه حكامها الإنكليز) وقد تعرضت

---

[١]أصبحت هذه النجوم ٥٠ نجمة في الوقت الحالي بسبب ضم ألاسكا وهاواي إلى الاتحاد الأمريكي. المترجمان

سيادة هذه الحكومة القومية لتجربة قاسية في فترة الحرب الأهلية التي استمرت من سنة ١٨٦١ حتى سنة ١٨٦٥ ولكنها خرجت منها سليمة، وقامت على الخرائب التي خلفتها في الجنوب حكومة فيدرالية لا منازع لسلطانها، كما أخذت ذكريات موقعة جيتسبرج Gettysburg[1] المؤلمة تتلاشى بتقادم الزمن عليها وبتوالي الانتصارات التي أحرزها الجيش الأمريكي في معركة أرجون Argonne (الحرب العالمية الأولى) وفي جنوب غربي الباسيفيك (الحرب الثانية).

وتتمثل حياة الشعب الأمريكي في الديمقراطية التي تسير عليها حكومته، تلك الديمقراطية التي عناها إبراهام لنكولن في خطابه التاريخي الذي وجهه إلى الشعب الأمريكي بعد موقعة جتسبرج Gettysburg والذي يصف فيه حكومته بأنها «حكومة الشعب، يقوم بها الشعب، من أجل الشعب». وقد اضطرت هذه الجمهورية الغربية العظيمة إزاء ما تعرض له العالم من حربين متتاليتين خلال الخمسة والعشرين سنة الأخيرة إلى خوض غمارهما للذود عن نوع الحياة التي هيأتها لبنيها. وأمريكا بلاد لا تزال تدين بمبدأ تكافؤ الفرص وإفساح المجال أمام جميع الأفراد، وإن كانت بعض الملابسات القاسية التي أحاطت بالفردية الغاشمة في

---

[1] وهي المعركة التي انتصر فيها الشماليون على الجنوبيين في بولية سنة ١٨٦٣، وقد دامت ثلاثة ايام وانتهت بهزيمة الجنرال Lee قائد الجنوب وفيها فقد قصف رجاله ما بين قتيل وجريح وأسير، وهي في نظر المؤرخين المعركة التي قررت مصير هذه الحرب الأهلية الطاحنة.

(المترجمان)

الماضي قد اضطر حكومتها إلى الإكثار من الأوامر واللوائح المنظمة لهذه الفردية.

ومن المظاهر الأخرى لتلك القوة الخارقة التي بلغتها الولايات المتحدة نتيجة لجيوبولتيكتها الخاصة، ذلك التوسع ألإقليمي العظيم الذي أحرزته فيما وراء حدودها القارية: فاستولت سنة ١٨٩٨ في المحيط الأطلنطي وبطريق الضم، على إثر حربها مع أسبانيا، على جزيرة بورتوريكو، بطريق التأجير في سنة ١٩٠٣ على منطقة جوانتنامو Guantanamo، في جنوب شرقي جزيرة كوبا، وتمكنت أيضًا في نفس السنة –منتهزة فرصة الثورة التي قامت في جمهورية بنما– من الاستيلاء على منطقة القناة. وفي سنة ١٩١٧ اشترت من الدانمركيين جزائر فيرجن Virgin، كما استولت على جزيرة نافاسا Navassa، إلى الجنوب من كوبا، وإلى الشرق من جاميكا. أما جزيرتا كورن Great and Little Corn (الكبرى والصغرى) فقد حصلت عليهما بطريق التأجير من جمهورية نيكاجورا. والملاحظ أن سياسة التوسع التي سارت عليها الولايات المتحدة في المحيط الأطلنطي كانت تستهدف غرضًا واحدًا هو الدفاع عن قناة بنما. أما في المحيط الهادي فلم يكن لها غرض ثابت أو سياسة محددة، فآلت إليها مداوي midway في سنة ١٨٥٩، واشترت ألاسكا من الروسيا في سمة ١٨٦٧ وضمت إليها في سنة ١٨٩٨ –بقرار من الكونجرس– جزائر هاواي، وبذلك تم لها الاستيلاء على مفتاح الدفاع عن القسم الشرقي لهذا المحيط، كما أجبرت أسبانيا في نفس السنة على التنازل لها عن جزائر الفيليبين، وجزيرة جوام

Guam، ثم استولت في السنة التالية على جزيرة ساموا Samoa الأمريكية، وعلى القاعدة البحرية الهامة باجو باجو Pago Pago القائمة على الجزيرة البركانية تتويلا Tutuila، وكذلك على جزيرة ويك Wake وإن كانت لم تحتل هذه الأخيرة احتلالاً فعليًا إلا في سنة ١٩٣٥. ثم كانت ثورة «البوكسرز Boxers» في الصين سنة ١٩٠٠، فاتخذت منها الولايات المتحدة ذريعة لإنزال جنودها في كل من يبكين (Peking) وتيتسن و (Tientsin) كما استولت في الوقت نفسه على عدد كبير من الجزائر الصغرى في المحيط الهادي، منها:

Howland, Baker, Johnstons, Palmyra, Tarvis, Kingman, Reef and Swain' s.

وفي سنة ١٩٣٧ كان العلمان الأمريكي والبريطاني يرفرفان على كا من كانتون، وإنديربري Canton and Enderbury.

هذا وقد استطاعت الحكومة الأمريكية خلال السنتين اللتين قصتهما في حياد مضطرب –منذ بدء الحرب الثانية في سنة ١٩٣٩ حتى دخولها هذه الحرب سنة ١٩٤١– أن تضيف إلى الجزائر التي لها في المحيط الأطلنطي محطات جديدة فحصلت، نتيجة لصفقة المدمرات التي عقدتها مع إنكلترا في سبتمبر سنة ١٩٤٠، على حق تأجير جميع التسهيلات للقواعد الأمريكية القائمة في الجهات الآتية لمدة تسعة وتسعين سنة:

New foundlaud, Bermuda,The Bahamas, Antigua,

St.Lucia, Jamaica, Trinidad, and British Guiana.

كما احتلت في أبريل سنة ١٩٤١ جزيرة جرينلاند، وحصلت في شهر يولية الذي تلاه من الإيسلانديين على حق إنزال الجنود الأمريكيين في جزيرتهم، وعمدت في أواخر سنة ١٩٤١ إلى إرسال قواتها إلى Surinam لحماية مناجم البكسيت وإلى كل من CuraçaoAruba & لحراسة معامل تكرير البترول.

وما إن وقع الاعتداء على بيرل هاربر Pearl Harbour في السابع من شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ حتى سارعت الحكومة الأمريكية بإرسال قواتها إلى مختلف بقاع الأرض (شكل ١٣) ولم تنته سنة ١٩٤٣ حتى كان لها جنود في الجهات الآتية –وهذا عدا البقاع التي سبق ذكرها–: في أوربا: في إيرلندا الشمالية، وفي إنكلترا وصقلية وإيطاليا. وفي إفريقية: في: مراكش والجزائر وتونس وغرب إفريقية الفرنسي (دكار) وإفريقية الفرنسية الاستوائية وليبريا وسياراليون وساحل الذهب (غانه) والكونغو البلجيكي والسودان وأرتريا ومصر وليبيا ونيجريا وجزائر أسنشون. وفي القارة الآسيوية: في الإقليم السوري وفلسطين والعراق وإيران والهند وسيلان والصين والكويت. وفي استراليشيا: في استراليا ونيوزيلندا ونيوغينيا وجزائر سليمان ونيوهبريدة وجزائر فيجي، وإليس Ellieas وجلبرت.

وفي الأمريكتين: في جواتيمالا ونيكارجوا وكوستاريكا وبنما وجلباجوس (Galapagos) وإكوادور والبرازيل وهايتي وكوبا وبيرو

وشيلي وكندا.

والآن يحق للإنسان أن يتساءل عن الخطوط التي يمكن أن تسير فيها السياسة الخارجية لدولة كالولايات المتحدة لها مثل هذه القوة الهائلة داخل حدودها القارية، وتمتلك مثل هذا العدد الغفير من المحطات الإستراتيجية في كل من المحيطين الأطلنطي والهادي. وللإجابة عن هذا السؤال يجب أن ننظر أولاً إلى العوامل التي يمكن أن تتأثر بها السياسة الأمريكية الخارجية: فإدارة العلاقات الخارجية من المهام التي يوكل أمرها إلى رئيس الجمهورية ويقوم بتنفيذها بواسطة وزير خارجيته. ومع أن سلطات الرئيس واسعة شاملة، فإنه من الممكن تقييدها عمليًا عن طريق إصدار التشريعات أو عدم إصدارها: فكل معاهدة تبرمها الولايات المتحدة لا تكون نافذة إلا إذا أقرها مجلس الشيوخ بأغلبية الثلثين، وعلى الرئيس فوق هذا أن يرقب عن كثب الآراء السائدة في البلاد وأن يوليها ما تستحقه من اعتبار وتقدير. ففيما بين سنة ١٩٣١- ١٩٤١ مثلاً كان رئيس الجمهورية ووزير خارجيته على بينة تامة من أن دول المحور تنوي -إذا ما نجحت السياسة التي انتهجتها في أوربا- شن هجومها في النهاية على الولايات المتحدة. أما غالبية الشعب الأمريكي فلم يدر بخلده إطلاقًا أن هجومًا من هذا النوع سوف يوجه إلى بلاده. هذا ومن المسلم به بداهة أن كل سياسة خارجية تسير عليها البلاد، يجب أن تتكيف وفقًا لسياسة الحكومات الأخرى ومدى تأثر أمريكا بها.

وإذا نحن نظرنا إلى السياسة الأمريكية في جملتها نجد أنها قائمة

على أسس جغرافية ثابتة، وهي في جميع أدوارها ذات شقين: أولهما ويتسم بالطابع العالمي، أي من حيث علاقتها بكل وحدة من الوحدات العالمية على حدة: ومن مظاهر الشق الأول المحافظة على السلام العالمي وتنشيط التجارة وحماية الأقليات وعدم التدخل في شئون الدول الأخرى وحسم المنازعات بالوسائل النظامية وما يشبهها. أما سياستها الإقليمية فلها اتجاهات ثلاثة: أوربا وأمريكا اللاتينية والشرق الأقصى: فأما عن سياستها الأوربية، فقد حاولت الابتعاد عن مشكلات القارة ما أمكنها ذلك، ولكن قيام حربين عالميتين خلال خمسة وعشرين عامًا أوضح لها بجلاء أن كل اضطراب يصيب السياسة الأوربية لابد أن ينتهي إلى حرب يتلظى العالم كله بها. حقيقة أن الولايات المتحدة ليس لها مصلحة حيوية في مقتل أرشيدوق نمساوي، ولا يمكن أن تتأثر بنزاع قد يقوم بشأن مدينة حرة أو دهليز أرضي، ولكن إذا انتهت هذه المنازعات وأمثالها باندلاع نار حامية فلابد أن تتأثر بها المصالح الأمريكية. ولهذا أصبح من العسير جدًا على الساسة الأمريكيين أن يرسموا خطًا يفصل بين ما يجوز وما لا يجوز التدخل فيه. وفي أمريكا اللاتينية سارت الولايات المتحدة في سياستها وفقًا للقواعد التي أقرها مبدأ «منرو»، ذلك المبدأ الذي اتجه ساسة أمريكا في تفسيره منذ سنة ١٨٢٣ اتجاهات عدة تتدرج من سياسة التدخل «بالعصا الغليظة» التي اتبعها تيودور رزفلت إلى سياسة عدم التدخل عملاً بمبدأ «الجوار الحسن» التي انتهجها فرانكلن روزفلت. لا بل إن هذا المبدأ نفسه قد تطور من مجرد إعلان صادر من جهة واحدة إلى اتفاق ملزم لجهات عدة، إذ

بموجبه يتعهد اتحاد الجمهوريات الأمريكية برد كل اعتداء قد يأتيها من خارج نصف الكرة الأمريكي. والدعوة إلى الرابطة الأمريكية Pan Americanism هي في الواقع أهم مظهر اتحاد الدول الأمريكية، ذلك الاتحاد الذي أصبح الآن حقيقة ملموسة بدليل أنه في اليوم الأول من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ لم يكن هناك من الإحدى وعشرين وجمهورية التي يتكون منها اتحاد الدول الأمريكية من هي باقية على الحياد سوى جمهورية واحدة –الأرجنتين– وأن ثلاث عشرة منها كانت في حرب مع الدول المحورية، والسبع الباقية كانت قد قطعت كل علاقة لها بتلك الدول.

أما في الشرق الأقصى فتقوم السياسة الأمريكية على تنفيذ مبدأ الباب المفتوح في الصين مع المحافظة على سلامة أراضيها (الصين) من كل اعتداء[1]. وقد ألح الوزير هاي Hay في سنة ١٨٩٩ على ضرورة انتهاج الشق الأول من هذه السياسة ثم أردف ذلك في السنة التالية بالدعوة إلى المحافظة على سلامة الأراضي الصينية، وقبلت الأمم الموقعة على اتفاق الدول التسع «Nine-Power Pact»، في اجتماعها الذي عقد بعد مؤتمر واشنجتن (١٩٢١-١٩٢٢)، بما فيها اليابان نفسها، ذينك المبدأين اللذين قررتهما أمريكا بالنسبة للصين، ولكن جاء من بعد ذلك النظام الجديد لشرق آسيا الأكبر فكان خرقًا صارخًا لمبدأ الباب المفتوح وسلامة الأراضي الصينية على السواء، وكان هذا سابقًا

---

[1] كان ذلك قبل نشوب الثورة الشيوعية في الصين.

للهجوم الياباني على «بيرل هاربر» نفسها بزمن طويل.

هذا ومن الصعب التكهن بالخطوط الرئيسية التي سوف تسير فيها سياسة أمريكا مستقبلاً. فاللواء هوسهرفر يرى أن الأسس التي انتهجتها الولايات المتحدة في سياستها الخارجية كانت متمشية مع جيوبولتيكتها حتى سنة ١٩٠٠، وهو التاريخ الذي انحرفت فيه عنها بسبب مناصرتها للإمبراطورية البريطانية، تلك المناصرة التي فوتت على أمريكا بعض مصالحها. والواقع أن من أهم الأسباب التي حدت بها إلى الدخول في الحرب العالمية الثانية هو الاعتقاد الراسخ عند الكثيرين من الأمريكيين الذين يعتد برأيهم من أن انهيار الجمهورية الصينية في الشرق الأقصى، والقضاء على كل من بريطانيا وروسيا في أوربا سوف يفتح الباب واسعًا أمام النازيين واليابانيين للضغط على الولايات المتحدة نفسها، عن طريق المحيط الأطلنطي الشمالي آونة، والمحيط الهادي الشمالي آونة أخرى، وعن طريق أمريكا اللاتينية آونة ثالثة.

والآن، ترى هل توجه الولايات المتحدة سياستها الخارجية إلى تأسيس إمبراطورية متجانسة ذات أجزاء انسيابية وبخاصة في أمريكا اللاتينية والمحيط الهادي، أم هل تنشئ واشنجتن نظامًا عالميًا للضمان الجماعي تقيمه على نفس القواعد التي أرساها «ودرو ولسون» يوم أسس عصبة الأمم؟ أم هل تكتفي بالعمل على حفظ التوازن الدولي مستعينة على ذلك بحلف قوي في أوربا وأخر في شرق آسيا وثالث في أمريكا الجنوبية؟ أم تنبذ هذا وذاك وتلجأ ثانية إلى سياسة العزلة كما فعلت في

نهاية الحرب العالمية الأولى؟ إنها قد ترفض كل هذا وتعمد إلى دعم السلام الإقليمي بتأسيس منظمة له في المحيط الهادي وأخرى في نصف الكرة الغربي تكون لها فيهما الزعامة التامة.

والخلاصة أنه لا مندوحة للولايات المتحدة، شعبًا وحكومة، من أن تتخذ قرارات حاسمة فعليها أن تقرر منذ الآن ما إذا كانت ستعود بعد هزيمة اليابان إلى الاكتفاء بمثلث الدفاع الباسيفيكي –ألاسكا، هاواي ومنطقة قناة بنما– أم ستستمر في حماية جزائر الفيلبين مستعينة على ذلك ببسط نفوذها على الجزائر التي كانت تحت الانتداب الياباني؟ وهل ستسمح بعد الآن بالإبقاء في أمريكا اللاتينية على تلك الحكومات التي قامت على نسق الفاشستيه؟ وهل ستمد حكومتها يد المعونة إلى الاتحاد السوفيتي فتفتح له الاعتمادات المالية وتعيره من يحتاج إليهم ن الفنيين ليستعين بهم على إصلاح ما خربته الحرب من أراضيه، علمًا منها أن الجمهوريات السوفيتية الروسية المتحدة قد تصبح بعد ذلك مسيطرة على أوربا كلها؟

إن قبور الألوف من جنود أمريكا، المبعثرة في كل ركن من أركان العالم، سوف لا تفتأ تنبه الشعب الأمريكي إلى الدور الذي يجب أن يقوم به في مستقبل هذا العالم، فلقد علمتهم الحوادث أن الحرب إذا هبت أصبحت عالمية، وعليهم أن يعرفوا منذ الآن أنه لن يقوم سلام إلا إذا أجمعت الدول كلها عليه.

الفهرس